الطبعة 2

AFFAR

عمرو مرزوق

عفار

رواية

الكتاب: عفّار
المؤلف: عمرو مرزوق
تصميم الغلاف: عبد الرحمن الصواف
تدقيق لغوي: ميرفت صلاح
رقم الإيداع: 2019/27562
الترقيم الدولي: 978-977-778-208-1

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

÷عآ!ق

إلى تلك الفتاة ذات الكرسي المتحرك التى كانت تطل دوما من تلك
النافذة على الغد .. الغد الذي لن يأتى إلا بمزيد من الألم..
أرجو أن أكون قد أوفيتك حقك..

الفصل الأول

المقبرة

حين يُخرج الإنسان مشاعره الدفينة التى ظلت حبيسة صدره لترى النور فإنه يتخفف من عبء تلك المشاعر التى توشك أن تقضى عليه حين تنفجر بداخله ويدرك حقيقة تلك المشاعر وينظر إليها وقد غمرها النور لتظهر على حقيقتها..

فى منطقة مقابر المماليك بالقرب من صلاح سالم- القاهره

نوفمبر 1988

***

كانت الساعة تشير إلى الواحدة صباحاً، حينما توقفت سيارة الاسعاف بالقرب من تلك المقابر البعيدة التى هجرها سكان المدينة ، وسائق السيارة يُلقى نظرة فى هلع إلى كابينة سيارته مُشيراً إلى ذلك الرجل فى العقد الخامس من عمره والذى يجلس على أرضية السيارة قابعاً بجوار فتاة قعيدة تجلس دون وعي على كرسيها المتحرك ، بينما ظل الرجل بجوارها ينظر إليها فى شفقة.. وقد أفاق على صوت تأفف السائق الذى أشار إليه فى غضب قائلاً:

- هيا لقد فعلت ما أمرتنى به وأحضرتك من المشفي إلى المقابر ، ولا أستطيع أن أقترب متراً آخر.. فلتهبط أنت وتلك الفتاة الآن ، وستجد بجوارك مظلة تحميكم من تلك الأمطار التى توشك على الهطول ..

نظر إليه الرجل فى شكر ومد يده ليمسك مظلة كانت بجوار الكرسي المتحرك وفتح باب السيارة ليلفحه هواء بارد ، فقفز خارجها مغلقاً الباب خلفه .. حتى يمنع دخول التيار البارد إلى الفتاة التى كانت تبدو غارقة فى غيبوبتها العميقة ليدور متوجهاً إلى السائق وهو يمد إليه يده بعدة أوراق مالية كثيرة ، والذى أخذها فى سعادة شاكراً إياه..

إلتفت إليه الرجل مرة أخرى وهو يُمسك معطفه بيديه صارخاً فى وجهه حتى يُسمعه بعد أن بدأهزيم الرعد يصم الآذان :

- أين المصباح يا عيد..؟

تذكر عم عيد السائق المصباح فمد يده بتلقائية إلى جواره ليعطيه المصباح.. فأخذه الرجل وابتعد قليلاً عن السيارة وأشار بعدة إشارات ضوئية إلى منطقة ما داخل المقابر وكأن أحداً ما ينتظر قدومه ..مما جعل عم عيد يرتعد أكثر فى مكانه فتحدث إلى الرجل ..

- بالله عليك لقد أنهيت مهمتى ، فلتُخرج الفتاةمن السيارة الآن لأرحل ، وكل منا يذهب إلى حال سبيله ، فأنا لم أراكم وأنتم لم ترونى.. أقصد أنت ، فهى لا حول لها ولا قوة ..

تأفف الرجل وهو يناوله المصباح بعد أن رأى أضواء أخرى تأتيه من داخل المقابر وهو يصيح:

- أصمت أيها الغبي ، هل تظن أنى سأُخرجها فى هذا الجو القارس قبل أن يأتى عبد الرحمن..

- ومَن عبد الرحمن ذاك ،أهو ملاك الموت..؟

- إنه حانوتى المقابر يا عيد.

- اللعنة .. هل لى أن أتحرك سريعاً بالله عليك..؟

لم ينطق الرجل بل زاد تمسكه بمعطفه حتى وجد تلك العربة الكارو التى يجرها حمار وأحدهم يجلس عليها وهى تقترب من سيارة الإسعاف ، وما إن إقترب منهم حتى هبط سريعاً وهون يُحدث الرجل:

- السلام عليكم يا شيخ .. أين الفتاة ..؟

- بالداخل يا عبد الرحمن

- إذن هيا بنا ، علينا إنهاء ذلك الأمر سريعاً .

- أتمنى ذلك ..

- هل رآك أحد..؟

- لا...لا تخف..

- أنت تعلم أنى أُخاطر.

قاطعه الرجل بحدة بإشارة من يده مُحذراً إياه وهو يفتح باب السيارة ليقفز داخلها ويدثر الفتاة بعدة أغطية ثقيلة وهى تنظر إليه فى بلاهة دون أن تُجيبه وهو يهمس فى أذنها :

- لا تخافي... ستدركين لاحقاً أن كل ما أقوم به لمصلحتك أنتِ... كل ما يهمنى هو أنتِ فقط... لا يهمنى أى شئ آخر ولا أى أحدٍ آخر.. كل ما أريده منكِ أن تستجمعى شجاعتك الفترة القادمة فقط.

قالها وفتح الباب مُشيراً إلى عبد الرحمن أن يقترب بعربته الخشبية، ليقوم بدفع كرسي الفتاة الذى استقر على العربة، بينما كانت الأغطيه لا تُظهر أى جزء من جسدها.

قفز الرجل مُشيراً لسائق عربة الإسعاف أن يتحرك ، والذى انطلق فور تلك الإشارة حامداً الله أنه أفلت أخيراً من هذا المكان المُقبض..

تابع الرجل السيارة ببصره حتى إختفت عن الأنظار ، وقد أفاق على صوت عبد الرحمن مُحدثاً إياه وهو يتحرك بالعربة الخشبية سريعاً بعد أن بدأ المطر فى الهطول..

- وهذا الرجل هل تضمن سكوته يا شيخ..؟

لم يلتفت إليه الرجل ، بل ظل نظره مُنصباً على كومة الأغطية التى تُغطى جسد الفتاة بالكامل ، ثم همس إليه قائلاً:

- أخبرتك ألا تخف يا عبد الرحمن ، فهذا الرجل لن يتحدث أبداً، فقد أعطيته ضعفى ما طلب ، وأنت أيضاً أعطيتك خمس أضعاف ، هل نسيت ..؟

تنحنح عبد الرحمن قائلاً :

- لم أنس يا سيدى ، ولكن تلك المقبرة ملعونة...

أومأ الرجل برأسه قائلاً:

- أعلم ذلك...

- أنت أخبرتنى أنك لن تحدثنى عن أي شئ...

- ولن أُخبرك عن أى شئ ،كل ما أريده منك أن تتوقف عن الأسئلة ...

كان الحصان يسير سريعاً وهو يلتفت يمنة ويساراً هو الآخر ، وكأن شياطين الجحيم تُحدثه بأن يهرب ، حتى توقف فجأة ... فحاول الحانوتى أن يحثه على السير فرفض ، وهو يصهل بشكل متواصل ، مما جعل الحانوتى يرتعد أكثر وهو يقفز إلى جواره مستحثاً إياه على التحرك ... حتى أشار إليه الرجل بالتوقف عن دفع الحصان الذى لم يتوقف لحظة عن الصهيل:

- أسكِت هذا الحيوان وإلا أصبته بالرصاص ..؟

هتف عبد الرحمن فى توتر قائلاً:

- هو مرعوب من المكان يا شيخ، ولن يتحرك متراً آخر.

تنهد الرجل فى نفاد صبر وهو يتلفت حوله قائلاً:

- أين القبر المطلوب..؟

- هناك يا سيدى ، إنه ذلك القبر القابع فى الظلام وحيداً.

قالها عبد الرحمن وهو يشير إلى قبر يحيطه سور مُتداعى الأركان ، كان يوجد أعلاه علم أسود يرفرف فى شدة، ربما من تلك الرياح الآتية إليه من المنطقة المكشوفة ..

كان المكان كله مُقبض...صفير الرياح مع هزيم الرعد وصوت السيول ، بالإضافة إلى صهيل ذلك الحصان الذى لم يتوقف..

كانت المسافة لا تتعدى المائتى متر فتوجه ناحية الفتاة قائلاً بلهجة آمرة:

- إذن هيا بنا ، فلن نقف مكتوفي الأيدى طوال الليل ، سنحملها سويًا أنا وأنت حتى المقبرة ، ولتفعل بعدها ما اتفقنا عليه.

فهرول الحانوتى وهو يزدرد لعابه فى خوف إلى جواره مُساعداً إياه فى إنزال الفتاة وحملها.. ولم تطُل التساؤلات كثيراً فى رأس عبد الرحمن ، فكل ما كان يدور فى رأسه فى تلك الأثناء أن هذا الرجل الذى جاء إليه من أسبوعين طالبًا منه معرفة مكان إحدى المقابر، وعندما أخبره عن مكانها كان الإتفاق مقابل مائتى جنيه كاملة..

فقد كان الإتفاق على مساعدته فى البيات ليلاً هو ومن معه فى تلك المقبرة .. مما جعله يندهش من ذلك الطلب ، فهو يعلم أن المقبرة ملعونة لأحد السحرة منذ زمن بعيد.. وقد علم من والده ومن جده بحكم أنهم يتوارثون المهنة أباً عن جد... أن أحد الملعونين مدفون داخلها دون أن يعلم حتى اسمه... كل ما يعلمه أنه ممنوع الإقتراب منها... ممنوع الدفن بجوارها... حتى تلك الأصوات التى كانت تأتيه ليلاً قادمة منها مع صراخ أطفال ونساء ، لم يلتفت إليها ، فهو حانوتى المنطقة ، وكم من عشرات الأشياء التى تحدث دون أى تفسير فى تلك المناطق، وكل ما كان يعلمه هو ذلك العلم الأسود الذى لم يتغير منذ عشرات السنوات ، منذ أن علقه والده فى هذا المكان مُحذراً إياه من الإقتراب من هذه المقبرة مهما حدث ..

كان الأب فى أواخر أيامه قد قام بزيارة ليلية لهذا القبر بعد ملاحظته لتلك السيارة التى توقفت بالقرب منه ، وعندما تتبع فى رعب هؤلاء الزوار الذين كانوا بتلك السيارة حتى داخل المقبرة ، لم يجد أحداً بالداخل ... وفى الصباح وجده ابنه عبد الرحمن مغشياً عليه بجوار أسوار القبر ، إلا أنه عند سؤاله له عما حدث لم يستطع إخباره عما رآه بالمقبرة ولا ماذا حدث له ..؟ ، فقبل أن يُكمل أصابه شلل وخرس حتى توفى بعد أيام قليلة ..ومن وقتها لم يقترب عبد الرحمن من تلك المقبرة الملعونة .. ولولا حاجته للمال ما كان فكر فى الافتراب منها مرة أخرى..

توقف الاثنان بعد أن وصلا إلى باب المقبرة الخارجى ، فأخرج مصباحه الكهربي وسلطه على القفل الذى واجه صعوبة فى فتحه ، بينما الرجل يستحثه على الإسراع فالفتاة بدأت تئن من الإختناق..

ولكنه لم يستطع فتح ذلك القفل فقام بكسره ،وسار نحو الداخل يتبعه الرجل حاملاً تلك الفتاة ، حتى توقفا أمام باب حديدى، فإقترب الحانوتي منه وهو يزيح مزلاجه الحديدى كاشفاً عن درج يهبط به إلى الأسفل..

هُيأ لعبد الرحمن أن هناك إستغاثة وصوت غاضب يهتف من الداخل فتوقف مُشيراً إلى الرجل الذى كان يحمل الفتاة فى تلك الأثناء وحاول أن يتحدث لكنه إصطدم بتلك النظرة النارية من الرجل الذى بدأ فى التمتمة بعدة كلمات لم يفهمها الحانوتى وكل ما سمعه هو ...

(اهيا شراهيا ادونای اصباؤت ال شدای)

لم يمهله الرجل فى التفكير بل صرخ به فى لهجة آمرة مُشيراً له أن يحمل الكرسي ويهبط معه ، وبالفعل ما هى إلا دقائق حتى كان ثلاثتهم على الأرض الطينية المشبعة برائحة الموت فى ممر طوله حوالى عشرة أمتار ، بينما قبعت غرفتان أحدهما على اليمين والأخرى على اليسار ..

تشمم الرجل الهواء وكأنه كلب يتشمم أثراً ، فنظر ناحية اليسار ووضع الفتاة على كرسيها المتحرك ، بينما صرخ عبد الرحمن فى هذه الأثناء بعدما كاد قلبه يتوقف عن الخفقان مهللاً:

- يا شيخ هنا تنتهى مهمتى ، فقد قمت بعمل كل ما أمرتنى به ، والآن لن أخطو خطوة أخرى أو أقوم بعمل أي شئ آخر.

إلتفت إليه الرجل قائلاً فى حزم :

- أنا لم أطلب منك شئ آخر ، لقد قمت بعمل كل ما أمرتك به فعلاً حتى الآن ، والآن عليك تنفيذ بقية الإتفاق.

نظر عبد الرحمن إلى ساعته التى كانت تشير إلى قرب الواحدة وخمس وأربعون دقيقة فقال وهو لا زال يرتعد:

- حسناً... فى تمام السابعة صباحاً سأعود.

- إذن هيا.. فلتغادر الآن.

تردد عبد الرحمن فتمتم قائلاً :

- ولكن..

- ولكن ماذا..؟

- هل لا زلت تُصر على إغلاق الباب الحديدى عليكم من الخارج يا شيخ.

هتف الشيخ فى حزم :

- نعم..

لم يجد عبد الرحمن بُداً من تنفيذ ما أمره به الرجل فتمتم قائلاً :

- حسناً ... فليكن الله فى عونك أياً كان ما كنت ستفعله ..

إستدار عبد الرحمن لينصرف ولكن الرجل إستوقفه قائلاً:

- ستعود..؟!!

- نعم يا سيدى ، لا تخف لقد وعدتك..

- حسناً..

وبالفعل قفز عبد الرحمن العشر درجات حتى وصل إلى الباب الحديدى مُغلقاً إياه ، من الخارج والباب يُصدر ذلك الصوت المعدنى المزعج ، بعد أن ترك المصباح بجوار الرجل والفتاة .

إقترب الرجل من الفتاة التى كانت لا تزال تنظر إليه فى بلاهة، والتى بدأ لعابها يسيل على جانبى فمها دون إكتراث ، فأخرج حقيبة قماش صغيرة كانت على ظهر الكرسي ، وبدأ يرسم نجمة سداسية على أرضية المدفن ، ثم أخرج ست شمعات سوداء اللون ووضعها على رأس كل حرف مثلث ، ليُخرج من كيس آخر طائر أسود اللون مُقيداً أجنحته ومنقاره فى جسده ، وبمجرد أن فك قيوده حتى بدأ ينغزه بسكين فى جسده وبدأ صياح الغراب يزداد كلما نغزه بالسكين فى جسده.. ثم جلس فى وسط الدائرة قابضاً على رقبة الغراب وقام بذبحه على الدائرة والجدران حتى تلطخ المكان كله ، وبدأ بكتابة عدة أحرف على رؤس المثلثات أسفل الشموع ، وكتب على جبهة الفتاة، ثم قام بخلع ملابسها بالكامل ليكتب تلك الحروف على كل ما وصلت إليه يداه ..

(ع ف ا ر)

أجلس الرجل الفتاة فى منتصف الدائرة على الأرض وخرج منها ليجلس إلى جوار المدخل وهو يسجد للفتاة وقد مد يديه عن آخرهما وقد بدأ فى الترتيل..

- احما حميثا اطما طميثا..العجل العجل..عزَّمت عليك يا سيد الأرض وما أسفلها .. بحق اهيا شراهيا ادوناى اصباؤت ال شداى ثم السبيل يسره .. إحضر فوراً يا سيد الأراضي السفلية..اجاجوج اجج..شوشان..أجيبوا ياخُدام هذه الأسماء.. قش شاقاش..احما حميثا اطما طميثا..العجل العجل .. الساعة الساعة..

ظل الرجل فى الترديد دون أن يرفع جبهته من على الأرض.. مرت ثوان ، فدقائق ، فساعات ، والرجل لا يمل من الترديد ، وعلى الرغم من البرد القارس المحيط بالمكان إلا أنه كان يقطر عرقاً دون أن يتوقف عن ترديد تلك الكلمات ولو لثانيه واحدة.كان مقتنعا ان عليه ترديدها ولو ظل العمر بأكمله .. بدأ يشعر أن الغرفة تزداد سخونتها ، وبمجرد شعوره بذلك خُيل إليه أن هناك شيئاً ما يعبث بأصابعه .. فرفع عينيه فوجد طفلاً أزرق اللون .. أو هكذا خُيل إليه ، لكنه فى الحقيقة كان شيئاً ذو وجه مطموس دون ملامح ، طوله أقل من نصف متر ، ذو وجه مثلث الشكل وفتحتي عيونه بلا عيون ..ركز الرجل فى ملامحه ، ولكنه نظر فى طرف الغرفة فوجد أن هناك واحداً آخر..و هناك إثنان آخران بالقرب من الفتاة .. فلم يتوقف فقد شعر أن تلك هى المقدمة ،فسجد أكثر ورفع صوته بالكلمات أكثر فأكثر ، وهنا شعر أن الغرفة التى كانت مليئة بتلك المسوخ تهرب .. فنظر إلى الفتاة فوجدها تتحرك وتجلس معتدلة وبجوارها كانت هناك ظلال تدور وتلتف حولها فى الغرفة.. فرفع جسده من على الأرض وهو ينظر إلى الفتاة التى كانت تحاول أن تستند إلى قدميها فتقف وهى تفرد يديها فى الهواء..

كان يتطلع إليها فى ذهول وهو يرى حجمها فى إزدياد وقد بدأت فى النظر إليه .. فتحاشي أن ينظر إلى عينيها التى تحولت إلى اللون الأبيض وجسدها الذى كان أقرب إلى الشيطان ، وخاصة بعد أن شعر أن قدماها لا تلمس الأرض..

رفعت الفتاة يدها مشيرة إليه فوجد نفسه وكأن شيئًا ما يرفعه عن الأرض رغماً عنه مُلصقاً إياه فى الحائط ، وهو يشعر أن هناك يداً ما تقبض بشدة على رقبته..

كانت تلك العيون البيضاء للفتاة فقط هى التى كانت تنظر إليه وهو يكاد يختنق وصوتاً ما يخترق عقله فى غضب:

- اللعنة عليك أيها البشرى ، ألم أُحذرك مرارًا من أن نلتقي مرة أخرى.؟

- الترضية يا سيد الأرض .

- سبق وفشلت في تقديمها أيها البشري القذر.

- نعم لقد أخطات يا سيدى وقمت أنت بمعاقبتى حتى الآن.. سنوات وسنوات ، وفى كل دقيقة أدفع ثمن أخطائي .. الترضية يا سيد الأرض.

- لا..

- لماذا لا..؟، لقد فعلت كل ما طلبته.. بل أكثر مما طلبته..لقد عاقبتنى كما رضيت.. لم أعترض و رضيت..

- ما الذى أتى بك إذن ..؟

- تعبت يا سيدى ، فلم أعد أقوى على الإحتمال .. هى أيضًا فى رمقها الأخير.. لقد أتيت بها من المشفي حالاً بعد أن قرر الأطباء أنها ستموت بعد عدة أيام.. الترضية يا سيد الأرض..

- هذا هو عمركم البشرى أيها القذر.

- نعم يا سيدى فكلنا مصيرنا إلى التراب.

- حيثما كنتم وأينما بدأتم ، تلك هى الأرض منها تأتون وسوف تعودون إليها..

- نعم يا سيدى لكنها...لكنها...

- لكنها ماذا...؟

- سيدى أنا أكاد أختنق .. فلتأخذ روحى أنا ولكن دعها هى .. إنها ابنتى الوحيدة يا سيدى ، ما الذي سوف تكسبه بعد موتها..؟ ، سآتى لك بكل ما ستطلبه.. ما هى إلا مسألة أيام يا سيدى .. و لديك كل الحق فى الموافقه حتى تعيد الكَرة من جديد..

- وإذا لم.....؟

- لا .. لا يا سيدى ، أنت تعلم أن كل ما أريده هو الترضية..

- و هل أنت قادر على دفع الثمن..؟

- نعم .. أقسم لك ، سوف أفعل كل ما ستطلبه..

سقط الرجل بعد تلك الكلمة وهو ينظر إلى ابنته التى كانت تدور حول الغرفة مُقتربة من السقف .. كان المنظر يقذف الرعب فى قلوب أقوى الرجال ، لكن ذلك الرجل كان يعلم أنها الفرصة الأخيرة .. فسجد مرة أخرى إلى الأرض لاصقاً جبهته بها قائلاً:

- العجل العجل .. عزمت عليك يا سيد الأرض وما أسفلها .. بحق اهيا شراهيا ادوناى اصباؤت ال شداى ثم السبيل يسره .. الترضية .. أقبل ياسيدى..اقبل ..اقبل..اقبل..اقبل

سكت فجأة عندما سمع صوت الباب الخارجي يُفتح فجأة ويطل من خارجه عبد الرحمن الذى أطل برأسه صائحًا:

- السابعة .. إنها السابعة يا شيخ..

***

الأول من ديسمبر عام 2006 فى إحدى مناطق السيدة زينب بالقاهرة

***

انتهى العمال من حمل متاع الشقة ووضعه بداخل عربة نقل كانت تستقر أمام المنزل وبجوارها وقفت تلك السيدة التى كانت ترتدى السواد ، والتى تقترب من نهاية الخمسينات وهى تنظر بحسرة إلى شقتهم التى عاشوا فيها عدة سنوات كانت من أجمل أيام العمر .. فتحت كيس نقودها لتعطي للعمال أجورهم بينما اقترب منها صاحب المنزل قائلاً فى توتر:

- هل ستظل ابنتك فى الأعلى يا حاجة فاطمة..؟ ، السكان الجدد على وصول وأنا..

لم ترد عليه المرأة ، بل نظرت بحنق إليه وأشارت إلى السائق قائلة فى صوت يخنقه البكاء:

- أمهلنى دقيقة فقط يا فتحى ، سوف أُحضر ابنتى ونتحرك معك ..

- هيا بالله عليك يا حاجة فاطمة ، أُريد أن أدخل اسكندرية قبل هطول الليل فأنا لا أرى جيدًا لأقود ليلاً كما تعلمين .

- أعلم... أعلم..دقيقتين فقط..أنت تعلم مدى ارتباطها بوالدها وبعد ذلك المنزل كان الله فى عوننا جميعًا.

تركته لتصعد إلى الشقةالتى أصبحت خالية تمامًا لتبحث عن إبنتها التى وجدتها تجلس على أرضية إحدى الغرف العارية وهى تدفن رأسها بين يديها وتبكى

بشدة .. فإقتربت منها أمها لتربت على رأسها فى حنو وتجلس بجوارها لتحتضن ابنتها قائلة فى حب:

- إنه أمر الله يا ابنتى ، كلنا الى زوال..هل تريدى أن يراكِ وأنتِ فى تلك الحالة..؟ ألا تعلمى أن الموتى يشعرون بحزن أحبائهم...؟ ، هيا لنذهب إلى منزلنا ونترحم عليه وندعو الله أن يُلهمنا الصبر على فراقه.

- ولكن هذا المكان وهذا.....

قاطعتها أمها وهى تسندها للخروج من المنزل وهى تتطلع إلى أرجاء الشقة الفارغة فى حسرة قائلة:

- رغمًا عنا نتركها يا ابنتى ، فصاحب المنزل يُصر على طردنا منه بعد أن باع الشقة، والسكان الجدد على وشك الوصول.. والقانون معه.. هيا بنا فأشقائك فى الإنتظار .

خرجت معها الفتاة وهى تُلقى نظرة أخيرة إلى ذلك المنزل الذى شهد أجمل ذكرياتها، وترفع رأسها إلى السماء وتهمس له وكأنه يسمع صوتها وتبتسم للمرة الأخيرة عندما شعرت أنه يراها من أعلى..

كانت تشعر بالفعل أن كل ذكرياتها السعيدة بين تلك الجدران .. بين تلك الأزقة المتقاربة فى هذا الحي الشعبي البسيط فى القاهرة..

ومن داخلها كان ينمو ذلك الشعور الغريب بأنها لن تشعر بالسعادة أبدًا فى السنوات القادمة .. هذا ما أخبرها به قلبها الذى لا يُخطأ أبدًا..

بدأت السيارة فى التحرك نحو الأسكندرية، بينما أمسكت الفتاة بدفتر مذكراتها الخاصة وبدأت فى قراءة ما كتبته ربما للمرة العاشرة.

***

(((هى تلك النصيحة التى سمعتها ذات مرة من طبيب نفسي كنت أتابع حلقاته التليفزيونية، والتى علمت منها أنه بمجرد شعور المرء بالضغط العصبي عليه البدء فى كتابة مذكراته... فحين يُخرج الإنسان مشاعره الدفينة التى ظلت حبيسة صدره لترى النور فإنه يتخفف من عبء تلك المشاعرالتى توشك أن تقضى عليه حين تنفجر بداخله ويدرك حقيقة تلك المشاعر وينظر إليها وقد غمرها النور لتظهر على حقيقتها .

تلك المذكرات التى حاولت جاهدة أن أقص فيها ما حدث معي ، وتحديدًا خلال آخر عشر أسابيع من حياتى ، قد غيرتها تمامًا..

ربما تكون حياة مملة عادية رتيبة من وجهة نظر من سيقرأ تلك المذكرات ، فأنا أعشق الكتابة، وأعشق رؤية سطورى مقروءة.. وربما حاولت أن أنشرها فى مجلة ما فى وقت ما .. بالرغم من أنى أرى تلك المذكرات عادية جدًا .. لن تري فيها رومانسية مُفرطة أو حوادث ..

مهلاًلا أُخفيكم سرًا أن مجرد التفكير فى كتابتها وروايتها علي من يقرأها بعدى متعة لا تضاهيها متعة أخرى، حتى وإن فرغت من أى شئ.. وربما أعود أنا للمرة الثانية لقراءة ما كتبت.. فلا تتسرعوا فى إبداء النقد ، سأخبركم عن نفسي..

أنا فتاة من أسرة عادية جدًا ، ربما أنتمى إلى تلك الطبقة الكادحة والتى يطلق عليها تجاوزًا الطبقة المتوسطة، فوالدى يعمل موظفًا بسيطًا فى مصلحة الجمارك المصرية فى محافظه القاهره.. شأنه فى ذلك شأن آلاف بل وملايين المصريين البسطاء الذين يسعون إلى كسب رزقهم بالحلال..مُرتبه بالكاد يكفيه للإنفاق على أسرتنا المكونة من أمى فاطمة السيدة الريفية الطيبة ، والتى لا زالت تحمل العديد من الملامح والطباع البسيطة والتى يتميز بها أهل الريف المصري ، على الرغم من قسوتها علينا فى بعض الأحيان لكنها مؤمنة جدًا بذلك المثل الريفي الذى يجعل من كسر أحد أضلع الفتاة هى الطريقة المُثلى للتربية الصحيحة ..

أما أخى الأكبر ممدوح فهو فى السنة النهائية فى كلية العلوم بجامعة الاسكندرية ، الاسكندرية.. بلدى حبيبتى وموطن أسرتى التى لم يتبق منها إلا أختى الصغرى فاتن وهى فى الصف الخامس الابتدائي فى أحد المدارس التقليدية فى القاهرة ..

أما هذا التشتت فكان بسبب إستقرارنا فى القاهرة بسبب عمل والدى ، الذى حاول جاهدًا الإنتقال إلى الاسكندرية ولكن دون أى جدوي ، ونظرًا لكثرة إلتزامات أبي المسكين وقله دخله بسبب كثرة طلباتنا التى لا تنتهى كان عليه أن يعمل عملاً إضافيًا، فكان يعمل كسائق تاكسي بعد مواعيد عمله الرسمية والتى تنتهى فى الرابعة مساء.. فكان يعود سريعًا إلى المنزل ليتناول غذاءًا خفيفًا ويرتاح قليلاً حتى تمام الخامسة وينزل للعمل مرة أخرى ويظل يعمل من السادسة على سيارة التاكسي حتى الثانية بعد منتصف الليل ..

كان دومًا يرفض تمام الرفض أن يعمل أحد أبنائه ليصرف على نفسه على الأقل ، وكانت لديه جملته المشهورة التى حفظها الجميع عن ظهر قلب:

- طالما لى نفس فى هذه الحياة ويد تعمل وعرق على جبهتى لن أدع أحد من أبنائي يعمل وأنا قادر على الصرف عليهم.. لتترحموا عليّ عند موتي

لذا أصبحنا لا نراه كثيراً إلا فى الأجازات فقط .. فكان يعمل بكل جهده حتى يوفر لأسرتنا البسيطة إحتياجاتها الضرورية ، ومما زاد من أعبائه دخولى كلية التمريض جامعة القاهرة..دون أن ندرى أنها من الكليات التى تلزم لها مصاريف كثيرة وأدوات ومراجع و حضور شبه يومي فى السكاشن والكثير من الطلبات التى لا تنتهى ، ولكن أبي حاول جاهدًافى تلبية كل ما أطلبه وما لم أطلبه حتى نجحت بإمتياز فى العام الأول وإنتقلت أخيراً للفرقة الثانية .

واستمر شتات شمل أسرتنا طوال هذه المدة، ففى منتصف الإسبوع نسافر أنا وأختى ووالدتى إلى منزلنا بالاسكندرية لقضاء بعض الوقت مع أخى والذى كان

من المستحيل نقل أوراقه للقاهرة، ثم نعود مرة أخرى لتلك الشقة البسيطة التى قام جدي بتأجيرها منذ سنوات كثيرة عندما كان يقيم فى القاهرة ،ولا أُخفيكم سرًا تلك المحاولات المستميتة لصاحب العمارة للإتفاق مع والدى على إخلاء الشقة لكن دون أى جدوي ، على الرغم من حاجتنا للمال ، لكنه كان يقول دائمًا أن تلك الشقة البسيطة من رائحة والده كما أنه لا يستطيع تأجير مكان آخر بهذا المبلغ البسيط..

اه ... لقد نسيت ، كعادتى دائمًا أنسى الأهم وأتذكر التفاصيل المملة .. ربما يتساءل بعضكم من أنتِ ..؟

اسمي شفاء .. نعم شفاء .. هل يروق لكم ذلك الإسم ..؟ ربما كان وقعه على مسامعكم غريب،وربما لم تسمعوه من قبل.. عمرى عشرون عامًا من مدينة الاسكندرية كما أخبرتكم ..

هل تعلمون..؟، لقد كانت حياتنا عادية جدًا ، نشكر الله فى جميع الأوقات ، ولم نتوقف عن التفكير فى الغد ، ونوقن بالطبع بأن غدًا سيكون أفضل ، ونحمد الله كثيرا على نعمة الستر.

حتى جاء ذلك اليوم الذى أحفظ تاريخه عن ظهر قلب يوم الحادى عشر من نوفمبر عام 2006 ، أتذكر هذا اليوم لأن أمى وشقيقتى كانتا فى الاسكندرية ، وكنت سألحق بهم فى صباح الغد نظرًا لتعذر سفرى معهم صباح اليوم لوجود اختبار عملى مر بسلام والحمد لله ، وكنت سأظل معهم ليوم الاثنين القادم ، والذى سنعود فيه مساءًا للقاهرة.

كنت فى كليتى فى ذلك اليوم وعندما عدت إلى المنزل فى حوالى الساعة السادسة مساءًا كان غارقًا فى الظلام الدامس فدخلت إلى غرفتى فى هدوء وقد إعتدت على انقطاع التيار الكهربائي فى الحي بأكمله كل عدة أسابيع.. ولكن بمجرد أن

قمت بتغيير ملابسي على ضوء هاتفي المحمول الخافت وجدت أن هناك جسدًا ما مغطى بملائتي القديمة على فراشى.. فوجهت ضوء الهاتف إلى ذلك الجسد بعد أن كاد قلبي يتوقف رعبًا..كان مغطى بأكمله من رأسه إلى أخمص قدميه ، فتقدمت إليه فى خوف ولكن التيار الكهربي عاد فجأة فى ذلك الوقت فحانت منى إلتفاتة على قدم ذلك الجسد فعرفت أنه والدى المُجهد دومًا.. فقد عاد من نوبة عمله وفات عليه ميعاد إستيقاظه فإقتربت منه ضاحكة:

- أبى... اللعنة... ألا تدرى أنك كنت ستخلع قلبي وتصيبنى بسكتة قلبية حرفيًا الآن... لماذا لا تنام فى غرفتك أيها العجوز..؟، هيا استيقظ وإلا فاتتك الوردية المسائية وعند عودتك ستجدنى قد أعددت لك طعامًا ساخنًا، ربما لم تذقه من أيدى أمى من قبل... بدلاً من تلك السبانخ التى أعدتها أمى لك ، ولا أعلم لما تشتهيها يا والدى ، أقسم لك أنى لن أقترب منها حتى وإن مِت جوعًا..

أبي هيا... لا داعى للكسل أيها العجوز.. أبي .. أبي ..

نعم.. كما توقعتم تماماً ، فقد مات أبي المسكين.....)))

أغلقت شفاء المذكرات بقوة وعيناها تدمعان وهى تنظر إلى ما تبقى من آثار القاهرة فى طريقها الممتد بدون ملامح ، إلى مالا نهاية

***

الفصل الثانى

البداية

***

مع كل بداية وكل خطوة نحو تحقيق الحلم نقابل العقبات التى تتدافع فى الطريق لتعوقنا عن مواصلة الطريق،أحيانًا يستبد بنا اليأس ليقعدنا،فقط إرادتنا وإصرارنا على بلوغ أهدافنا هى من تعيدنا مرة أخرى لإستكمال الطريق ومواجهة تلك العقبات.

***

مر أسبوعان على الإستقرار فى الاسكندرية، ولا زال الجميع فى حالة صدمة من فقدان العائل الوحيد لأسرتهم ، وبالطبع كان هناك الكثير والكثير من المتاعب والصعاب التى واجهتهم بعد الوفاة مباشرة .. فعبء الإنفاق على الاسرة قد إنتقل ليقع على كاهل الإبن، فكان صباحًا فى كليته ، أما فى المساء فبدأ عمله فى أحد الورش القريبة من المنزل رافضًا هو الآخر أن تعمل شفاء بعد أن أصبح مُلزمًا بمسئولية والدته وشقيقتيه.

أما زملاء والدهم فى الجمارك فقد قاموا بكل ما يلزم من إجراءات فورية لصرف المعاش ، وصرف مكافأة نهاية الخدمة..حتى صاحب السيارة التى كان يعمل عليها الأبأخرج من ماله مبلغًا لا بأس به ليعين الأسرة حتى يكون لها دخل ثابت ، وفى أغلب الأوقات كان يهاتفهم للإطمئنان عليهم وقد أرسل ابنه الوحيد أدهم إلى الأسكندرية لإعطائهم المبلغ والإطمئنان عليهم ، ومعرفة ما إذا كان يستطيع إسداء أية خدمات يستطيع القيام بها لمساعدتهم.

أما أدهم فقد حاول فى الكثير من المرات الإقتراب من الأسرة والتخفيف عنهم والتودد إلى شفاء التى وقع حبها فى قلبه بمجرد رؤيتها عندما كان والدها يقوم بتوصيلها إلى جامعتها ، لكنها كانت صارمة فى كل الأوقات..

فقد حاول التوسط مع والده لصاحب المنزل فى القاهرة حتى يترك شفاء ووالدتها فى الشقة، لكن كان الرفض دومًا من جانبه بحجة أن عقد الإيجار يمتد للإبن فقط وهو رب الأسرة الراحل.. وبالتالى فإنه بعد وفاته المُفاجئة يكون العقد

قد إنتهى.. وبالطبع رفض كل محاولاتهم المستميتة للبقاء حتى نهاية العام ..

وعند رحيل أدهم شد على أيدى شفاء مُعطيًا إياها ورقه برقم هاتفه طالبًا منها أن تُخبره إذا احتاجت لأى شئ فى القاهرة، فهم أهل على حد قوله ..شكرته شفاء كثيراً ووعدته أنها ستكلمه فى حال احتياجها له .

أما شفاء نفسها فكانت مشكلتها الأساسية فى الكليه الملتحقة بها أنها كانت فى أواخر ديسمبر وبالطبع كان من المستحيل التقديم فى أى مكان داخل المدينةالجامعية..حيث تكلفة الإعاشة فيها منخفضة جدًا بالنسبة لأى سكن وإعاشة فى الخارج.. حتى ولو كانت غرفة فوق سطح منزل..

وعند محاولة تحويل أوراقها لجامعه الاسكندرية كان القرار هو أن يكون ذلك فى بداية العام الجامعى حيث أنه لا يمكن تحويل أوراقها الآن ، مما أصابها بالإحباط الشديد.

فكان آخر حل لديها هو تأجيل السنة بأكملها..ولكن بعد دفع كافة مصاريفها الدراسية ،أما عن تلك المصروفات التى أنفقتها على النصف الأول من العام الدراسي كان من المستحيل التخلى عنها .. وبالطبع أيضًا كان من المستحيل الذهاب يوميًا إلى القاهرة والعودة إلى منزلهم فى الاسكندرية..

وللأسف علمت ذلك بعد أسبوعين كاملين من السفر يوميًا إلى القاهرة، فكانت تذهب إلى الكلية صباحًا ثم تخرج لتبحث فى عشرات الأماكن التى يمكن أن تسكن بها.. كان أقصى طموحها غرفة فى أى مكان أو حجرة مشتركة فى بيت مغتربات و لكن البحث فى نهاية العام الدراسي كان ضربًا من المستحيل.. أخبرت كل زميلاتها للبحث معها لكن هيهات ..

على الرغم من إلحاحهن عليها بالمكوث مع إحداهن حتى نهاية العام ، لكنها كانت ترفض الشعور بالشفقة من أى شخص..

حاولت حتى الإتصال بأدهم للبحث عن أى غرفة، والذى أقسم لها أنه سيعمل جاهدًا للبحث لها عن أى مكان لإقامتها.. ولولا أنه يعلم أنها سترفض قطعًا كان هو ووالديه سيسعدا جدًا لإستضافتها ببيتهم حتى إنتهاء إختباراتها، لكن كل مجهوداتها تلك ذهبت سدى ، فلم تستطع توفير سكن بالقاهرة خلال تلك الفترة .

كانت الأيام تمر حتى سريعًا حتى وصلت إلى مرحلة اليأس..نعم فقد يئست .. ودفعها إلى ذلك كل الأشياء من حولها.. ولم تجد لها أى مخرج من النكبة التى حلت عليها بالفعل..كل يوم كانت تقطع فيه الطريق إلى القاهرة ذهابًا وعودة جعلها تشعر أنها تُستنزف ماديًا وجسديًا لكن دون جدوي.. فقد كانت فى بداية حياتها تسعى لتحقيق حلمها فى التخرج لمساعدة أسرتها، ومع كل بداية وكل خطوة نحو تحقيق الحلم نقابل العقبات التى تتدافع فى الطريق لتعوقنا عن مواصلة الطريق ، أحيانًا يستبد بنا اليأس ليقعدنا ، فقط إرادتنا وإصرارنا على بلوغ أهدافنا هى من تعيدنا مرة أخرى لإستكمال الطريق ومواجهة تلك العقبات .

وبعد أن فشلت جميع محاولاتها وإستقرت فى منزلها بالاسكندرية يائسة من كل شئ فوجئت برقم مجهول يدق هاتفها بإستمرار ،فأجابت فى دهشة لتستمع إلى ذلك الصوت النسائي الآتى إليها صباحًا من القاهرة :

- مرحبًا يا شفاء... أنا أمانى صديقة لإحدى صديقاتك، وقد علمت بمشكلتك وأعتقد أن لدىّ حل .

أجابتها شفاء وهى تكاد تقفز طربًا بعد سماعها لتلك الجملة :

- مرحبا بك يا أمانى...هل تقصدين موضوع السكن فى القاهرة...؟

- نعم .

- بالله عليكِ كيف..؟

- الموضوع بإختصار أن لى قريبة من أسوان وتدرس بجامعة القاهرة فى أولى

أعوامها ، وقد أخذت شقة فى أحد الأحياء القريبة من الجامعة ولكن لظروفها الخاصة إضطرت لتركها.

قاطعتها شفاء مُسرعة دون أن تتركها تُكمل ما تود أن تقوله:

- ولكن .... هل أستطيع أن أحل محلها في.....

قاطعتها أمانى فى رفق:

- مهلاً يا عزيزتى... فأنا لا أعلم المكان جيدًا ، ولا أعلم هل لازال محجوزًا أم لا...؟، كل ما أعلمه أنك فى ضيق شديد ولا تجدى أى مكان آخر ، لذا سأعطيك رقم السمسار ، وهو سوف يقوم بعمل اللازم بإذن الله ، فبالتأكيد لديه عشرات الأماكن....

قاطعتها شفاء مُسرعة:

- حسنًا.. حسنًا.. أعطينى الرقم.

وخلال دقائق كان الأمل قد عاد لشفاء مرة أخرى ...

عم (غفران) السمسار...

حاولت شفاء الإتصال بالرجل عشرات المرات ولكن هاتفه كان مغلقًا ..فإنتظرت حتى المساء حتى قام بالرد عليها أخيرًا، وأعطاها عنوان عمله قبل الدخول فى أية تفاصيل،ولما كان العنوان قريبًا من الجامعة، فقد كان عليها الذهاب صباحًا إلى جامعتها والإنتهاء من محاضراتها المسائية ومقابلته سريعًا حتى تستطيع الإستفسار منه عن أى مكان يصلح للسكن ، وتعود للحاق بقطار العاشرة مساءًا، وهى تأمل أن تجتهد فيما تبقي من عامها الدراسي بأى شكل حتى تشعر أنها قدمت شيئًا ما يستحق إلى أبيها...

***

فى مساء اليوم التالى ، وبعد إنتهاء شفاء من محاضراتها، كان عليها التوجه سريعًا إلى ذلك العنوان الذى يقطن فيه السمسار فى تلك الحارة الضيقة المتفرعة من أحد الشوارع الجانبية بجوار جامعة القاهرة.

أخذت تسأل كل المحلات فى تلك المنطقة عن تلك الحارة الضيقه، حتى إنتهى بها المطاف إلى أحد الأزقة الجانبية، والتى كان يبدو وكأنها خالية تمامًامن السكان والحركة ، وخاصة بعد تلك الرياح الباردة التى بدت فى الأُفق ، إلا من بعض القطط التى وقفت تنظر إليها بإندهاش وكأنها تستنكر وجودها فى تلك المنطقة، وهى تُصدر ذلك الهواء المخيف دونما سبب.

أخذت تنظر فى الورقة وتبحث عن المنزل رقم (17) حتى وصلت إلى أحد البيوت القديمة، وكان فى الدور الأول أحد الدكاكين التى يبدو أن الزمن لم يمر عليها أو كأنها موجودة منذ عشرات السنوات بذلك الديكور القديم من الرفوف الخشبية والتى لم يكن يوجد عليها إلا علب سجائر والكثير من علب السلمون والجبن فقط.

إقتربت الفتاة أكثر فأكثر ومدت رأسها إلى داخل الدكان حيث كان هناك خلف المكتب القديم عجوز يبدو أنه قد تخطى الثمانين من عمره ، يقرأ من مصحف قديم ، والذى هب مفزوعًا عندما صاحت عليه الفتاة فجأة :

- عم غفران..؟

صرخ العجوز غاضبًا وهو ينظر إليها بدهشة بعد أن كانت ستصيبه بأزمة قلبية :

- تبًا لكِ من فتاة .. من أنتِ..؟، ولماذا تصرخين بهذا الشكل...؟

أجفلت من رد فعل العجوز وقد تراجعت فى خجل وهى تتمتم:

- أعذرنى فأنا فى عجلة من أمرى ولا زلت أبحث عن حانوتك هذا منذ نصف

ساعة على الأقل فقد أرشدنى البعض بشكل خاطئ مما جعلنى أضل الطريق أكثر من مرة حتى وجدتك الآن.

- حسنًا... ماذا تريدين ..؟

قالها وقد قام بهدوء من خلف مكتبه مُستندًا على عكازه الخشبى ليتناول أحد علب السلمون الموجودة على أحد الأرفف الحانبية ويخرج بها إلى ضوء الشارع بعد أن بذل مجهودًا مُضنيًا فى فتحها .

حاولت أن تأخذ منه العلبة لتقوم بفتحها لكنه شكرها وأستمر فى فتحها حتى انتهى ليمد يده إلى أحد الأطباق البلاستيكية ويخرج لتراه بوضوح على ضوء العمود الوحيد المنير فى هذا المكان المُقبض .. ولكنه كان لا يبدو أنه يُنصت إليها وهى تحدثه عن طلبها.

دققت أكثر فى ملامحه فقد كان بالفعل عجوزًا قد تخطاه الزمن.. يرتدى جلباب فضفاض مقلم باللونين الأبيض والأخضر ويرتدى من فوقه جاكت قديم أصفر اللون ضمه بيديه إلى صدره إتقاءًا للرياح.

سعل العجوز فى وهن وإلتفت مرة أخرى ناحيتها ، وقبل أن تهمس أشار إليها بالصمت وهو ينظر إلى شئ ما خلفها..مُشيراً إليه بالتقدم بعد أن وضع السلمون فى العلبة البلاستيكية بجوار باب الحانوت..

إندهشت من سلوكه الغريب وخاصة عندما بدأ فى الإبتسام إلى شيئ ما خلفها ، وخاصة عندما شعرت بيد تلمس قدمها فى هدوء.. فإلتفتت وهى تظن أنه يضع طعام لقطة ما ، لكنها قفزت فى رعب عندما كان ظله فوق قدميها أكبر من مجرد ظلٍ لقط، لتجد نسناس أسود اللون متوسط الحجم يقترب من علبة السلمون وهو يُصدر صوت منخفض.. وكأنه يطلب عشاءه..ويشكر العجوز علي الوجبة.. وبدأ يتناوله فى نهم بينما إستند العجوز على قدميه ليجلس مستندًا إلى الأرض ويربت

على ظهر النسناس الذى ظل يُصدر أصواتًا بدت وكأنها آتية من العالم الآخر.. والعجوز يهمس مُوجهًا كلامه إلى شفاء دون أن ينظر إليها :

- هذا الحيوان المسكين كان ملك لأحد الجيران الذي يسكن فى طابق أعلى الحانوت لفترة كبيرة.. ومنذ عدة أشهر فاحت رائحة من شقته لنجد صاحبه متوفي منذ عدة أيام ، ولم يشعر به أحد إلا هذا المسكين .. صحيح أننا كنا نسمع صراخ لهذا النسناس ليلاً لكننا لم نلتفت لصراخه.. وبعدما قمنا بدفن صاحبه إختفى النسناس ولم نعد نراه أبدًا.. أحيانًا نراه فى المساء يجلس بجوار صفائح القمامة ليتناول ما يسد به رمقه وهو ينظر حزينًا إلى شُرفة صاحبه فى الأعلى .. إقترب منى ذات يوم لأقوم بإطعامه وكأنه حيوان أليف..ومن يومها ونحن أصدقاء.. يأتى إلىّ فى المساء ليتناول تلك الوجبةالخفيفة، ثم يعود مرة أخرى إلى شُرفة.....

قاطعته شفاء فى عصبية واضحة وهى تهتف:

- عم غفران... بالله عليك ..هل لك أن تنتبه لما أقوله..؟ فأنا لم أقطع تلك المسافة حتى تخبرنى عن قصة حياة هذا النسناس .

جفل العجوز مره أخرى، وحاول أن يقوم لكنه لم يستطع، فمدت إليه يدها بتلقائية، لكنه تجاهلها فى غضب قائلاً :

- وأنا سألتك من أنتِ ولم تجيبي .

- بل أنت الذى لم تعطنى أية فرصة للحديث، ولم تسمع ما كنت أقوله وأنت تفتح تلك العلبة ،أنا من حادثتك هاتفيًا بالأمس وطلبت منك أن تجد لى غرفة فى أى مكان للسكن بجوار الجامعة ، وقد أخبرتك بتلك الظروف السيئة التى أمر بها.

تطلع إليها العجوز لبرهة مُحاولاً التذكر ، ووضع يده على جبهته قائلاً فى ضيق:

- نعم.. نعم.. لقد تذكرتك الآن ، فأنتِ قمت بالإتصال قرابة الخمسين مرة،

أنتِ من توفي والدك منذ وقت قريب وتريدين أى مكان للسكن بالقرب من كُليتك.

- نعم ...

- للأسف... لا يوجد ولو مكان بعيد حتى عن الجامعة، لو كان فى الإمكان توفير أى غرفة لم أكن لأتأخر، ويعلم الله أنى أريد مساعدتك يا بُنيتى ، لو كنتِ أتيتى ولو من شهر فقط كان من الممكن أن .....

- عم غفران .. حاول أن تجد لى أى مكان بالله عليك لأقضي فيه الشهور المتبقية من دراستى، وسأرحل فى نهاية العام الدراسي، بالله عليك .. فمستقبلي كله فى تلك الشهور .

- أقسم لكِ يا بنيتى أنه لو كان هناك أى مكان لأخبرتك.. فأنا مُقدر تمامًا لتلك الظروف التى تمرين بها، ولكن ما باليد حيلة .. صدقينى أناأريد مساعدتك، ولكنى لا أستطيع..

نظرت شفاء إلى الأرض بيأس ، ثم الى النسناس مرة أخرى ، والذى كان ينظر إليهم وكأنه يفهم ما يقولون ، ثم مالبثت أن بدات فى البكاء قائلة فى توسل:

- حسنًا... كل ما أريده منك فقط هو سؤال أى سمسار آخر تعرفه، ربما يكون لديه أى مكان، بالله عليك يا عم غفران..

- حسنًا.. حسنًا.. سأقوم بالسؤال لكِ خلال اليومين القادمين، وإن وجدت أى مكان سأخبرك عن طريق هاتفك.

قالها وأخرج هاتفه من جيبه الداخلى ليسجل رقمها وإسمها وهو ينظر إلى الحروف بصعوبة تحت ضوء المصباح الوحيد الموجود فى نهاية الشارع، حاولت مساعدته فمددت إليه يدها وتهتف به وهى تبتعد خوفًا من النسناس الذى كان يقترب منها محاولاً مرة أخرى لمس حذائها فى تودد:

- أعطنى أنا الهاتف وسأقوم بحفظ اسمي.

لكنه نظر إليها فى إشمئزاز دونما سبب وكأنها ستخطف الهاتف وتهرب، وهو يسألها عن اسمها وقد عاد للنظر إلى الحروف فى هاتفه..

- شفاء.. اسمي شفاء.

لوهلة شعرت شفاء أن الرجل قد أغلق عينيه فى ارتياح وكأنه تذكر شيئًا ما، فقد نظر إلى عينيها مرة أخرى فى فرح مُردِدًا إسمها مرة أخرى :

- شفاء..!!، إن إسمك جميل جدًا يا بُنيتى .. الشفاء من عندك أنت يا رب..

- نعم... شفاء..

إندهشت الفتاةمن تغير سلوك الرجل فجأة، لكنها ابتسمت على الرغم منها ، فقد كانت فعلاًتحتاج إليه،وبعد أن إنتهى أخيراً من حفظ الإسم أخبرها بهدوء :

- تذكرتك الآن ..اعذرينى فأنا أُصاب بنوبات من النسيان المفاجئ .. ربما تلك أعراض التقدم بالسن يا بُنيتى.. أنتِ من أخبرتينى عن فتاة أسوان ، نعم.. نعم.. تذكرتها الآن ، تلك التى رحلت دون السكن فى الشقة التى أحضرها أحد السماسرة و كنت قد توسطت بينهما.

- نعم.. أنا هى يا عم غفران.. ساعدنى بالله عليك.. أخبرنى عن المكان الشاغر لتلك الفتاة ، هل لازال موجودًا حتى الآن..؟

- - لا أعلم على وجه التحديد ، فقد كان ذلك منذ شهران.. وبالتأكيد تم تسكينها.

صدرت من الفتاة صيحة يأس فتدارك العجوز..

- اسمعى يا شفاء أنا مُقدر ظروفك جيدًا، وخاصة ما تمرين به الآن، فدعينى

يومين وسوف أقوم بسؤال السماسرة حتى فى أى مكان بعيد عن الجامعة، ثقي فى الله يا بنيتى وبإذن الله سأبذل قصارى جهدى حتى ينتهى هذا العام على خير.

كان عليها أن تشكره فدعت له كثيرًا، فقد كانت مثل الغريق الذى يتعلق بتلك القشة وحاولت أن تعطيه مبلغ من المال لمجرد حثه على البحث، لكنه رفض بشدة وأخبرها أنه عندما يعثر على المكان سوف يأخذ أتعابه..

قامت بشكره وهى تلح عليه مرة أخرى، لكنه فجأة تركها ودخل إلى حانوته القديم تاركًا النسناس الأسود الذى إنتهى من لعق الطبق وهو يتطلع إلى الفتاة مرة أخرى، وكأنه يطلب منها المغادرة ، وخاصة بعدما فتح العجوز مذياعه القديم على أغنية قديمة لليلي مراد ... كانت كلمات الأغنية تصدح :

((الدنيا ليل والنجوم طالعة تنورها.. نجوم تغير النجوم من حسن منظرها..))

كانت تعشق ليلي مراد ولكن الصوت الصادر من المذياع بصورة بطيئة مرعبة مع خيال العجوز الذى بدأ يتمايل على الجدار مع كلمات الأغنية، بينما كان عم غفران مستندًابرأسه على حافة مكتبه وهو يدندن مع كلمات الأغنية، أما النسناس فقد بدأ يلعب فى رباط حذائها ويتمسح فى أقدامها وهو يصدر صوت غريب، وكأنه يغنى هو الآخر.

كان الأمر من الفزع ما جعلها تقفز سريعًا مهرولة إلى خارج الزقاق فالحارة، حتى وصلت إلى الشارع الجانبي المؤدى إلى الشارع الرئيسي وهى تلهث من الرعب.

كانت تحاول أن تقنع نفسها بأنها متعبة فقط أو أن تلك مجرد تهيؤات لعينة.. ولكن..

***

مرت عشرة أيام كاملة و هى فى إنتظار مكالمة من هاتف غفران المغلق دومًا ، قضت نصفها فى الطريق بين الاسكندرية والقاهرة.. لكنها فى نهاية المطاف أهملت محاضراتها ومذاكرتها.. لدرجة أنها فعلا فكرت مرارًا فى عدم دخول الإمتحان هذا العام ومحاولة توفيق أوضاعها خلال الشهور القادمة،حتى أتتها المكالمة التى إنتظرتها طويلاً..

وعلى الجانب الآخر كان العجوز يلهث فرحاً وهو يخبرها:

- آنسة شفاء.. أعتذر لكِ على غيابي الفترة الماضية، ولكن كان هناك واجب عزاء فى قريتى فك.....

قاطعته سريعًا قبل الدخول كالعادة فى مناقشه لا جدوى لها:

- عم غفران... أخبرنى أولاً، هل وفقت فى العثور على أى مكان للإقامة الأسابيع القادمة...؟

- نعم يا بُنيتى، الحمد لله

تنفست وقتها الصعداء ولم تكتم فرحتها وإستمرت فى شكره كثيراًوالدعاء له ، فبادرها قائلاً:

- قبل أن أسافر للقرية حدّثت أحد السماسرة المعروفين لدىّ، وهو من كان لديه المكان الشاغر لتلك الفتاة التى منعتها ظروفها من إستكمال العام الدراسي فى القاهرة ، هل تعلمى أنى قد بحثت فى كل مكان قبل ذلك ولكنى لم أُوفق فى الحصول على أية غرفة فارغة، حتى تذكرت ذلك المكان الشاغر ورغم يأسي من وجوده كما هو، إلا أنه أخبرنى أن المكان لازال شاغرًا فى إحدي الشقق الموجودة بالقرب من الجامعة، وهذا المكان لفتاتين إحداهما سكنت فيه منذ فترة كبيرة والأخرى كانت فتاة أسوان قد حجزته ، ولكنهانجحت فى تحويل أوراقها ولم تُبلغ صاحب العمارة إلا بعد فترة، لأنها قامت بدفع الثلاث شهور مقدمًا ، ولذلك

عرض المكان للسكن بالإشتراك مع الفتاة الأخرى.. هى من الاسكندرية مثلك تمامًا، وأعتقد أنكم ستكونوا أصدقاء فى القريب .

- ولكنك تخبرنى أنها شقة يا عم غفران، وهذا يعنى ....

قاطعها بهدوء:

- أنا أدرك تمامًا مقصدك، لا تخافي يا بنيتى فالرجل على علم تام بظروفك وسوف تقابليه، وإذا لم يعجبك حديثه فلدىّ لكِ مكان آخر، ولكن فى مكان بعيد جدًا للأسف بالقرب من المرج الجديدة.

- حسنًا ..متى سنقابله..؟

- سأنتظرك غدًا فى الدكان حوالي....

توترت شفاء حينما ذكر الدكان ، فقاطعته قائلة :

- لا من فضلك يا عم غفران، سأحضر لك غدًا فى قطار الثانية عشر، وأقابلك فى محطة مترو جامعة القاهرة، فى تمام الواحدة بالله عليك..

- حسنًا سأنتظرك.. أستودعك الله.

كانت فى منتهى السعادة.. فأخبرت أمها وأشقائها أن مشكلتها أخيراً فى طريقها للحل.. وأن عليهم فقط الدعاء لها...

أمسكت الهاتف مرة أخرى واتصلت بأدهم.. كانت تشعر من داخلها أنها لابد أن تخبره بتلك الأحداث السعيدة بعدما شعرت أنها كانت السبب فى شعوره بالقلق طوال الأسابيع الأخيرة.

كان قلبها يدق بشدة وهى تُحدثه هذه المرة، ولا تعلم أكان ذلك من سعادتها أم من شعورها بالحب

***

بمجرد خروج شفاء من محطة المترو فى صباح اليوم التالى و على حسب الميعاد المنتظر وجدت أدهم فى انتظارها ، ولكنها لم تندهش ، فالشاب كان يريد إثبات مودته بأى شكل وعندما ألحت عليه أن يذهب لعمله رفض تمامًا إلا بعد أن يطمئن على حصولها على السكن .

من داخلها كان يزيد إعجابها به يومًا بعد يوم ، ودت لو تحادثه طوال اليوم لكن ظهور العجوز جالسًا على أحد المقاعد الرخامية أنهى الموقف..

اقتربت من العجوز وأخبرته أن أدهم هو ابن عمها و سيرافقهم حتى المكان الجديد..

سار أدهم بجوارها حاملاً تلك الحقيبة الثقيلة التى اندهش من كيفية حملها لها فى رحلتها..ظلا يتهامسان طوال الطريق منذ خروجهم من محطة المترو ،بينما كان العجوز مستندًا على عكازه والذى يبدو أنهقد أصبح جزء لا يتجزأ من يديه الممتلئة بعروق بارزة.. لم يتوقف هو الآخر عن الحديث عن التغيرات التى يراها كل يوم وكيف كانت السيارات قديمًا، وفجأة توقف أمام عمارة فارهة مُشيرًا إليها بعكازه .

- تلك هى العمارة المقصودة...

اندهش الإثنين عندما تطلعا إلى تلك العمارة التى أشار إليها العجوز ، بينما تحدثت الفتاة فى قلق:

- أى عمارة تقصد يا عم غفران،..؟ لقد أخبرتك أن إمكانياتى لا تسمح إلا بمبلغ زهيد للإقامة فى أحد الغرف، وربما من الدرجة الثانية، وأنت تأتى بي إلى هذه العمارة والتى لا أحلم وقتًا ما أن أعبر فقط من أمامها.

قاطعها العجوز وهو يبحث عن شئ ما بداخل جيوبه:

- هل لكِ أن تصمتى..؟، لماذا أنتِ كثيرة الحديث هكذا..؟، كان الله فى عون من سيتزوجك.. أخبرتك أنى قد تحدثت مع مالك العمارة وشرحت له كل الظروف

التى تمرين بها، والرجل كان كريمًا إلى حد كبير، ووافق على مبلغك الزهيد، وإن كنتِ لا تصدقينى فالرجل يمتلك هذا المحل المقابل للعمارة، هيا فلتذهبا لمقابلته وتوقيع العقد..

- أذهب..؟، ولم لا تأتى معى..؟

- وهل أنتما صغيران..؟ سألحق بكِما على الفور، سأدخل هذا الجامع المقابل لمقابلة شيخ إبراهيم للتحدث معه فى أمر يخصه، وسألحق بكِما بعد دقائق..

أخبراه فقط أنكم من طرف عم غفران وأنكم قد أتيتم بخصوص موضوع الشقة الشاغرة وسوف يفهم الموضوع وتوقعين عقدك على الفور..

إستسلمت الفتاه تمامًا، بينما قادهاأدهم للدخول إلى محل الأزياء المقابل، كان هناك رجلاً جالسًا على كرسي ويشير إليهم بالإقتراب عندما سألوا أحد العاملين عليه..

اقترب أدهم من الرجل الجالس فوق مكتب وهو يوبخ أحد العاملات لديه وأدهم يحدثه فى هدوء :

- مساء الخير يا سيدى ..

نظر إليه الرجل فى ترقب:

- مساء النور ، كيف يمكن أن أخدمكما..؟

- نحن من طرف عم غفران..؟

- من ..؟ ، لا أعلم من تقصد.

اندهشت الفتاة من رد فعل الرجل ، فقاطعته فى حدة:

- عم غفران السمسار ، هو من أخبرنى بالقدوم إليك من أجل تلك الشقة التى تؤجرها للطالبات فى هذه المنزل.

قاطعها الرجل وهو ينظر بريبة إليهما:

- نعم.. نعم.. لقد أتيتِ من أجل تلك الشقة الشاغرة ولكن..

فهم أدهم ما كان يقصده الرجل فقاطعه بأدب:

- نحن جئنا لتلك الشقة من أجل ابنة عمى الآنسة شفاء ، التى ترفض السكن معنا ، ولذلك أتينا لتأجير المكان ، هذا إذا لم تعترض يا سيدي.

انفرجت أسارير الرجل وهو يتمتم معتذرًا:

- لا أقصد المعنى السيء يا ولدى ولكن....

- أعلم يا سيدى ، والآن هل نتحدث عن التفاصيل...؟

ظل الثلاثة يتحدثون فى هدوء لا يقاطعه إلا بعض الطلبات والأوامر التى كانت تصدر من الرجل للعاملين معه ، وفى نهاية الأمر لم تصدق الفتاة نفسها وهى تُمسك بالعقد وتوقع عليه مع السيد علاء شكر.. لم تصدق أنه لا يزال هناك أشخاص فى هذا العالم يمتلئون رأفة ورحمة إلى هذه اللحظة، فالرجل فعلاً تعاطف مع حالتها جدًا، وقد أخبرهم أنه سيأخذ منها مبلغًا زهيدًا، فقد قبض بالفعل المبلغ كاملاً لمدة ثلاث شهور من الفتاة التى نقلت أوراقها لأسوان، ولم تستطع الرجوع مرة أخرى للقاهرة لإسترداد المبلغ، وأخبرته أنه يستطيع قبول أى حالة أخرى غير قادرة على دفع المبلغ.. وأنها مسامحة فى المبلغ لتلك الفتاة التى ستأتى ، أما شفاء فقد وقعت على العقد لمدة ستة أشهر مقابل خمسون جنيهًا شهريًا، وفى ذلك الوقت كان ذلك المبلغ زهيدًا للإقامة فى عمارة كتلك.. فقد كان المبلغ قريبًا جدًا من الإقامة فى المدن الجامعية..

أما بعد ستة أشهر فستقوم بتجديده مرة أخرى ، لكن بالطبع مقابل سعرًا مناسبًا، والذى سيكون مثل بقية الفتيات المغتربات التى تسكن معظم شقق العمارة..فقد كان أقصى طموحها أن تسكن فى غرفة بسيطة لا يوجد فيها إلا مجرد سرير ومكتب خشبي..

سرحت مرة أخرى فى أحلامها حتى أفاقت على صوته الهامس:

- كل ما أريده منك يا شفاء هو الإلتزام فى كليتك والإهتمام بدراستك فقط، وليس لكِ أى شأن بالجيران ..ستجدين هناك فى الطابق الأسفل منكِ شقتان، بكل واحدة أربع بنات مغتربات، أما الطابق السابع والأخير الذى ستسكنين به هناك فقط شقتك، والأخرى بجوارها كانت لشقيقي الذى سافر منذ عدة سنوات خارج البلاد بعد وفاة زوجته..وسوف تحضر زوجتى من وقت لآخر للتأكد من إقامتك وحدك.. عذرًا يا بنيتى فكثير من الطلبة يقومون بإحضار بعض زميلاتهم للمشاركة فى الأجرة .. أما بالنسبة للشقة فهى ضيقة إلى حد ما وغير مرتبة ولكن...

إستمر فى الحديث مع أدهم عن التحذيرات والفتاة فى واد آخر، كان بالفعل لا يهمها شكل الشقة حتى وإن كانت أسوأ شقة فى القاهرة، كل ما يهمها فقط هو إنهاء الفصل الدراسي بأي شكل..

شكرته ومددت يدها لآخذ حقيبتها وهى تحتضن العقد لكن أدهم كعادته سبقها إلى حملها ، وخرجوا وهم فى منتهى السعادة، وقبل أن يتحدثا وجدا العجوز يجلس على مدخل العمارة بجوار الباب الزجاجى وهو ينحنى ليتحدث إلى أحد القطط الجالسة إلى جواره وكأنه صديق قديم ، مما جعلها تبتسم رغمًا عنها ، فإقتربا من العجوز الذى لم يلحظ وجودهم واستمر فى تقديم بعض من اللقيمات من جيبه بينما بادره أدهم قائلاً فى حنو:

- عم غفران.. لماذا لم تدخل عندما أنهيت مقابلتك مع الشيخ إبراهيم..؟

- لن تصدقا ما حدث فقد كنت أهم بالدخول، ولكن هذا القط تمسح فىّ فأخرجت الباقى من طعامي وأعطيته له فإلتهمه المسكين على عجل.. أتعلمون أن.....

قاطعته شفاء ضاحكة وهى تقول:

- لن تعلم أبدًا مقدار خدمتك تلك، سأظل أدعو ليل نهار فى كل صلواتى لك يا عم غفران .

إستند العجوز واقفًا وهو يهم بالرحيل.. وقتها أدرك أدهم أنه لابد أن يعطيه مبلغًا من المال، فوضع يده فى جيبه مُخرجًا مبلغا من المال وهو يقترب منه رغم إعتراض شفاء التى كانت تريد أن تعطيه هى المال وكانت مستعدة لذلك بالفعل ، لكن ما أدهشهم هو نفوره مرة أخرى قائلاً لهم أنه سيدخل إلى صاحب العمارة ليأخذ سمسرته، ورفض أى مبلغ آخرمن الفتاة التى ما زال لديها الكثير من الإلتزامات والإحتياجات، فشكرته كثيرًا وكالعادة أخذت فى الدعاء له ..

إقترب العجوز من محل صاحب العمارة مودعًا شفاء قائلاً:

- شكرًا يا بنيتى، وإذا إحتجتى شيئًا آخر فعليكِ مهاتفتى على الفور... وليساعدك الله على ما كتبه لكِ.. الله معك ..

تابعوه حتى دخل إلى المحل وتوارى عن الأنظار، ولدهشتهم كان ذلك القط يتبعه فى سعادة ..حتى أنه وقف إلى جوار الباب وهو يتطلع إليه منتظرًا خروجه مرة أخرى.

وضع أدهم الحقيبة بجوار مدخل العمارة ،وحاول أن يتحدث لكنه لم يجد أى كلام لديه ، بينما استمرت شفاء فى شكره .. فأخبرها أنه فى خدمتها فى أى وقت وما عليها فقط سوى الإتصال به في أى وقت تحتاج فيه لأى شئ..

أو حتى عند عدم حاجتها..فلتتصل به للإطمئنان فقط ...

كان لكل منها الكثير والكثير داخل قلوبهم البريئه لكن لم تسمح الظروف أبدًابالتحدث بما فيها.. فربت على يديها فى لطف مودعًا إياها وهى تجر حقيبتها حتى باب العمارة..

وأدهم يلوح لها مودعًا وينصرف...

سارت بخطواتها الطفولية داخل الممر الرخامى والذي يحمل معه رائحة الياسمين المزروعة عند الشجرة العجوز بجوار الباب الزجاجى الضخم..

توقفت أمام المصعد لتصل للطابق السابع وقد إنضمت إليها فتاتين كانتا تضحكان ويتسابقان نحو المصعد، وما إن شاهدوها مع حقيبتها الممتلئة خمنا أنها تلك الطالبة الجديدة التى ستسكن فى الطابق السابع.. والتى حلت محل جيهان الفتاة التى إنتقلت إلى أسوان .

أخبرتها أحداهما أن إسمها منى فى السنة الثانية بكلية حقوق جامعة القاهرة، وأن زميلتها سوسن فى نفس الكلية، والإثنان يقطنان بالطابق السادس وقبل أن يستمروا فى الحديث فُتح باب المصعد فجأة على بعض الجيران وبدا على ملابسهم ورائحتهم أن العمارة فعلاً يسكن بها عائلات ميسورة الحال.. دلف الجميع إلى المصعد وقد استمرت شفاء فى التعريف بنفسها وهى فى منتهى السعادة لأنها حصلت على منزل وصديقتين فى آن واحد.

هبطت الفتاتين فى الطابق السادس وإستمر المصعد فى طريقه للطابق الأخير.. حتى توقف المصعد وفتحت أبوابه، كانت الطرقة تمتد على يسار الفتاة حوالى خمسة عشر متراً، وفى واجهة باب المصعد كان هناك نوافذ زجاجية ترتفع عن الأرض بأطول من قامتها فإضطررت إلى القفز لرؤية المكان من أعلى فى حركة صبيانية، ولكن قدمها كادت أن تنزلق فلم تكررها مرة أخرى..

كانت الشقتان على اليسار ولكن لغبائها كما حدثت نفسها نسيت أن تسأل أيهما هى الشقة المقصودة والتى ستسكن بها ، وأيهما المهجورة..؟

كان فى يدها المفتاح وفكرت أن تجربه على البابين، فإقتربت من الباب القريب من المصعد ومدت المفتاح إلى داخل مزلاج الباب الأول.. دار معها المفتاح ففتحت الباب بهدوء ..

لكن بمجرد أن مدت قدمها للداخل تصاعدت رائحة كريهة أعقبتها ذرات تراب أغرقت وجهها عندما لفح تيار من الهواء البارد القادم من النافذة شبه المفتوحة إلى مدخل الشقة..

سعلت بشدة وهى تتقدم بضع خطوات داخل الشقة، كان الأثاث مغطى بملاءات قديمة والعنكبوت فى كل مكان بالشقة.. دارت بنظرها فى أرجاء الشقة وهى تقاوم رغبتها فى التجول بداخلها ولكن فجأة شعرت بثقل فى قدميها وشعرت وكأن هناك خيال خرج فجأة من الغرفة الجانبية، وعندما رآها عاد مرة أخرى فى لمح البرق..

أقنعت نفسهاأن كل ذلك مجرد خيالات أو تهيؤات...

"وحتى بالفرض لو كان حقيقة فأنا لا أخاف الأشباح أو حتى الأرواح.. فقد إعتدت فى كليتى على دخول المشرحة ورؤية الجثث بصورة إسبوعية بل وتشريحها أيضًا.. "

هذا ما حدثت به نفسها بصوت عالٍ للاطمئنان وهى ترجع بظهرها حتى باب الشقة وعند خروجها تأكدت أن تلك الشقة مستحيل أن تكون هى المقصودة لعدم وجود أى أثر للحياة منذ سنوات وسنوات بها ، على الرغم من أنه من المفترض أن هناك من تسكنها معها ، لذلك خرجت بهدوء وأغلقت الباب مرة أخرى.. وربما كانت تلك هى الشقة التى هجرها أصحابها منذ وفاة زوجة صاحبها .

توجهت إلى الشقة المجاورة، وكما فعلت فى السابق مدت يدها وفتحت باب الشقة وما هى إلا لحظات حتى كانت فى وسط الصالة.. كانت الشقة صغيرة إلى حد ما، بحثت شفاء على زر الكهرباء وأضاءت المكان وتبينت ملامحه فوجدت ممر صغير أمام الباب يؤدى إلى صالة واسعة بها سريرين للنوم ودولابين خشبيين ..

كان هناك مكتب كبير ملتصق بالحائط وأمامه كرسيان و قد تراصت على

المكتب كتب لكلية الآداب وعلى يمين المكتب كانت النافذة المطلة على الشارع، وقد ظهرت من خلالها قبة الجامعة على بُعد، و بالقرب من النافذة سرير أُلقي عليه العديد من الملابس، كانت لرفيقتها فى السكن، بينما كانت الأتربة فى كل مكان بالشقة، أما فى الممر فقد كان على يسار المدخل حمام صغير وأمامه مطبخ أصغر بالكاد يكفي لشخص واحد يقف داخله لإعداد الطعام..لكن المدهش هو وجود كل تلك الكمية من علب السلمون الفارغة والأكواب المتسخة وتراكم الأطباق والأتربة فى كل مكان فى الشقة الصغيرة .. مما جعلها تهتف بحنق:

- اللعنة كيف تعيش فتاة أخرى وسط كل هذه الأوساخ .. إن المكان بحاجة للتنظيف ، فلا يمكن السكن هنا إلا .....

هذا ما قالته بغضب وهى تمسك ملاءة سرير لتقوم بتنظيفها من الغبار ..

كتمت صوتها الغاضب عندما لامت نفسها فقد كنت تطمح فقط فى العثور على سرير، والآن بدأت تطمع فيما هو أكثر من ذلك..

كانت الساعة تشير إلى ما قبل الثالثة عصرًا.. فأخرجت ملابسها ورتبتها فى الدولاب الخشبي الآخر الفارغ وكذلك كتبها وقررت أن تشرع فورًا فى التنظيف بعد أن قامت بتغيير ملابسها ووضعها فى الدولاب ، بحثت عن أدوات للنظافة وشرعت على الفور ، لكنها قررت أنه عندما تأتى شريكتها فى السكن أن توبخها لتركها المكان لا يصلح حتى لإعاشة الحيوانات.

***

الفصل الثالث

الكابوس

***

حين يسيطر الخوف على الانسان ويتحكم فيه يتملكه شعور قاتل بالعجز عن فعل أى شئ،وكأن دلائل الحياة قد سُلبت منه لتتركه جسد خاوٍ يتدلى فى تلك الهوة العميقة بين الحياة والموت ...

***

فى اليوم التالى تناولت شفاء أدواتها وغادرت سريعًا للكلية .. كانت تتذكر أول يوم وأول خطواتها داخل الكلية، فربما كانت نفس اللهفة وتلك الإبتسامة المرسومة على شفتيها المليئة بالأمل .

تلك الإبتسامة التى ترجو الله معها أن تكون أيامها القادمة أفضل من مأساتها السابقة، ولم لا..؟، وقد حلت مشكلة لم يكن أحد عنده القدرة على حلها إلا الله .. وبالفعل بقيت فى محاضراتها حتى السادسة مساءًا..

وقبل عودتها للمنزل ذهبت إلى أحد المحلات القريبة لشراء بعض الأطعمة لوضعها فى الثلاجة الفارغة إلا من المياه، ثم عادت إلى شقتها مرة أخرى،ولكن بمجرد وضعهاللمفتاح فى الباب وجدته غير مغلق بالرتاج مما يعنى أن رفيقتها بالسكن قد وصلت أخيرًا.

كان عليها التظاهر بالهدوء على الرغم من غيظها منها لقيامها بتنظيف الشقة حتى أصابها الإجهاد طوال ليلة أمس..

وبالفعل فتحت الباب ودلفت للداخل،وهناك وجدتها تجلس فى هدوء بجوار النافذة المطلة على الشارع، وعندما أغلقت شفاء الباب بقوة فجفلت الفتاة الأخرى فجأة، وإلتفتت ناحيتها بذعر فى أول الأمر لكنها تمالكت نفسها ونظرت بهدوء مبتسمة..فإقتربت شفاء منها وقد إرتسمت على شفتيها هى الأخرى إبتسامة باردة قائلة وهى تلقي بحقيبتها على السرير :

- اسمى شفاء، من الأسكندرية ، فى الفرقة الثانية من كلية التمريض بجامعة القاهرة، وسأكون رفيقتك بالسكن هذا العام، أتمنى ألا أكون ضيفة ثقيلة عليك ..

ردت الفتاة الاخرى وقد بدأت إبتسامتها فى الاتساع :

- وأنا إسمي رحمة، وفى كلية آداب، بالفرقة الثالثة ، ومن اسكندرية أيضًا .. يالها من صدفة رائعة، سنكون صديقتين بالتأكيد

قالتها ومدت إلى شفاء يدها، وهى لا زالت تجلس مغترة على كرسيها مما أصابها بالضيق لأنها إعتبرت هذا نوع من التعالى، فتجاهلت يدها الممدودة قائلة بإشمئزاز واضح:

- بالتأكيد سنكون.. أتعلمى انه بالأمس عندما وصلت إلى الشقة كانت غير مرتبة بالمرة، فنظفتها وقمت بوضع كتبك ورتبتها لكِ على المكتب، أرجو ألا أكون قد أزعجتك بتنظيف المكان، فقد كان لا يصلح حتى لسكن الحيوانات.

شعرت رحمة بالإحراج من الحديث وتحول وجهها إلى اللون الأحمر وهى تسحب يدها الممدودة قائلة بألم وهى تسحب الشال الصوف المغطى به قدميها وهى تشير إليها بأسي :

- أعذرينى يا شفاء فلدى إعاقة فى قدمي ولا أستطيع السير منذ عدة سنوات ولا حتى الوقوف، فإلتمسى لى العذر على شكل المكان بالأمس، فلم أتوقع وصول رفقاء فى السكن خاصة بعد رحيل جيهان فتاة أسوان بعدما نجحت فى تحويل أوراقها ،أحاول فقط التنظيف بقدر ما أستطيع.. لكنى لا أستطيع التحرك فى معظم الأوقات فاعذرينى يا صديقتى.

شعرت شفاء وقتها وكأن هناك من سكب مياه باردة فوق رأسها فجأة، وشعرت بالحرج وحاولت أن تعتذر وتلطف من الجو المشحون الذى تسببت فيه بتسرعها وغبائها.

حاولت أن تتحدث و تعتذر بكلام ليس له معنى ولكنها توقفت عندما خُيل إليها أن رفيقتها فى الغرفة قد دمعت عيناها فى صمت...

فآثرت أن تصمت و تحاول أن تعوضها بما ظنته فى نفسها

***

وبعد عشرة أيام كاملة ما بين الكلية والمنزل كانت شفاء تخبر والدتها يوميًا بما تفعله كل يوم وكم كانت والدتها سعيدة وهى تخبرها أنها ورحمة أصبحتا صديقتين مقربتين خلال أسبوع فقط.. كانت الأمور قد بدأت فى الإستقرار داخل الأسرة فقد حصل شقيقها ممدوح على عمل محترم فى إحدى الشركات، وبدأت والدتها فى صرف المعاش الشهرى لوالدها رحمة الله عليه، وأصبح الجميع فى حال حمدوا الله كثيرا عليه..

كانت شفاء كالعادة على سريها تكتب فى مذكراتها اليومية وما يستجد من أحداث ، حين وقعت عينها على رحمة التى كانت كعادتها جالسة بجوار النافذة وهى تدون بعض من أشعارها فى تلك الكراسة الزرقاء .

ابتسمت شفاء فى ود وهى تنظر إلى ما كتبته خلال الساعة الماضية عن رحمة بعد أن انتهت من تدوين بعض المحاضرات الخاصة بها :

((عرفت منها أنها قد أصيبت فى حادثة منذ سنتين تمامًا على كورنيش الاسكندرية، بدأ الموضوع بشرخ فى العمود الفقري ثم بسبب فشل التشخيص وقتها أقعدها عن الحركة،ومع ذلك أصرت على الإستمرار فى الكلية، وعدم نقل أوراقها إلى الاسكندرية حتى تنتهى الدراسة.. وعلمت أنها على خلاف دائم مع أهلها بسبب ذلك لإصرارهم دومًا على ضرورة إقامتها معهم حتى يمكنهم رعايتها لكنها ترفض ذلك .. أخبرتنى أنها عنيدة كوالدها الراحل المنتمى إلى أحد قري الصعيد ، فهى ورثت عزة النفس والإعتداد بالكرامة وكذلك العند وتصلب الرأي

منه بعكس والدتها ، وعندما يئست تركتها لرغبتها فى الإعتماد على نفسها فى كل شئ، وكل شهر تسافر إليهم فقط لعدة أيام ثم تعود مسرعة إلى القاهرة، بعيدًاعن المكان الذى يُذكرها بإصابتها.. أما كليتها فهى ترتادها فى الإمتحانات فقط و تعود بعد انتهائها إلى الاسكندرية بعد إنتهاء العام الدراسى.

اه... نسيت..إستفسرت اليوم من رحمة عن تلك الشقة المجاورة فأخبرتنى أنها لصاحب المنزل القديم ، والذى يأتى فقط كل عام عدة أيام ثم يسافر مرةأخرى بعد وفاةأسرته...

بمرور الوقت أصبحت أنا ورحمة أختين، بل حتى كنت أعد رحمة فى منزلة أمى، فكانت لا تنام إلا بعد أن تطمئن علىّ، وتقوم بمتابعتى يوميًا أثناء مذاكرتى أو تأخرى فى المحاضرات الليلية أو سهرها بجوارى وإعداد الشاي أو القهوة لى، كنا نسهر كثيراً ونتحدث كثيراً بإستمرار ، فكان الليل يمتد طويلاً لأحاديثنا..

على الرغم من أن معرفتنا لم تتعدى أسبوعين إلا أننا نشعر الآن وكأننا نعرف بعض من عشرات السنوات ....

هذا هو الإنسان عندما يرتاح لشخص ما فإنه يشعر أنه يعرفه منذ سنوات، وكأن أرواحهم قد تلاقت منذ زمن بعيد ،لا فرق فى ذلك إن كان عمر علاقتهما ساعات أو حتى سنوات ....

دائمًا ما أُحضر لها الشيكولاتة المحببة لها، مما يسعدها كثيراً.. كنت أتعمد دائمًا فعل أى شئ لمجرد رؤية تلك النظرة التى تملأ وجهها إشراقًا مرة أخرى..))

***

إستمر الحال بهدوء عدة أيام لدرجة أن شفاء فعلًا بدأت لا تحتمل فكرة عودتها إلى منزلها فى اسكندرية وترك رفيقتها فى الشقة وحدها على الرغم من أنها كانت تلح عليها دائمًا للعودة معها ولكنها كانت ترفض دومًا..كما شعرت شفاء

وبالفعل كان على شفاء الذهاب إلى الاسكندرية فى نهاية الأسبوع لرؤية أمها وإخوتها.. وعلى الرغم من ترحيبهم الشديد بها واشتياقهم لها لأنها تعتبر أول فترة طويلة تقضيها مبتعدة عنهم إلا أن تلك الزيارة كانت تثير فى داخلها الحزن والأسي وخاصة أن البيت أصبح لا يُطاق بعد رحيل والدها..

وفى نفس الوقت ، وعلى الرغم من أنها كانت فى الاسكندرية ووسط أهلها لكن خوف قلبها الطفل على رحمة كان أكبر،لكنها للأسف إضطررت للإنتظار ثلاثة أيام كاملة، حتى عادت صباح الإثنين إلى القاهرة مرة أخرى..

دلفت شفاء إلى الشقة وكلها لهفة للإطمئنان على رحمة، ولكن بمجرد دخولها سمعت صوتها وهى تصرخ فى الهاتف فيما يبدو أنها مكالمة لوالدتها لكى تدعها وشأنها ولا تتدخل بحياتها مرة أخرى .. ثم أغلقت الهاتف وقد إنخرطت فى وصلة نحيب وبكاء لم تُفلح معها محاولات شفاء فى التهدئة منها .

حاولت كثيراً التخفيف عنها ، ولكن كل ما علمته منها أن أمها وشقيقها يرفضون إقامتها بمفردها فى القاهرة، وقد طلبوا منها العودة، دون الإلتفات لدراستها فى الكلية، وقد ملت من تكرار تلك الأحاديث..

اقتربت شفاء من كرسيها المتحرك وحركته امامها وهبطت بركبتيها على الأرض قائلة فى حب:

- خففي عنك يا رحمة،أخبريهم أنى أصبحت مسئولة عنكِ الآن ، فنحن أصبحنا أكثر من شقيقتين وكل طلباتك ستكون مُجابة، ويعلم الله أنى سأبذل قصاري جهدى فى إسعادك ، فأنتِ لا تعلمى كيف أصحبت محبتك فى قلبي.

لم تجبها الفتاة ولكن ظلت واجمة لا ترد وشفاء تردف:

- إذن أنا أعلم كيف سأخرجك من كآبتك ، هيا.. هيا.. سنتنزه الآن فى هذا البرد القارس.

تطلعت إليها رحمة فى دهشة قائلة :

- الآن يا شفاء..؟

- نعم يا رحمة.

خُيل لشفاء أن الفتاة تبتسم فى إشفاق ، لكن سرعان ما أمسكت شفاء بالكرسي المتحرك دافعة إياه نحو باب الشقة إلى المصعد وسط ضحكاتهم سويًا.

كان الجو يميل إلى البرودة فى هذا الوقت من شتاء القاهرة ، مما جعلها ترتدى شالاً من الصوف على كتفيها.. وعندما هبط المصعد إلى الدور الأول قابلت منى التى نظرت إلى شفاء بإندهاش قائلة:

- أين أنتِ يا شفاء..؟، لقد إتفقنا على أننا سنكون أصدقاء وخاصة أننا مغتربين، فخففى عن كاهلك المذاكرة، وتعالي لتسهرى معنا أنا والبنات، سوف نقيم سهرة خاصة بمناسبة خطوبة إيناس بالأمس.

- اه.. ألف مبروك يا منى.

- إلى أين تذهبين الآن ، إنها على وشك أن تمطر..؟

- سوف أحضر بإذن الله بمجرد عودتنا من النزهة، فنحن سنخرج قليلاً وسوف أمر على إيناس لأبارك لها.

وأشارت لها بعينيها أنها ستخرج مع رحمة قليلاً وتعود..

- حسناً يا شفاء، نحن فى الإنتظار

رأت شفاء رحمة فى تلك الأثناء تطرق برأسها إلى الأرض،أحتارت شفاء فهل كان ذلك لأنها تشعر من داخلها أنها بظروفها تلك ربما لن تجد العريس المناسب فقرصتها من خدها قائلة بابتسامة:

- لا تقلقي ستكونين أنتِ العروس القادمة، سنعود سويًا لنقرص إيناس فى ركبتها وسترين.

ضحكت رحمة وكأنها أدركت أنها قد بدأت بالفعل تصل إلى تفكيرها..

بالطبع ستظل شفاء تتذكر تلك الأمسية جيدًا ..فقد لهت وجريت بالكرسي المتحرك طوال الطريق لكوبرى الجامعة وهمايصرخان سويًا، لن تنسى دهشة المارة أحيانًا وإبتسامتهم أحيانًا أخري وهم يسمعون تلك الصرخات والضحكات.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساءًا وقد بدأت السحب فى التجمع وإرسال بعض زخات المطر منذرة بأمطار غزيرة فى القريب فى سماء القاهرة ، مما جعل شفاء تنظر فى ساعتها و تعود إلى المنزل سريعًا بعد حوالى نصف ساعة من التنزه تحت المطر..

قامتا بتبديل ملابسهما فور العودة إلى المنزل، وأعدت رحمةالشاى الساخن كعادتها وبدأت شفاء فى مذاكرة ما فاتها من محاضرات أثناء سفرها.. وما إن إقتربت الساعة من الواحدة صباحًا حتى بدأت فى التثاؤب.

فأخبرت رحمة أنها ستخلد للنوم وتركتها وهي تقرأ إحدى الروايات التى تفضلها كثيراً عن الكتب الدراسية، وما هى إلا لحظات حتى كانت شفاء تغط فى سبات عميق..

لا تدري كم مر عليهامن الوقت ولكنها إستيقظت حينما شعرت بدرجة حرارة جسمها تتصاعد على الرغم من برودة الجو،حاولت فتح عينيها لكنها إصطدمت بالظلام ولا شيئ سواه، سواد حتى أنها لا تري كف يدها من حلكته .

حاولت أن تجلس على السرير لكن سرعان ماشعرت أن الأرض تميد بها وتأخذها بعيدًا إلى زقاق العم غفران، كما كانت تبحث عنه فى أول الأمر ووقتها سمعت تلك الأغنية تصدح من جديد.

(الدنيا ليل والنجوم طالعة تنورها.. نجوم تغير النجوم من حسن منظرها)

بنفس الصوت البطىء المرعب، حاولت أن تهرب مذعورة ناحية الضوء الوحيد المنبعث من دكان آخر فى نهاية الزقاق، فإذا بظل ضخم يتجه ناحيتها وقد برز فجأة من وراء أحد الأبنية المتهالكة ..

لم تتبين كنهه في بادئ الأمر، ولكنه كان أقرب إلى خيال أسود اللون يمسك فى إحدى يديه حبلاً طويلاً... حاولت الصراخ فإبتسم كاشفًا عن أنيابه البيضاء المرعبة.. عدت المسكينه سريعًا لكنه كان أسرع منها،فأمسك بإحدى قدميها ثم جثم فوقها وقام بشل حركتها تمامًا ..

و هنا تمكنت من تفحص ملامحه، كان شكله مرعبًا شبيهًا بصور الجن التى طالما إمتلأت بها الكتب، فقد كانت عيونه طولية الشكل ليست كأعين البشر.. حاولت الصراخ ولكن دون جدوى.. حاولت التملص من قبضته الحديدية ولكن لم تستطع الفكاك منها.

شعرت أنهاتختنق تحت ثقله ولم تستطع زحزحة جسدها من تحته، وعلى الرغم من محاولاتها المستميتة إلا أنه تمكن من بسط ما ظنته حبلاً متدليًا من يده اليسرى المُشعرة ، فوجئت بأن الحبل ليس إلا ثعبان أسود يتحرك بسرعة ليتخلص من قبضته هو الآخر..لكنه أمسك برأس الثعبان واضعًا إياها فى فمها وهى تحاول الصراخ.. تاركًا بقية الثعبان خارج فمها متلويًا هو الآخر.. إختلطت ضحكاته الهيستيرية بعبارات غاضبة لم تفهمها ، فى الوقت الذى كان يضغط بيديه على فمها لمنعها من لفظ الثعبان، والذي بدأت تشعر بلدغاته هو الآخر فى لسانها وفمها من الداخل.. وكلما حاولت أن تفتح فمها لتصرخ كان يضغط أكثر على وجهها فى تلذذ..

كانت تبكى من الألم ومن الرعب.. والأدهى من ذلك أنه بدأ يأمر الثعبان ليتحرك أكثر فى فمها.. وبالفعل بدأ الثعبان فى الزحف الى الداخل وهى تكاد

تختنق، بينما جلس يضحك بجنون على صدرها..دارت عيناها في محجريهما راجية أن تبصر أى إنسان يستطيع نجدتها قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة على يد ذلك الشيطان وثعبانه الزاحف داخل حنجرتها...

وهناك بجوار دكان عم غفران لمحت رحمة تقف مرتعبة على بعد أمتار وهى تمد يدها تحاول إنقاذها، ولكنها لا تقوى على الحراك فكانت تزحف على الأرض ناحيتها دون كرسيها المتحرك وتزحف وتصرخ هى الأخرى.. وقتها إنتبه الظل الأسود إليها فسارع بالإختفاء ولكنه إقترب من أذنها هامسًا بصوت كالفحيح:

- لن تهربي منى... لسوف تصبحين ملكي الآن أيتها الجارية ..

ونظر إلي رحمة نظرة أخيرة متوعدة ثم ذهب دون أن يترك أى أثر ... فقبضت على ذيل الثعبان وإنتزعته قبل أن يكمل رحلته في جوفها.

نظرت حولها فى رعب وخاصة عندما بدأ الضوء يغمر المكان، كانت قد عادت إلى الشقة مرة أخرى، فهرولت إلى الحمام لتغسل فمها من الثعبان، لكنها فوجئت بالأرض تنشق عن عدة ثعابين أخرى بدأت بالزحف فى كل أرجاء الحمام.. وبدأوا فى تسلق جسمها وقد شلت حركتها تمامًا ليظهر ذلك الثعبان اللعين الذي شرع على الفور في الزحف بداخلها وقد باءت كل محاولاتها لمنعه بالفشل .

بدأ صوتها يخرج متحشرجًا وهى تنازع أنفاسها الأخيرة على أرضية الحمام.. كانت ترسل نظراتها المحمومة إلى رحمة التى لمحتها إلى جوارها فى تلك الأثناء لكن وجهها كان شديد الزرقة هي الأخرى وقد فقدت السيطرة على أطرافها المتخشبه ، وهى تمد إحدى يديها إلى جوفها والأخرى كانت تحاول خنق نفسها .. حاولت شفاء الصراخ مرة أخرى وإنقاذها ولكنها كانت عاجزة ، فحين يسيطر الخوف على الانسان ويتحكم فيه يتملكه شعور قاتل بالعجز عن فعل أى شئ،وكأن دلائل الحياة قد سُلبت منه لتتركه جسد خاوٍ يتدلى فى تلك الهوة العميقة بين الحياة والموت ...

وفجأة بدأت الأشياء تتضح من حولها مرة أخرى فإذا بها لازلت فى غرفتها.. فقد أفاقت تحديدًا على صوت غريب ربما أفزعها أكثر من الكابوس ، وكان هو السبب فى إفاقتها فجأة .. بينما رحمة كانت تصرخ وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة..

قامت سريعًا لإضاءة الشقة وهى ترتعد وتنظر إلى رحمة التى صرخت بفزع عندما قفزت شفاء إلى سريرها:

- شفاء ما بكِ ..؟

- ماذا بي أنا..؟!!، بل ما الذي حدث لكِ..؟، لقد رأيتك وأنتِ تحاولين كتم أنفاسك يا رحمة.. هل كنتِ تشعرين بنفسك ..؟، هل سمعتى تلك الأصوات التى بدأت فى الهمهمة منذ دقائق.؟، وهذا الصوت الغريب .؟

- أنا لم أسمع أى شيء يا شفاء.. يبدو أنكِ كنت تعانين من كابوس ما .

أفاقت شفاء رويدًا رويدًا ونظرت حولها جيدًا فلم تجد أى شئ، فهمست فى خجل:

- ربما .. ربما يا رحمة، سأغلق الضوء ولنحاول أن نرتاح ما تبقي من الليل.

وبالفعل أغلقت الضوء ولكنها تركت ضوء الحمام مضاءًا حتى تطمئن قليلاً، لكن هيهات ، لقد ظللت الساعة التالية تفكر فى ذلك الكابوس المزعج، وتحاول تهدئة نفسها مما حدث لها فى تلك الساعة الماضية،وعلى الرغم من قناعتها أن ما مر عليها هو مجرد كابوس، إلا أنه كان لديها شعور داخلى بأن هناك شيئًا كان يثير غثيانها خاصة لوجود بعض ذرات التراب بداخل فمها..فحتى وإن كانت تستطيع تخطى ذلك وتفسيره لأى سبب، فكيف تفسر ذلك الجرح البسيط الذى أصابها به الظل الأسود وقبضته الحديدية فى قدمها العارية...؟

ورغم رعبها من ذلك الجرح إلا أنها لا تتذكر ذلك الصوت الذى أتى فى كابوسها ليصرخ هو الآخر.. أين سمعت ذلك الصوت الذى يأتى بهمهمة غامضة ..؟، تكاد

تُجن، ولا تدرى هل كان ذلك مجرد كابوس عارض أم بداية لشئ ما لا تدرى كنهه ، خاصة وأنها شعرت طوال اليوم بإنقباض قلبها تمامًا كما حدث قبل وفاة والدها..؟

حاولت شفاء إغماض عينيها، لكن بدأت تشعر أن هناك خيالاً ما يدور فى سماء الغرفة من الأرض للسقف وهكذا، إلتفتت ناحية سرير رحمة وحاولت مناداتها لكن لم يخرج منها سوى حشرجة لعينة ... أغمضت عينيها بقوة وبدأت فى تلاوة سورة يس.. وقد أيقنت أن الأيام القادمة ستضعها وجهًا لوجه أمام أسوأ كوابيسها على الإطلاق.

***

مرت الأيام التالية بهدوء إلى حد ما، فكان لدى شفاء الكثير من المحاضرات التى لم تستذكرها جيدًا، ولابد من حفظها قبل نهاية نصف العام فى الأسابيع القادمة، لذلك تحججت لأمها بعدم مقدرتها على السفر هذا الأسبوع لإنهاء ما لديها من دروس متأخرة، ولكنها كانت لا تزال تشعر أن هناك شيئًا ما يقبض قلبها دون معرفة السبب..

مر اليوم سريعًا وعندما عادت إلى المنزل قررت أن تخرج مع رحمة للتنزه هذه الليلة، وعند عودتها وجدت أن البنات فى الشرفة تنادين عليها، فتجمدت مكانها فى مدخل العمارة فهى فعلاً نسيت تمامًا موضوع خطوبة زميلتهم، فشعرت بالإحراج ولم تستطع قول شئ ، فلزمت الصمت ولم تُشير حتى لبقية البنات لرد تحيتهم.

أرخت رأسها للأرض وهو تدفع الكرسي المتحرك و سمعت رحمة تهمس لها فى حنان:

- لما لم تردي التحية يا شفاء...؟، إنهم يريدون فقط أن يقتربوا منكِ وأنتِ لا تعطيهم الفرصة يا صديقيتى.

- ربما ستندهشين إذا أخبرتك أنى لا أميل إلى وجود الكثير فى حياتى ، ولا أدرى

ما السبب ..؟، فكثيراً ما أميل إلى العزلة وأتقوقع على نفسي ..فلا أميل دومًا إلى وجود أصدقاء فى حياتى إلا فيما ندر، ولولا وجودك معى فى المكان ما كنت سأهتم إلى حد كبير بوجود رفيقات أخريات فى السكن معى..

توقف المصعد فخرجت شفاء إلى باب الشقة وهي لا زالت تدفع الكرسي المتحرك سريعًا بعدما بدأت الأمطار فى الخارج ،وخاصة عندما أصابها رذاذها عن طريق لوح الزجاج المكسور .

نظرت فى ساعتها كانت تقترب من الحادية عشر من مساء يوم الثلاثاء.. نامت رحمة فى مخدعها بينما بدأت شفاء فى مراجعة بعض المحاضرات، فأحضرت كوبًا من القهوة وعزمت على السهر حتى آذان الفجر.

كان لديها عادة غريبة جدًا فى المذاكرة، فقد إعتادت أن تستذكر دومًا على السرير، وهى تستند بظهرها على العارضة الخشبية، وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة والثلث صباحًا بدأت فى التثاؤب على الرغم من كوب القهوة الفارغ إلى جوارها، وعلى يمينها كان يقع سرير الفتاة الأخرى وبجواره على مسافة نصف متر الكرسي المتحرك ، وبجوارهم النافذة.

وفى مقابل السريرين كانت تقع الدواليب الخشبية ..كان دولاب رحمة لا يستند على الحائط حيث برزت فيه كتلة أسمنتية تمنعه من الإستناد عليه، لذلك كان هناك فجوة من خلفه.

وبينما كانت تتثائب للمرة الخامسة وهى تقاوم النوم شعرت فجأة أن هناك شئ ما يبدو وكأنه ظل أسود يتحرك من خلفه ، مما أصابها بالرعب وتذكرت تلك الليلة السوداء التى مرت عليها من قبل ، وشكت فى الأمر أنه ربما كان ما يحدث مجرد تهيؤات، ولكن الظل بالفعل تحرك فجأة مرة أخرى كطيف خرج مُسرعًا ،ثم عاد لخلف الدولاب فى لمح البصر..

وكعادتها لم تتوقع الأسوأ،وهمست لنفسها أنه ربما كان مجرد فأر، وبالفعل أمسكت هاتفها المحمول وفتحت الكشاف الخاص به وإقتربت من الدولاب بحذر وسلطت عليه الضوء فى تلك المسافة الفارغة من خلفه متأهبة للقفز سريعًا حال حدوث أى شي.

وقتها صرخت عندما رأت يد بارزة..

يد حيوانية إلى حد ما، تشبه تمامًا يد الشئ الذى قام بمطاردتها فى ذلك الكابوس الملعون ..كانت اليد ممتلئة بشعر أسود كثيف تنتهى بكف يد ضخم بأصابع ملتوية، تنتهى بمخالب قاتلة،المرعب أن تلك اليد قد برزت من الحائط وهى تحاول أن تدفع الدولاب إلى الخارج.

إنتفضت من مكانها وهى ترتعد بكل ذرة فى جسدها وقفزت إلى جوار رحمة وهى تصرخ بشدة وتهتف بصوت مرتعش:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. يارحمة.. اللهم أنى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِ أن يحضرون .. اللهم إنى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِ أن يحضرون .. إستيقظى يا رحمة بالله عليك، إستيقظي..

كان الهاتف قد وقع منها أثناء قفزها ، وكعادة الأوقات السوداء لا تتم إلا بإنقطاع التيار الكهربائي، وقد كان..

بدأ جسمها فى الإرتعاد كليًا وهى تنتظر هذا الظل ليخرج من خلف الدولاب، وهى تتطلع إليه بهلع .. كانت الغرفة كلها مظلمة إلا من كشاف هاتفها الملقي على الأرض، وضوئه موجه إلى الحائط بجوار دولاب رحمة، مما أضفى جوًا من الفزع الذى لن ينتهى هذه الليلة..

إستندت إلى رحمة وهى تبكي من الرعب وتحاول أن تقرأ اى من آيات القرآن التى تحفظها عن ظهر قلب ، لكن لشدة رعبها تناستها جميعا .

إلتصقت فى رحمة أكثر فأكثر وبدأت تهز فى أقدامها وجسدها لكى تفيق، لكن نومها كان ثقيلاً جدًا ..بدأت شفاء فى الصراخ حتى تنهض وهى تناديها دون جدوى، وهى تنظر برعب إلى الحائط منتظرة خروج صاحب تلك اليد الحيوانية..

لكن كان هناك شيئًا ما لم تنتبه إليه فى بداية الأمر، فعندما كانت تقوم بهزها شعرت أن جسدها كان ثقيلاً جدًا كأنها ترج فى جوال ممتلئ ..كيف..؟، لا تدري..

إلتفتت بأكملها ناحيتها فلاحظت أن شعرها فجأة تحول نصفه إلى اللون الأبيض، تقهقرت شفاء إلى العارضة الخشبيه لسرير رحمة وهى تحدق بها فى فزع وخاصة عندما بدأت الأخيرة تتمطى وهى تلتفت بجسدها ناحية شفاء.

فجلست نصف جلسة على السرير ولفت بجسدها وتحديدًا برقبتها بزاوية تكاد تكون مستحيلة تمامًا ونظرت إليها قائلة وعلى وجهها إبتسامة مقيتة..

- ما بكِ يا شفاء..؟، أهو حلم آخر من كوابيسك الليلية يا صغيرتى..؟

نظرت إليها شفاء وقد أصابها الشلل تمامًا، نعم هى رحمة، ولكن رحمة مثلاً بعد موتها بعدة أيام، فقد كان وجهها شاحب جدًا وأسود اللون وقد برزت عظام وجنتيها، بينما تحول شعرها كله إلى اللون الأبيض.. ومدت إلى شفاء يدها لتمسك برقبتها، فقفزت إلى منتصف الغرفة ناحية الدولاب مرة أخرى وهى تنظر إليها غير مصدقة ما يحدث لكنهاوجدت يد ذلك الظل الأسود يمسك بها من أقدامها، فصرخت أخيراً بعدما كان صوتها فى بداية الأمر يخرج كحشرجة الموتي..

وبدأت رحمة فى الضحك بقهقهة لا يمكن أن تصدر منها أبدًا .. وقتها جذبها الظل بشدة فوقعت على العارضة الخشبية لسرير رحمة وقد أُغشي عليها من الألم.

***

فى صباح اليوم التالى أفاقت شفاء من سباتها ، وهى ترقد ممددة فى سريرها ورحمة تنظر من النافذة على الأمطار التى كانت تتساقط بشدة فى الخارج بينما كانت تدون فى كشكولها الأزرق بعض الخواطر الخاصة بها..نظرت إليها رحمة بمجرد أن شعرت بحركتها وهى تنظر برعب إلى الدولاب الخشبي وتتحسس مكان إصابة رأسها ، ولكن لفرط دهشة شفاء لم تجد أى أثر لما حدث بالأمس.. إبتسمت لها رحمة وهى تقول بكل وداعة وكأن شئ لم يحدث فى ليلة أمس السوداء :

- الحمد لله أنكِ لم تذهبى إلى محاضراتك اليوم، فالجو شديد السوء فى الخارج ويبدو أنها ستستمر..

لم تجبها ولكنها نظرت إلى ساعة الهاتف الذى وجدته إلى جوارها هو الآخر وقد أشارت إلى الواحدة والنصف ظهرًا مما يعنى أنها قد نامت إثنتى عشرة ساعة متواصلة ..

شعرت شفاء أنه لابد أن تسأل رحمة عن أحداث الليلة الماضية .. هل كانت حقيقية وحدثت بالفعل..؟، أم أن تلك هى أعراض الجنون والتى بدأت بالكوابيس..

توجست شفاء خيفة من ذلك الموضوع ..الوهم..فهى كانت تخشي أن تكون تلك أعراض بداية الجنون كما حدث مع عمتها الوحيدة فى مثل عمرها.. نعم فالجنون أيضًا متوارث ،فالفقراء فى الأسرة هم من يرثون المرض فقط.. فجدتها لوالدها أيضًا توفت فى سن صغيرة بعدما أنجبت عمتها والتى توفت أيضًا ولم تبلغ الأربعين نتيجة إنتحارها الذى أدت إليه حالتها المرضية.

لذلك كانت لا تعلم أكان ما رأته كابوسًا أم وهمًا،أم أنها ستجن فى القريب..

تحدثت مع رحمة بشكل طبيعى جدًا وكأن شيئًا لم يحدث، ولكنها إقتربت من الدولاب الخشبى لتنظر خلفه بحجة إزالة الأكواب من على المكتب، وأنتظرت من رحمة وقتها أن ترمقها بنظرة من جانب عينيها أو حتى تشك بما تقوم به ، لكنها لم تهتم أبدًا بما تفعله وإستمرت فى الكتابة فى ذلك الكشكول..وعندما تحركت من

أمام الدولاب وجدته وقد ترك علامة على الأرض، مما يؤكد على أنه قد تم زحزحته بالفعل عدة سنتيمترات بالأمس..

وقتها بدأت فعلاً تتساءل ، هل تشك فى رفيقتها الطيبة ..؟، فما حدث بالأمس إذن لم يكن وهمًا أو بداية أعراض الجنون المتوارث فى العائلة ، بل كان حقيقيًا، وهذا الأثر على الأرض الخشبية يثبت أن ما حدث كان واقع بالفعل.. حاولت وقتها أن تتصرف بطبيعتها وكأن شيئًا لم يكن..

***

ثلاثة أيام كاملة لم تتحرك من الشقة، كانت تراقب تصرفاتها عن كثب، وساعدها على ذلك أنها فى الكلية كانت قد إنتهت من الإختبارات البسيطة، وكان علّيها أن تنهى إستذكار محاضراتها قبل نهاية الفصل الدراسى وبدء إختبارات الفصل الدراسي الأول، وبدلاً من أن تقضى ذلك الوقت مع أهلها بقيت هنا ، وقد دفعها العناد لتكشف ما يحدث بداخل عقلها أو ربما من رفيقتها.. لكن كل ذلك كان هباءًا منثورًا.

كانت رحمة طبيعية وتعاملها بمنتهى التلقائية، تأكل وتشرب وتستذكر دروسها وتكتب خواطرها الليلية وتشاهد التلفاز وتقرأ وتتحدث مع شفاء ومع صديقاتها في الهاتف.. تتشاجر مع أمها كالمعتاد وتقوم بالأعمال البسيطة يوميًا..ولم تقم خلال تلك الفترة بأى عمل يثير أى شك فيها لدرجة أن بدأت شفاء تشك فى نفسها بالفعل، فربما قامت بتحريك الدولاب وهي تقوم بتنظيف الأرضية دون أن تنتبه..

***

مرت بداية الأسبوع على الوجه الأمثل، لم ينغص حياتها أى شئ، فكانت تحضر محاضراتها ثم تنتهى منها فتعود إلى الشقة لتكمل ما بدأته من إستذكار، لم تكن تتجنب رحمة كما هو متوقع، ولكن إهتمامها بقرب الإختبارات جعلها لا تهتم إلا

بالكلية والإستذكار فقط .. وحاولت بالفعل أن تتناسي ما حدث ، لكن إنقباض قلبها صباح اليوم وخاصةأن اليوم يوافق ميعاد تلك الليلة السوداء ..فقد كان اليوم هو الثلاثاء، ولقد بدأت فعليًا فى التشاؤم من هذا اليوم.

ولكنها عندما كانت عائدة من الكلية متعبة، وإقتربت من المصعد حدث شئ أثار دهشتها فى بداية تلك الليلة ، فقد كانت هناك إحدي رفيقات السكن فى الطابق السادس تنتظر المصعد، وما إن أتى حتى وقفت حتى تدخل، إلا أنها تنحت جانبًا فدخلت شفاء إليه وإنتظرتها لتأتى معها ، لكنها نظرت إليها برعب لدرجة أنها شعرت أنها ترتعد وهى تتمتم بتوتر ملحوظ:

- لا لا تفضلى أنتِ، لقد نسيت أنى سأذهب لإحضار بعضًا من الشاى والسكر واحمد الله انى قد تذكرت الآن ، فلايوجد لدينا أيًا منه.

قالتها وهى تلتفت لتهرول إلى خارج العمارة، وشفاء لازالت تنظر إليها بإندهاش.. وعندما دلفت إلى الشقة لم يكن هناك أى جديد.. وكعادتها تناولت عشاء خفيف ثم أدت ما عليها من صلوات، وتبادلت أطراف حديث بسيط مع رحمة التى ما لبثت أن نامت، لتتركها فى إنتظار مصيبة اليوم كما كانت تشعر..

كانت تقاوم النعاس بطريقة مجنونة، لكنها لم تستطع أن تصمد إلا للثانية عشر صباحًا فأمسكت بهاتفها المحمول وفتحته على إذاعة القرآن الكريم وخفضت صوته ووضعته بجانبها على الكومود الفاصل بين سريرها والسرير الآخر.

بعد فترة كانت الشقة تسبح فى الظلام الدامس عندما أفاقت على سقوط جسم ما فى الشقة، قامت مفزوعه خوفًا على رحمة من أن تكون قد وقعت فى الحمام فقفزت من سريرها الذى كان بالقرب من الحمام على يسار الممشي، ولكنها اندهشت من ذلك الضوء بداخله والممتد إليها من أسفل الباب .

لم تعرف السبب وراء إنقطاع التيار الكهربي فى الخارج ، بينما كان الحمام

مضيئًا من الداخل ، قطع حبل أفكارها تحرك عدة أرجل بداخله ..أرجل ليست بشرية، وتلك الأقدام كانت تلف وتدور حول بعضها كما كان واضحًا من الخيال الذى كانت تشاهده مرعوبة.

تدثرت بالغطاء وتظاهرت بالنوم وهى تنظر إلى تلك الخيالات السوداء الآتية إليها من الداخل ،فقد كان هناك ثلاثة أرجل أو قدمان وذيل لشئ يلف حول نفسه بالحمام.. مدت يدها إلى هاتفها الذى لم تجده إلى جوارها وهمست فى هدوء:

- رحمة.. أنتِ فى الحمام..؟!! ،رحمة.. رحمة.. بالله عليكِ أجيبينى.

وبدأ صوتها همسها يعلو شيئًا فشيئًا، فقد كانت مرعوبة أن يلفت صوتها إنتباه ذلك الشئ الموجود بالداخل، وفى ذات الوقت كانت تريد أن تطمئن على الفتاة التى لم تجدها فى سريرها ، ولكن رعبهاعلى رحمة جعلها تتشجع قليلاً فإقتربت مرعوبة من الحمام على أطراف أصابعها وهى تشعر أن دقات قلبها أصبحت مسموعة عن بعد ونظرت من خلال تلك الفُرجة الضيقه من الباب الموارب لتجد منظرًا لن تنساه ما تبقي لها من العمر.

فرأت رحمة تجلس على أرضية الحمام وبجوراها ظل أسود لم تتبينه جيدًا وأطفال أو مخلوقات بحجمهم ، ولكن وجوههم ممسوحة تمامًا وآذانهم طويلة بشكل جعلهم أشبه بالحيوانات ، بينما كانت الفتاة فى الداخل تضع شيئًا ما فى إحدى الأطباق ثم تأخذ بأصابعها شيئًا آخر لتضعه فى منتصف الظل الذى بدأ يتكون وكأنها تطعمه فتضع يدها فى وسط وجهه المطموس تمامًا..ظل الخيال يتجسد ويتجسد بينما تلك المخلوقات كانت تتشممها وتمسك شعرها وقدميها أما الظل فقد أخذ يدور حولها فى سرعة حتى غطاها تمامًا.

هرعت شفاء إلى سريرها صارخة وهى أقرب للإنهيار :

- رحممممة.....

لكنها جفلت بشدة حينما أتاها صوتها من يمينها وهى تصرخ هى الأخرى من على سريرها :

- ماذا بكِ أيتها المجنونة، لما تصرخين عليّ هكذا، ما الذى ألّم بكِ...؟، أي شيطان يدور بداخل عقلك..؟، ها أنا بجوارك فلِما تصرخين..؟

نظرت إليها شفاء برعب ، فقد كان وجهها تمامًا كما رأته فى الأسبوع الماضي، نفس الوجه الشاحب والعينان البيضاوان..بينما نظرت فى رعب إلى الحمام فلم تجد أى أقدام داخله بل كان الضوء الخافت هو ما يضئ الصالة إضاءة بسيطة وسكون تام من حولها إلا من صوت رحمة التى لازالت تردد فى سخرية:

- ما الذى ألّم بكِ...؟، أي شيطان يدور بداخل عقلك..؟، ها أنا بجوارك فلِما تصرخين..؟

أغمضت شفاء عينيها بقوة وفتحتهما لأكثر من مرة وهى تنظر إلى رحمة بوجهها المرعب وضحكاتها التى بدأت تتعالى لتثير جنونها أكثر وأكثر ، ومما زاد من فزعها أن وجهها بدأ يتحول إلى هيئة مسخ أو شيطان وهى تمد يديها نحوها قائلة بصوت أجش:

- ألم أخبرك أنكِ ستصبحين ملكي أيتها الجارية.. هى أيام لا تقلقي.. هى أيام.. مع إكتمال هذا القمر سترين كل شئ..

صرخت بدورها فى رحمة أو لنفسها فى محاولة منها أن تفيق من ذلك الكابوس الذى سيقضي على حياتها من تزايد ضربات قلبها :

- رحمة.. إستيقظى بالله عليك.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. رحم.....

ولكن صوت باب الحمام بدأ يصدر أزيزًا مزعجًا، وكأن هناك شيئًا ما يدفعه للخروج.. فإلتفتت لرحمة صارخة مرة أخرى وهى يكاد يغشي عليها من الرعب:

- لم يتبق إلا أيام على ماذا يا رحمة... رحمة بالله عليكِ أفيقي..

وقتها رأت أن هناك شيئًا ما يخرج من الحمام، شيئًا غير واضح المعالم أبدًا، لكنه كان أقرب إلى كلب.. أو شيطان.. لا تدري..كان قصير القامة، يرتكز على ذيل طويل ويسير على يديه وقدميه.. ثم بدأ فى الزحف ناحية سريرها..

كان جلده كله مغطى بذلك اللون الأسود، لكنه ليس كالظل الذى ظهر من قبل فى أحلامها، فهو مختلف عنه ..

جلس فى منتصف الغرفة وبدأ فى إصدار حشرجة مرعبة وهو يقترب زحفًا من السرير، وكلما إقترب كانت ضحكات رحمة الشيطانية المجنونه تتعالى أكثر فأكثر..

كانت تحاول أن تسكتها بأى شكل فصرخت فيها لتصمت، ولكن دون جدوى، وكلما صرخت فيها زادت من ضحكاتها، وكلما زادت ضحكاتها إقترب المخلوق الزاحف أكثر فأكثر..

قفزت من سريرها الذى كان قد إقترب منه وصعد بيده المشعرة إليها وعيناه الحمراوان على سرير رحمة ، وكأنه يأخذ أوامر من عينيها ، وشعرت شفاء أن بينهما علاقة ما، فحاولت أن تخرسها دون جدوى.

فقفزت على سريرها ووضعت يدها على فمها حتى تسكت ، فزاد ذلك من مقاومتها وضحكاتها الهيستيرية، وقتها لم تدر شفاء بنفسها إلا وهى تضع يدها على رقبتها وتخنقها، وكلما ضغطت على رقبتها كانت ضحكاتها تخرج متحشرجة، وإختلط صوتها بصوت الحيوان المجهول الزاحف الذى بدأ فى الصراخ هو الآخر فى مشهد مرعب ، مما زاد من صراخ ثلاثتهم وخصوصًا صراخ شفاء الذى كان يصم الآذان.

لكن فجأة تغير المشهد بأكمله، فقد غمر الصالة ضوء التيار الكهربائي وطرقات سريعة وصراخ على باب الشقة، بينما وجدت شفاء نفسها وهى تجلس على صدر رحمة التى تحول وجهها إلى اللون الأزرق وهى تطبق على أنفاسها فبدت وكأنها فعلاً فى الرمق الأخير وهى تدفع يدها فى إستماتة قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة..

رفعت شفاء يدها عنها وهى تنظر إلى يديها فى دهشة وسط نظرات رحمة المرعوبة... قفزت شفاء إلى باب الشقة لتفتحه سريعًا بينما كانت رحمة تتحسس رقبتها وقد إنخرطت فى بكاء هيستيرى.

وقبل أن تفتح الباب بالكامل قفزت منى وزميلاتها إلى داخل الشقة فى رعب قائلة بخوف:

- ماذا بكِ يا شفاء..؟!، أأنتِ بخير..؟ .

بينما دخلت الفتاتين الأخرتين إلى داخل الشقة وتوجهن ناحية سرير رحمة التى رأتها شفاء تمسح دموعها وهى تنظر إليهم تارة وإليها تارة أخرى ، شعرت شفاء أنها تحاول أن تخبرهم ، ولكن عندما نظرت إلي عين رحمة توسلت إليها ألا تفضحها فإنخرطت فى البكاء مرة أخرى.

أفاقت مرة أخرى على يد منى التى كانت تهزها بشدة:

- شفاء أخبرينا ماذا بكِ..؟ ، أأنتِ بخير..؟ ، لما هذا الصمت..؟،لقد وصل إلينا صراخك فقمنا مذعورين، فقد خشينا أن.....

قاطعتها شفاء فى خوف :

- لا.. لا يا منى، لا تخافي، أنا أعتذر لكِ، فقد كان ذلك مجرد كابوس لعين .

نظرت شفاء بجانب عينيها ناحية سرير رحمة فأومأت برأسها مؤيدة كلامها وهى تنظر إليها فى رعب هى الأخري مشيرة للبنات فى صوت هامس :

- إن شفاء قد هاجمها ذلك الكابوس اللعين مرة أخرى، نعتذر لكم إن كانت قد تسببت لكم فى أى إزعاج.

نظرت لها شفاء ممتنة، فلو وصل الأمر إلى سمع صاحب العمارة فسوف يطلب منها الرحيل فورًا لخوفه من وجود مريضة نفسية فى بيته، ووقتها بالطبع لن تستطيع الحصول على أى مكان آخر، وربما تفشل فى السنة الدراسية بأكملها،

حانت منها إلتفاتةإلى الحمام ولكنها أفاقت على صراخ منى مرة أخرى:

- لماذا لا تجيبينى..؟، وإلى أين تنظرين..؟، أهناك ما يخيفك..؟، لقد أصبحتي لا تُطاقي يا شفاء .. هيا بنا يابنات، فالوضع بخير والحمد لله، حاولى أن تتناولى أى مهدئات ، فلن نحتمل أى صراخ مرة أخرى بالله عليكِ، أنظرى إلى صراخك ماذا فعل فى البنات، لقد كدنا أن نصاب بسكتة قلبية، من يستمع إلى صراخك يظن أن ف.....

قاطعتها شفاء قائلة فى برود :

- لقد أخبرتك أنى أعتذر لكم جميعًا، والآن هل تتركونى لأرتاح قليلاً، فأنا متعبة وأريد النوم..وذهبت الى باب الشقة لتقوم بفتحه وكأنها تقوم بطردهم

نظرت إليها منى وبقية البنات فى دهشة من طريقة ردها الجاف، ولكنها لم تنبث ببنت شفة وهى تصطحب رفيقاتها ليغادروا ويغلقوا الباب خلفهم، وهى فى أشد حالات الخجل من رحمة، التى ما إن تلاقت نظراتهم حتى أدارت جسدها ناحية النافذة قائلة:

- لا أدري ما الذى أصابك..؟، ولا أدرى كيف أئتمنك على نفسي مرة أخرى، أتمنى أن تحاولى البحث عن مكان آخر يا شفاء قبل أن ترتكبي جريمة قتل المرة القادمة.

صرخت شفاء فى الغرفة وهى تكاد أشبه المجانين قائلة وهى تشير إلى الدولاب والحائط والسرير :

- أنتِ لن تصدقينى إذا أخبرتك، ستتهمينى بالجنون لا محالة.. هذه الشقة ملعونة، أقسم بالله أنها كذلك .. هناك شيئًا ما فى الجدران لا أعلمه .. أنا لم أقصد أن أقتلك أو أخنقك أبدًا، ولكن هناك شيئًا ما يدفعنى لذلك ولا أدرى ما هو .. من الغد سوف نبحث عن مكان آخر ولو بعيد عن الجامعة، لن أتركِ تعيشين فى هذا المكان الملعون وحدك.

إلتفتت رحمة صارخة بدورها:

- هذا المكان الملعون أقيم فيه منذ ثلاث سنوات يا شفاء، ولم يحدث مرة واحدة أن رأيت شيئًا أو حدث لى أى شئ من ذلك، لا شئ يخرج من الجدران، لا أصوات ولا محاولة قتل....

حاولت شفاء الإعتذار منها مرارًا، وبحثت عن هاتفها الذى كان مغلقًا وملقي على الأرض، وفتحته على إذاعة القرآن الكريم، ولكنها ظلت ترتعد حتى الصباح..

***

فى صباح اليوم التالى ذهبت شفاء لسؤال السيد علاء شكر صاحب المنزل والتحجج بالبحث عن شقة أخرى لشقيقها بالقرب من هذا المكان أو حتى غرفة، كانت تحاول أن تعرف منه إن كان قد نما إلى علمه ما حدث بالأمس، ولكن للأسف وجدته وقد غادر القاهرة لحدوث وعكة صحية لأحد أقاربه.

تذكرت وقتها عم غفران ،حاولت الإتصال به عشرات المرات ولكن هاتفه مغلق..

- هاتفه اللعين مغلق دائمًا .. اللعنة.. لن أذهب لذلك الزقاق الملعون مرة أخرى..

هكذا وقفت شفاء فى منتصف الشارع صارخة ...

- الزقاق..؟!! يالغبائي .. إنه الزقاق ..

هبطت على عقلها تلك الفكرة مرة واحدة ، وتذكرت من هو صاحب الصوت المفزع والذى جاء لها في الكابوس..؟، وما هو الشئ الذي كان يزحف بالأمس خارجًا من الحمام بيديه المشعرة وعيونه الحمراء النارية، جلست على الرصيف بجوار مدخل العمارة وهى تضع كفها على جبينها قائلة بدهشة:

- كيف لم أنتبه لذلك من قبل ..؟!!

فقد كان الحيوان صاحب الصوت المتحشرج هو...

نسناس العم غفران.....

***

الفصل الرابع

الجنون

***

كلنا تمر علينا ظروفًا وأوقاتًا نشعر فيها أن العالم بأسره يقف ضدنا وكأن كل الظروف والأحداث تعاندنا، مرحلة نكون فيها أقرب فيها إلى الجنون، لكن تماسكنا ووجودنا بجوار من نحبهم ونطمئن معهم هو ما يُشعرنا بالأمان، ويجعلنا نتجاوز تلك المرحلة سريعًا دون خسائر .

***

جلست شفاء على الرصيف فى محاولة منها لإدراك ما يدور من حولها، لكنها لم تصل إلى أي شئ ، ظلت هكذا حتى عندما رجعت منى وليلي الذين وجموا عندما رأوها على هذه الوضعية، فنظروا إليها ولم يتحدثوا معها بل تجاوزوها إلى الباب الزجاجى لمدخل العمارة وقتها أدركت أن معهم كل الحق فلو كانت مكانهم لظننت فعلاً أنها مجنونة..

كانت على يقين أن هناك شيئًا ما فى الشقة، لكنها لا تعلم ما هو.. شيئًا سيجعلها فى وقت ما قاتلة ، وربما ستقتل رحمة بدون هوادة كما كان سيحدث من قبل،أصبحت تشعر أنها فى طريقها إلى الجنون المطبق دونما سبب.

أو ربما كان هناك أسوأ من ذلك..لكن ظل التساؤل ، هل تترك القاهرة وترحل ولتذهب السنة الدراسية إلى الجحيم ..؟

أم تدعو الله أن تنهى بقية الأسابيع القادمة على خير، وتنهى دراستها هذا العام لتنتقل أخيرًا إلى هناك..؟،ولكن هل تترك رحمة فريسة لما سوف يحدث بالشقة وترحل لأى مكان آخر وهى على يقين أن هناك شيئًا ما قادم..؟، حتى إذا نجحت فى الحصول على مكان آخر تتواجد فيه لآخر العام، هل ستأتى معها رحمة وتترك مكانها القريب من الجامعة..؟ عادت للتفكير مرة أخرى إلى ذلك العجوز الغامض ونسناسه المرعب..

رغمًا عنها وجدت نفسها تهاتف أدهم للإطمئنان عنه ،ورغمًا عنها أيضًا بدأت تحدثه أنها متوترة وقلقة من الظروف التى تمر عليها ،وأنها ستخبره بكل شئ فى القريب ..هى تحتاج فقط لدعواته ..

قامت من جلستها تلك لتصعد إلى الشقة وهى تدعو الله أن تمر الأيام القادمة على خير وتحاول أن تعيد الثقة المفقودة بينها وبين رحمة.

***

خلال الأيام التالية كان الوضع مطمئنًا إلى حد ما ، لكنها يوميًا كانت ترى ذلك الدولاب وهو يتزحزح قليلاً إلى الخارج ، فتقوم بإعادته مرة أخرى للخلف، وهكذا يوميا.. ودون ذلك كانت الأمور عادية، فقد كانت تترك رحمة التى عادت علاقتها بها كما كانت فى السابق كما توهمت شفاء، كانت تذهب إلى الكلية صباحًا لتعود لتستذكر دروسها في المساء، وفى ليلة السبت كانت تتنزه معها لشراء بعض المستلزمات، وعند عودتها كانت كعادتها تجد البنات المهووسة اللاتى كانت تراهم يسخرون منها ويشيرون إليها من النافذة وهم يضحكون، بينما ربتت رحمة على يد شفاء التى تدفع كرسيها المتحرك قائلة فى ود:

- لا تهتمي يا شفاء كلنا نتعرض لمثل هذه المواقف فى حياتنا اليومية.. تجاهلك لهم سيجعلهم يملون من تفاهة ما يقومون به، لا تلتفتي إليهم كلنا تمر علينا ظروفًا وأوقاتًا نشعر فيها أن العالم بأسره يقف ضدنا وكأن كل الظروف والأحداث تعاندنا ، مرحلة نكون فيها أقرب فيها إلى الجنون ، لكن تماسكنا ووجودنا بجوار من نحبهم ونطمئن معهم هو ما يُشعرنا بالأمان ، ويجعلنا نتجاوز تلك المرحلة سريعًا دون خسائر .

ابتسمت شفاء لها و لكنها سألت نفسها.. هل أصبحت مختلة فى نظر الكل حتى رحمة..؟ من داخلها لم تُجب لأنها لم تجد تلك الكلمات التى تدافع بها عن نفسها ، فلم يكن ذلك ما يشغلها فقط...

بل كان همها الأكبر هو أن اليوم هو الثلاثاء...

ميعاد كابوسها الأسبوعي...

***

إحتست شفاء فى تلك الليلة فنجانين من البن الغامق ، وكانت رحمة فى الحمام الذى تأخرت فيه كثيراً ، وبالرغم من أن شفاءقد قلقت عليها، لأنها كانت تستحم وقد أخذت وقتًا كبيراً على غير عادتها ، إلا أنها قد صاحت على رحمة قبل أن تتظاهر بالنوم:

- رحمة... هل أنتِ بخير...؟

لم ترد رحمة، فأعادت شفاء سؤالها ، فردت رحمة هذه المرة بإقتضاب:

- أنا بخير يا شفاء لا تقلقي... ليس هناك أى داعى للصياح... نامى أنتِ فحسب ، فأنا سآخذ دُشًا دافئًا ثم سأخلد إلى النوم.

- حسنًا... كنت سأنام الآن ولكنى أردت الإطمئنان عليكِ فحسب ، هل تحتاجين لأى شئ قبل أن أن أخلد للنوم..؟

سمعت شفاء رحمة وهى تتأفف قائلة:

- لا... لن أحتاج منكِ شئ، اذهبي ونامى بالله عليك.

إستلقت شفاءعلى سريرها وهى تقرأ فى أحد محاضرتها وهى تلتف بالغطاء... كانت من داخلها تشعر أن هناك شيئًا ما سيحدث فى الساعات القادمة... فاستسلمت وهى تنظر بطرف عينيها ناحية رحمة التى خرجت من الحمام بكرسيها المتحرك وتوجهت إلى المرآة وأخذت تمشط شعرها الطويل ووضعت بعض المساحيق الخفيفة وسط إندهاش شفاء فيما تفعله ، وقد إبتسمت لنفسها فى المرآة ابتسامة واسعة متمتمة بكلمات غير مفهومة بصوت هامس ، ثم اقتربت من الجدار وتظاهرت بالاستناد عليه وهى تربُت عليه بهدوء..

دق قلب شفاء بعنف عندما شعرت وكأن هناك من يراقبها من مكان ما خلف الجدران.. تذكرت قول قديم لجدتها ولا تعلم لما طاف فى عقلها الان ((للجدران أذان صاغية))

إقتربت منها رحمة وهى تنظر إليها مبتسمة ، ولكنهاأصيبت بالدهشة عندما إقتربت منها أكثر وهى تشير إليها لتقترب وهى تضع قبلة إمتنان على وجنتها قائلة بحب:

- شكرًا لكِ يا شفاء... لقد كنتِ لى أعظم من الأخت، لن أنساكى أبدًا... وأرجو أن تسامحينى فى أى شئ سئ قد أكون سببته لكِ ، سيأتى يومًا وتعذرينى... شكرًا لكِ من كل قلبي.

- تشكرينى عن ماذا يا رحمة...؟!! ، وعن أى شئ أسامحك..؟!!

- لا لشئ واحد يا صديقتى... بل لكل شئ...

لم تدرك شفاء ما تقصده رحمة ، لكنها كانت فى الأيام الأخيرة ممتنة لكل ما تقوم به، فإبتسمت بدورها وشكرتها وحاولت إشغال عقلها قليلاً، حتى شعرت أن رحمة قد نامت بالفعل بعد حوالى ثلاثون دقيقة ..

كان القرآن لا يزال مستمرًا فى هاتفها... فأطفأت النور وتظاهرت بالنوم حتى أتى الميعاد المشئوم...

بدأ الأمر بسيطًا بزحزحة بسيطة من الدولاب، والتى لاحظتها بهدوء، وقتها كانت تود أن تصيح على رحمة،لكن صوت نفسها المنتظم أكد لها أنها فى سبات عميق.. ولكن شفاءكانت متنبهة تمامًا لما يحدث فى الدولاب ،والذي بدأ يتحرك ببطء إلى الخارج، دعت الله أن يكون ما يحدث هو من الواقع وليس من نسج تخيلاتها كالعادة.

كان الدولاب يتزحزح سنتيمتر تقريبًا كل دقيقتين، ومعه بدا ذلك الصوت لهذا النسناس الملعون واضحًا مع تلك الهمهمة الغريبة، لكن المرعب هذه المرة أن الصوت لم يكن للنسناس بمفرده، لقد بدا وكأنه سيخرج مع العديد من قومه.. فقد كانت الأصوات تقترب من الحائط فى المسافه بين الدولابين ، فى ذلك المكان الذى ربتت عليه رحمة تحديدًا..

بدأت الأصوات تعلو وتعلو وتقترب أكثر، وكأنها ستخرج من تحت سريرها، شعرت وقتها شفاء أن أصحاب تلك الأصوات سيخرجون من تحت سريرها بالفعل كانت مجرد الفكرة مرعبة بالنسبة لها، فأغمضت عينيها بقوة.

ولكن فجأة إنقطع التيار الكهربائي وغرقت الشقة فى ظلام دامس، ولم تجد هاتفها بجوارها والذى صمت فجأة هو الاخر ، وكأن هناك يدًا إمتدت إليه لتُصمته... فأغمضت عينيها أكثر وأكثر وبدأت فى ترديد ما تحفظه من آيات قرآنية وأدعية، مرت فترة لم يحدث خلالها أى شئ، فقد توقفت الأصوات تمامًا بمجرد إنقطاع التيار..

إرتفعت حرارة الغرفة مرة أخرى وعادت أصوات الهمهمات بشدة... كانت متداخلة وكأنها تأتى من كل مكان حولها..

أصوات من الحائط ومن تحت سريرها وأصوات من الحمام ومن وراء الجدار الفاصل بين شقتها والشقة المهجورة..

شعرت شفاء أن هناك ثقلاً ما على السرير يقترب منها عندما سمعت صوت الخشب كنتيجة لتحرك الثقل نحوها... إرتعدت أكثر وأغمضت عينيها وشعرت أن هناك أنفاسًا ساخنة تلفح وجهها، وشيئًا ما يلمس شعرها.. كادت أن تموت من الخوف وليس بيديها أى شئ لتفعله سوى التظاهر بالنوم فقط...

زادت الأصوات وتحرك الثقل من جوارها وفتحت عينيها ببطء وهى ترتعد بكل ذرة فى جسدها ولكنها لم تجد أى شئ فى الغرفة إلا بعض الهمهمات وأصوات أشياء ترتطم ببعضها البعض فى الصالة وبجوار الدولابين أمام سريرها..

عندما تنظر فى الظلام طويلاً فإن عينيك تعتاد الرؤية شيئًا فشيئًا، ومن ضوء الشارع الذى كان يصل إليها على إستحياء، كان من الواضح أن الكهرباء تقطع عندها فقط.

وقتها بدأت عينيها فى رؤية ما يحدث بوضوح بداخل الصالة، و ياليتها لم تري شيئًا فقد رأت ما لم يمكن لها أن تتصوره حتى فى أسوأ كوابيسها...

كانت رحمة جالسة على الأرض تمامًا، ومن حولها ثلاثة أجسام لاتعلم ما طبيعتهم على وجه التحديد ، فقد كانوا أقرب لنساء عجائز جدًا، موليين ظهورهم إلى شفاء ويتحسسون جسد رحمة وهم مستندين على ركبهم عند الحركة التى كانت ببطء، فقد كانوا يقتربون منها يتشممونها ويمسكون بشعرها وأحداهن تضعه على رأسها وسط سكون رحمة بالكامل ، وكأنها لا زاالت نائمة أو مُخدرة بالكامل.

بدأوا فى الإلتفاف من حولها زحفًا، ثم الإستناد على بعضهم البعض والإقتراب منها على هيئة دائرة وأصواتهم تتعالى .. كانوا يتكلمون بطريقة غريبة جدًا وبلغة غير مفهومة ، وكأنها تلك اللغة التى تحدثت بها رحمة منذ ساعة أو أكثر، كانت شفاء ترى كل ذلك ولا تستطيع حتى التنفس..

حاولت الصراخ لكن صوتها كان يخرج بحشرجة ، وكأنها أصبحت هى الأخرى فى الرمق الأخير... ولكن هذا الصوت الخارج قد لفت إنتباه إحداهن،فقد سمعت حشرجتها إحدى هؤلاء العجائز ، فتركت الأخريات وإقتربت من السرير ومدت يدها كطفل يتشبث بالملاءة حتى قفزت إلى جوارها..

إقتربت منها و بدأت فى تشممها كأي كلب فى الشارع عندما يقترب منك، وضعت فمها على شعرها ووجنتيها ورقبتها التى بدأعرقها يتصبب من الرعب، حاولت جاهدة ألا تفقد وعيها من شدة الخوف مما سيحدث ...حاولت الهروب لكن جسدها كان كما لو كان قد شُل هو الآخر ، فلم تستطع حتى تحريك يدها عندما مدت العجوز المطموس وجهها لسانها القذر ولحست تلك القطرات المتصببة على جبينها.. وما إن إنتهت حتى فتحت فمها الخالى من الأسنان، وبكل ما أوتيت من قوة قامت بإطلاق صرخة هائلة صمت آذانها...

وقتها تيقنت شفاء أنه ما هى إلا لحظات وستنقلب العمارة رأسًا على عقب نتيجة لصوتها الجهورى، والذي لم يتناسب إطلاقًا مع سنها ..

ومع صراخها قامت الإثنتان وبدأن فى الزحف، وكأنها إشارة بينهم، فقد بدأن فى التحرك خلف بعضهم البعض وهم يتجهون ناحية الصالة، ليخترقوا الحائط إلى الشقة المجاورة.. ووقتها حدث ما لم تكن شفاء تتوقعه على الإطلاق، فقد وجدت رحمة تستند على الأرض وتنهض واقفة على قدميها وتقترب من الدولاب ، وسط ذهول شفاء مما تراه ، فقد وقفت رحمة على قدميها وسارت.. وقتها كادت شفاء أن تصاب فعلاً بأزمة قلبية، وخصوصًا عندما وقفت رحمة وراء الجدار وقد ظهرت فجأة أيدى كثيرة من خلف الدولاب... تلك الأيادى التى طالما طاردتها فى كوابيسها... ولكنها إلتصقت بالحائط وفوجئت بيديها وقد إخترقته هى الأخرى لتقوم بإحتضان صاحب تلك الأيدى والذى ضمها بشدة للحائط فى مشهد مرعب..

عادت رحمة مرة أخرى إلى منتصف الغرفة راكعة على الأرض ، و فجأة خرج من الحائط تمامًا صاحب تلك الأيدي، والذى لم يكن سوى ذلك النسناس الملعون الذى رأته شفاء عند الشخص الملعون المسمي بالعم غفران، لكنه كان أكبر حجمًا وهو يُمسك بيد رحمة التى كانت تتجه إلى الجدار مرة الأخرى.

ولكنها توقفت فجأة لتنظر إلي شفاء للمرة الأخيرة، وبنفس الصوت الأجش الذى سمعت إياه فى أول كابوس هتف ذلك الكائن وهو يلتفت إلى شفاء :

- أعلم تمامًا أنكِ مستيقظة ولكنى تركتك لترى كل ذلك بنفسك ولتتأكدى أنكِ لستِ مجنونة.. أنتِ فقط كان يلزمك الوقت لتعلمى كل شئ، ستعلمين كل شئ فى الوقت المناسب.. ولكن اليوم هو ميعاد رحيلها وعودتها إلى جسدها مرة أخرى.. الآن فقط دورها إنتهى، وأنا قبلت الترضية...ولكنه لم يكن لينتهى لولاكِ... وحان الآن دورك يا شفاء...هى كانت مجرد شخص لإستكمال لمسيرة أشخاص قُدر لهم

المرور بنفس الشئ، ولو لم تصل هى فى الوقت المناسب كان ستستمر معاناتهم، وكذلك أنتِ، فلولا ظهورك كانت ستستمر معاناتها .. لقد إنتهى دورها، إنتهى يا شفاء، والآن حان دورك.. لقد أخذت حق الإسترداد.. وعادت لجسدها فى حين أصبحت أنتِ جارية جديدة.. سأكون فى إنتظارك فى وقت ما .. هناك.. سأنتظرك ..

حاولت شفاء الرد عليها أو الإستفهام ولكن لم يخرج منها سوى تلك الحشرجة اللعينةوهى ترى الإثنين يمسكان بأيدى بعضهما مقتربين من الحائط والذى رأته وقد فتح به بابًا للمرور إلى الشقة الأخرى.. ليدخلا فيها ثم يُغلق الباب من خلفهم..

وبمجرد إغلاق الباب عاد الحائط إلى شكله الأول ، وعادت الأمور إلى طبيعتها، فقد أُضيئت أنوار الشقة كلها وعاد إلى شفاء صوتها مرة أخرى.. فقفزت من السرير إلى الأرض، لكن قدميها لم تكن قادرة على حملها، فوقعت على أرضية الصالة.. وقد أحست بشئ دافئ يسيل من أنفها، فتحسستها لتجد أنفها وقد بدأ ينزف دون سبب..

لم تكن قادرة على التنفس وجسدها كله كان لا يزال يرتعد...نظرت حولها فى رعب.. لم يتغير شئ بالغرفة فيما عدا الدولاب الذى أصبح فى المنتصف فقط..

إستندت على الجدار وهى لا تزال تنزف، وإتجهت سريعًا نحو باب الشقة .. لم تكن لتحتمل المكوث بداخل تلك الشقة الملعونة ولو لدقيقة واحدة أخرى، لكنها كانت تتحرك وقدميها ثقيلتان جدًا وكأنهما قد قيدتا إلى أثقال تشدهما ..

هبطت سريعًا حافية القدمين إلى الطابق السادس نحو شقة منى وليلي وإيناس، نعم.. كانت تعلم أنهم أصبحوا لا يطيقونها بعد ما حدث أخيراً، لكن أقنعت نفسها أن ما باليد حيلة ، فهى لن تنتظر دقيقة أخرى بتلك الشقة .. ضغطت على الجرس بدون إنقطاع وهى ترتعد، ففتحت ليلي ، وما إن رأتها والدم يغطى وجهها وملابسها حتى سقطت مغشيًا عليها.. فهرعت إليها منى وهى تصرخ:

- ماذا حدث..؟!!

كانت شفاء لا تزال ترتعد، لكنها بالكاد تمالكت نفسها وهى تشير للطابق العلوى وتصرخ بهيستريا:

- الجدار.. رحمة..العجائز.. القرد.. رحمة.. مشت ..الغرف.. الإسترداد..

ولكنها لم تستطع إكمال حديثها، فقد سقطت مغشيًا عليهاهى الأخرى...

***

كان قد مر وقت طويل حينما بدأت شفاء تستعيد وعيها لتجد نفسها فى سرير منى، وهى تحاول أن تفيق من غيبوبتها، والتى إستمرت حتى ظهر اليوم التالى ..كانت تشعر بمن حولها وكأنهم أشباح بجانبها تهمس لبعضها فى خفوت وهى تميز صوت أدهم وسطهم :

- يبدو أنها تفيق الآن ، حمدًا لله..

ردت عليه منى فى قلق:

- إنى أخشي عليها ، ولابد من إخبار أهلها، فربما يحدث لها شيئًا ما، ونحن لا نعلم عنها أى شئ ، ولكن نحمد الله أن آخر رقم كانت قد إتصلت به هو رقمك.

ردت ايناس فى توتر:

- لقد أبلغت صاحب العمارة وهو فى طريقه إلينا، فربما كان لديه صورة من بطاقتها الشخصية أو أى شئ نستدل به على عنوانها.

قاطعها أدهم فى غضب :

- أخبرتك أنى فى مقام ابن عمها ، ولا داعى أصلاً لكل هذا التوتر، وقد طلبت منكم نقلها إلى أقرب مستشفي حتى أحضر ، لكنكم لم تنقلوها ، فما فائدة إزعاج الرجل الآن مادمتم أخبرتمونى أن الأمر بسيط...؟

ردت منى فى هدوء :

- كيف ذلك يا أستاذ أدهم...؟، لابد أن يعلم بكل ما يجرى ، فأنت لم تراها بالأمس ، ولو رأيتها لتأكدت أن فى الأمر مصيبة ما ، وعوضًا عن إبلاغ الشرطة قمنا بالإتصال بك،لإننا لا نعلم رقم أهلها وبالتالى اتصلنا بصاحب العمارة لمجرد إخلاء مسوليتنا عن أى شئ قد يحدث.

تكلمت شفاء فى وهن وفتحت عينيها والتى كان لا يزال عليها تلك الغشاوة.. مما جعل منى تزفر بإرتياح قائلة وهى تربت على رأسها فى حنان:

- حمدًا لله على سلامتك يا شفاء ، لقد أرعبتينا ليلاً من تلك الدماء التى كانت تغرق ملابسك، لقد قمنا بتغييرها وتنظيفك منها ، يبدو أنكِ قد أصبتِ بنزيف شديد فى أنفك.

تأوهت شفاء فى ألم وهى تمسك برأسها:

- شكرًا يا منى، شكرًا لكم جميعًا، أحمد الله على أنكم كنتم إلى جوارى بالأمس.

ونظرت إلى أدهم متسائلة:

- أدهم ..؟؟، ما الذى أتى بك إلى هنا..؟

- الآنسة منى يا شفاء ، لقد حاولت أن تصل إلى آخر رقم قمتى بمحادثته ، وأخبرتنى بتعرضك لحادث بسيط فتركت عملى وحضرت صباح اليوم..

إقتربت ليلي وهى تجلس على حافة السرير قائلة:

- ما الذى حدث لكِ يا شفاء..؟

إستندت شفاء برأسها إلى عارضة السرير قائلة فى ألم:

- كم الساعة الآن..؟

- إنها الواحدة ظهرًا يا شفاء، لقد نمتى أكثر من عشر ساعات، والآن أخبرينا ما الذى حدث..؟

- لن تصدقونى بالطبع.

شعر أدهم بالحرج لوجوده وسط شقة البنات فتمتم معتذرًا وحاول أن يخرج لكن شفاء طلبت منه المكوث قليلاً حتى تخبره ما حدث ، وجلست منى على كرسي بالقرب من مكتبها الخشبي قائلة وهى تشير إليها:

- لا... فصاحب المنزل طلب مقابلته هو الآخر، وسينتظر معنا حتى وقت حضوره والآن هل لكِ أن تقصي علينا كل ما حدث وسوف نصدقك.

بدأت فى الحديث.. وفى أثناء حديثها كانت بالطبع تلمح نظراتهم التى كانت كمن يتطلع إلى أى مخبول يتكلم بما يتنافى مع العقل.. فقد إلتصقت إحداهم بالحائط وهى مرعوبة واضعة كفيها على وجهها، وليلي التى كانت تضع يدها على فمها وهى تستمع إليها.. والأخريات اللاتى إلتصقن فى بعضهن وهن يتهامسن وهى تقص عليهم كل شئ، من أول يوم لمجيئها إلى القاهرة وسكنها لتلك الشقة الملعونة.. وحتى أدهم الذى كان يقف محملقًا فيها وهو مذهول مما يسمع.

ومع إسترسالها فى الحديث بدأت البنات ترتعد أكثر فأكثر، وبالفعل بدأوا فى معاملتها كالمجنونة، وزادت مقاطعتهم لما تقصه، بينما قامت ليلي من جوارها على السرير وهى تنظر إلى منى نظرات ذات مغزي وتبتعد عنها ..

أما منى نفسها فكانت صامتة، ولم تبدو أى ملامح على وجهها، وكأن على رأسها الطير هى الأخرى وعندما أنهت شفاء حكايتها عما حدث وحتى نزولها إليهم مسرعة ليلاً نظرت إلى شفاء وهى مذهولة قائلة..:

- أى شقة تلك التى تتحدثين عنها يا شفاء...؟

- الشقة التى فوقكم يا منى، فأنا لست أهذى أقسم لكم.. فكل حرف تفوهت

به حدث فعليًا، ولولا أن رحمة إختفت لكنتي سأليتها، ربما نطقت بالحقيقة، وإن كنت أشك بعد ما فعلته بالأمس..

نظرت منى إلى أدهم ثم عادت بنظرها مرة أخرى إلى شفاء، وقد شعرت حينها أنها فعلاً مختلة، لذلك كان وقع كلماتها عليها كالصاعقة حينما قالت:

- رحمة من يا شفاء..؟، أنتِ تسكنين وحدك منذ مجيئك.

وكأنما هبطت على رأس شفاء صاعقة من السماء بمجرد سماعها لتلك الكلمات، وبدأت فى الإرتعاد وهى تقسم وتصرخ ، مما جعل البنات كلها يشاركوها الصراخ بلا سبب، وبالطبع كان الجميع مرعوب مما تقوله ، وهى تحاول أن تقنعهم بوجود رحمة ولكن دون جدوى.. فصرخت فى وجه الجميع قائلة:

- بل أنتم من تمزحون الآن..رحمة هنا منذ ثلاث سنوات.. رحمة هنا.. كنا نأكل ونشرب ونتحدث كل ليلة بالساعات ونستذكر دروسنا سويًا.. رحمة هنا مع ... اه تذكرت.. أنتِ يا منى قد رأيتينا معًا أكثر من مرة أثناء خروجنا.. هل تتذكرين..؟

كانت وقتها تقاطع نفسها وهى تحاول تجميع كلماتها، فقد كانت مجرد فكرة أن رحمة مجرد وهم مستحيلة بالنسبة لها، بينما ظلت منى مذهولة وهى تقول مبتعدة عنها فى شفقة:

- نعم... لقد رأيتك أنا والبنات أثناء تنزهك لأكثر من مرة..ولكننا كنا نراكِ وأنتِ تدفعين أمامك كرسي متحرك.. كنا نراكِ تضحكين وتجري بالكرسي.. كنا ننظر إليكِ من النافذة مندهشين وأنتِ تعدين بالكرسي الفارغ إلى آخر الشارع ثم تعودي به مرة أخرى..كنا نراكِ كثيراً ما تحدثين نفسك أثناء صعودك أو هبوطك.. كنا نسمع ضحكاتك ليلاً إذا تركت نافذتكِ مفتوحة يا شفاء.. لدرجة أننا كنا أحيانًا نرتعب من مجرد فكرة تواجدك معنا فى العمارة..

صرخت شفاء أكثر فى الجميع :

- لا.. لا.. إنتظروا.. فقد رأيتموها عندما أتيتم إلىّ فى الشقة الأسبوع الماضي..بل تحدثتوا إليها، وأنتِ يا ليلي كانت تنظر إليكِ .. وأنتِ يا منى.. لقد حدثتك عندما قالت لكِ أن شفاء يبدو أنها .....

قاطعتها إحداهن والتى كانت تستند على الحائط فى رعب:

- ماذا رأينا يا شفاء..؟، لقد دخلت معهم للشقة ولم يكن هناك سواكِ وأنتِ ترتعدين وتنظرين إلى يديك.. وكانت نظراتك وقتها ليست طبيعية أبدًا ، كنتى تنظرين ليديك ثم إلى السرير الفارغ إلى جوارك.. أفيقي يا شفاء... لا يوجد رحمة، نقسم لكِ..

أصاب شفاء دوار شديد وهى تصرخ فى وجه الجميع، ولكنها قامت مُسرعة مُقررة أن تصعد فورًا إلى الشقة لتبحث عن رحمة.. لتثبت للجميع أنها ليست مجنونة كما يعتقدون.. ولكن قبل صعودها بعد أن هرولت خارجه ومن خلفها أدهم والبنات فوجئت بصاحب العمارة وهو يفتح باب المصعد وبجواره أحد البنات التى يبدو أنها أخبرته بكل تلك المصائب، بينما ظهرت منى من خلفها وهى تهتف للرجل فى عصبية:

- أستاذ علاء.. شفاء تخبرنا أن هناك من تسكن معها فى الشقة.

وبالطبع تسابقت الفتيات فى الحكى وسط إندهاش الرجل، والذى كان يرمق المسكينة بنظرات غاضبة مما سببته لهم، ونفي أن يكون هناك أى بنت تسكن معها فى الشقة أو سكنت من قبل بهذا الإسم .. مما دعاها للصراخ بدورها فى الرجل:

- لا يوجد فتاة.. ولا يوجد سوي تهيؤات داخلى.. أخبرنى أيضًا أنه لا وجود للعم غفران السمسار العجوز..

كتم الرجل صيحة غضب هائلة وهو يوجه حديثه إلى أدهم قائلاً:

- غفران ..؟!!، اللعنة علي هذا الاسم ، ألم تسألونى عنه من قبل وأخبرتكم أنى لا أعلم أحدًا بهذا الاسم، ومَن غفران هذا هو الآخر يا سيد أدهم....؟

لم يجيبه أدهم لأنه كان مندهشًا من كل ما يدور حوله وفجأة بدأت الأرض تميد بشفاء ، لكنها قاومت واستندت على الجدار فإقترب منها أدهم سانِدًا إياها ، لكنها لم تلبث إلا خمس ثوانى حتى تركتهم وصعدت مهرولة إلى شقتها، بينما لم يتركها الرجل وصعد الجميع خلفها بعدما شعروا أن عدد من السكان بدأ فى سماع أصوات الجميع، فهرعوا ليروا تلك المجنونة التى تسكن فى الطابق السابع، لكن الرجل طمأنهم بأن كل شئ على ما يرام، وأنه سيحل بعض المشاكل بين البنات وبعضها.. لذلك هرع إليها هو الآخر فى الأعلى..

بينما كانت تبحث كالمجنونة عن أى أثر لرحمة..

وبالطبع كان كل شئ كالمعتاد ، الدولاب فى مكانه.. ولا يوجد أى أثر لكتب رحمة أو مخدتها المخصوصة، وحتى الكرسي كان موجود بجوار النافذة، لا توجد أى ملابس لها.. ولا كوبها وملعقتها أو أى من أداوتها الشخصية، وكأن هناك من قام بجمع كل هذه الأشياء من المكان.

كادت أن تُجن حرفيًا، بينما كان صاحب العمارة لا يزال مسترسلاً فى الحديث وهو ينبهها أنها قد تسببت فى ذعر فى العمارة، ومن ضمن الشروط أن تكون فى حالها وألا تسبب أى إزعاج للجيران ..

لكن المؤسف أنه فى أول الأمر أمهلها أمام أدهم لآخر الأسبوع ثم ترحل، إلا أنه عندما رأى بكاء شفاء الشديد ومع إلحاح أدهم ومني وإيناس ، عاد مرة أخرى بعد أن أشفق عليها وقد قدر حالتها ليخبر الجميع أنه سيتركها حتى إنتهاء الإمتحانات.. لكنها قاطعته فى شك مرة أخرى ..

- أستاذ علاء.. ليس بينى وبينك أى سابق معرفة.. فكيف وصلت إليك بدون السمسار..؟

- أى سمسار يا إبنتى ..؟، أقسم لكِ أنكِ من قمتى بمهاتفتى منذ عدة أسابيع وطلبتى منى أى غرفة ، فأخبرتك أن هناك شريكة لكِ فى السكن، لكنها فى الأقصر ولم تعد بعد.. وتلك الفتاة دفعت ثمن الإيجار مقدمًا لكنها نجحت فى تحويل أوراقها لبلدتها.. هذا كل ما فى الأمر ، وأنت تصرين على غفرانك هذا..وهذا كل ما حدث.

- وكيف أتيت برقمك إذن وحدثتك وأنا لا أتذكر ذلك..؟

تأفف الرجل وهو ينظر إلى ساعته قائلاً :

- وأنا الآخر لا أعلم، فلتسألى نفسك كيف وصلتى إلىَ..؟، فلست أنا من سأخبرك بذلك، ولولا أنى قمت بتغيير هاتفى لبحثت عن رقمك وجعلتك تشاهدين إتصالك هذا.

أجابته شفاء وهى تبكي مستشهدة بأدهم:

- أنت رأيته معى يا أدهم أليس كذلك..؟

أشار أدهم برأسه مؤكدًا على حديثها ، بينما قبل أن يتكلم حدثت صاحب العمارة فى توتر مرة أخرى قائلة بعصبية:

- لقد كان هناك العم غفران.. وهو من أعطانى الرقم، فأنا لم أضرب الودع أو أقوم بالتنجيم حتى أحصل على رقمك، هناك شيئًا ما غامضًا فى الأمر، وجميعكم تريدون أن تصيبونى بالجنون ..

إقترب منها الرجل فى هدوء وهو يمسك يد أدهم متوجهًا نحوها قائلاً وهو ينظر حوله فى قلق واضح :

- شفاء.. لولا الظروف السيئة التى تمرين بها لكنت ألقيت بحقائبك خارج العمارة، فأنا لا أريد إثارة المشاكل، ولولا ذلك فأقسم لكِ أننى كنت سألقي بكِ فى مستشفي الأمراض العقلية اليوم.. وأنت يا أدهم فلتجعل قريبتك تكف عن تلك الخزعبلات ، لا أريد أى إشاعات عن سكن الطالبات عندى ، وهذا هو آخر إنذار لكما.

صمتت شفاء تمامًا.. فقد خافت.. نعم خافت من سوء المصير ومن عوارض الجنون التى يبدو فعلاً أنها قد أُصيبت بها.. قسم الرجل.. رعب البنات.. عدم وجود أى أثر لرحمة جعلها على يقين أنها فعلاً فى بداية طريق الجنون..

إقترب أدهم من شفاء قائلاً فى ود بعد أن رحل الجميع:

- شفاء إن هذا الرجل والشقه والموضوع كله لا يريحنى ، بالله عليك سوف تقضين معنا اليوم فى غرفة أمى ومن الغد سنبحث سويًا عن مكان آخر.

- لن أترك هذه الشقة يا أدهم حتى أعلم ما الذى حدث..؟، ولو كلفنى ذلك حياتى.. أود أن أعلم هل رحمة شخصية حقيقية، أم أنا فى طريقي إلى الجنون..؟، سأرحل إلى الأسكندرية الآن .

- على الأقل الليلة فقط يا شفاء .. لن تستطيعي السفر وأنتِ بهذه الحالة.

نظرت حولها فى ياس لان هذا بالفعل كان هو الحل الوحيد نظرًا لسوء حالتها النفسية والجسدية، والتى جعلتها لم تتحمل فجلست على الدرج وهى تقول فى وهن:

- حسنًا.. سآتى معك ومن الغد سأسافر يومين إلى الاسكندرية، ومع بداية الأسبوع القادم سأعود لأبدأ إمتحاناتى.

- حسنًا.. هيا.. سأنتظرك فى الأسفل ، وأعطينى هاتف عم غفران هذا وعنوانه وسأبحث عنه لو كان فى آخر مكان على الأرض.

الفصل الخامس

الطقوس

***

فضول الإنسان ورغبته فى البحث عن الحقيقة قد يقوده إلى مواجهة أسوأ كوابيسه ولكن يظل المجهول ورغبته فى إستكشافه دائما هو تلك الغاية التى يسعى إليها ويخوض من أجلها الصعاب حتى لو كانت تحمل له ما قد يغير حياته ربما للأبد...

***

فى صباح اليوم التالى كانت شفاء فى طريقها إلى الاسكندرية بعدما أخبرت أسرة أدهم بكل ما جري لها.. الأمر الذى لم يصدقه الجميع بالطبع ، بينما نصحتها والدة أدهم بضرورة الذهاب معها إلى أحد الشيوخ القريبين لمعرفة السبب فيما حدث لها بعد أن تقص عليه تلك الأعراض ، فهى تعرفها لأنها حدثت لشقيقتها عندما كانت فى مثل سنها، وعلى الرغم من شعور أدهم بالحرج من كلام والدته، إلا أنه حاول التخفيف عن شفاء بكل الطرق...

أما شفاء من داخلها فكانت تعلم أن الجميع لا يصدقوها بالفعل،كان هناك حل وحيد فقط لتثبت أنها على حق ، وهو هذا الملعون التى كانت تتصل به كل خمس دقائق والمغلق هاتفه بإستمرار، والتى أعطت عنوانه لأدهم للبحث عنه وستعود بنفسها لزيارته فى زقاقه الكئيب بمجرد عودتها هى الأخرى..

حتى أهلها شعروا أن هناك شيئًا ما ، لكنها لم تُبح بذلك السر خوفًا من موضوع عمتها ، ولذلك أخبرتهم أنها تمر فقط برهاب الإمتحانات حتى أصبح الجميع يعاملها برفق طوال اليومين التى مكثتهم فى الاسكندرية حتى مساء السبت .

وفى المساء حزمت حقيبتها للعودة مرة أخرى إلى القاهرة، نعم كانت مرعوبة من العودة ..لكنها عادت للمنزل بمنتهى البساطة ..

وعلى الرغم من رعبها إلا أنها كانت تشعر بشئ غريب.. فقد كانت تشعر بغربتها وسط أهلها، لذلك كانت تود فقط العودة لما لا تعلمه.. كأن هناك من

يجذبها للعودة.. وبمجرد أن خطت داخل الشقة شعرت بمنتهى الهدوء والراحة النفسية التى غمرتها دونما سبب..

قامت بتشغيل محطةإذاعةالقرآن الكريم ، وبدأت فى إستذكار إمتحان الغد .. مرت الليلة بهدوء ، وكذلك أول إختبار مر على ما يرام ، وكذلك اليومين التاليين فكانت الأمور تمر بسلام ..حتى تلك الكوابيس لم تعد تطاردها كل ليلة .. كانت تظل طوال النهار فى الكلية وتعود للمنزل تقريبًا على الساعة التاسعة، فتتناول عشاءًا خفيفًا وتراجع بعض دروسها إستعدادًا للإختبار القادم ، ثم تأخذ قرص من الأقراص المنومة وتحتضن المصحف إلى جوارها وتنام على صوت القرآن الذى لا ينقطع ليلاً أو نهارًا.. لم يحدث أى شئ وهو ما زاد من اندهاشها.. بل زاد إرتباطها بالشقة..

شعور غريب، نعم هو غريب..أما بخصوص رحمة فقد بحثت فى كل شبر بداخل المنزل.. لا يوجد أثر لرحمة.. حتى كوبها أو أقلامها أو تلك الخربشات التى كانت تقوم بها على النافذة لا يوجد لها أى أثر.. وربما تلك الحبوب المهدئة التى وصفها لها أحد الزملاء هى من جعلتها ترى الأمور بمنتهى العقلانية ..

ومرت أربعه أيام على عودتها.. حتى حلَّ يوم الثلاثاء اللعين..حاولت ألا تقوم بتغيير أى طقوس لها خلال الأيام الماضية، حضرت ليلتها مبكرًا وقد أنهت بعض المحاضرات، ثم تناولت عشاء خفيف وشاهدت التلفاز حتى الثانية عشر، كانت تقاوم النوم خصوصًا مع حبة من المهدئ الذى كان كفيلاً لنومها حتى العاشرة من صباح اليوم التالى.. وما هى إلا لحظات حتى كانت فعلاً تغط فى سبات عميق ..

الدنيا ليل والنجوم طالعة تنورها...نجوم تغير النجوم من حسن منظرها..

بدون أى مقدمات أفاقت على يد تهزها لتصل إليها كلمات تلك الأغنية بنفس البطء المرعب وصوتها الأجش .. نظرت حولها فلم تجد أحدًا إلا ذلك الصوت الآتى

من مكان ما فى الشقة والتى غرقت فى سواد عميق، شعرت بحبات العرق تتساقط على جبينها على الرغم من برودة الجو وقتها.. وعندما إعتادت عينيها على الظلام إستطاعت أن ترى أجسامًا كثيرة فى الغرفة تروح وتجئ..

فتحت عينيها على آخرهما فى فزع .. فلقد تأكدت أنهاعادت للرعب مرة أخرى.. لمحت ظل إمرأة تدور فى الغرفة وقد أتت من الفراغ وهى تنظر بعيدًا من خلال النافذة وبدأت فى الإقتراب منها..

تبينت شفاء ملامحها فى ظل تلك الإضاءة الخافتة الآتية من الشارع ، وفوجئت أنها رحمة ، ولكن خط الشيب رأسها وهى ترتدى نظارة طبية ..

- أيعقل أن ترتدى الأشباح نظارات طبية..؟

هذا ما حدثت به شفاء نفسها ، بينما اقتربت منها رحمة وهى تهمس:

- شفاء أيتها الملعونة لما تأخرتى..؟، ألم أقل لكِ أننا ننتظرك حتى ننهى الأمر..؟، لا تخافى.. إن الأمر فى منتهى السهولة صدقينى..؟، أنتِ تحلمين الآن .. لا تخافى.. أنتِ تحلمين كعادتك، ولكنى أتيت لأنقل لكِ رسالة.. نحن فى إنتظارك.. هيا إبحثي عنى جيداً.. فأنا هناك يا شفاء.. خلف تلك الجدران..

قالتها وإقتربت منها بوجهها الشاحب وهى تشير إلى خلف الجدار الفاصل بين الشقتين.. ثم عادت إلى الوراء وهى تطلق ضحكة شيطانية لتخترق الجدار إلى مالا نهاية..

إنتفضت شفاء جالسة على سريرها .. كان الهاتف إلى جوارها وقد فرغت بطاريته.. لم تكن نائمة ،ولم تذهب فى النوم ولم تشعر أنها كانت تحلم كما أخبرتها رحمة، لم يكن ذلك حلمًا على الإطلاق.. فلا زالت تلك الأغنية اللعينة تصدح من مكان ما بعيد ..

نهضت مسرعة لتضيء كل الأنوار التى لا تعلم كيف أُطفئت، والصوت ينبعث

من أرجاء الشقة التى بحثت فى كل شبر فيها، ولكنها لم تجد أثر لشئ ، وأثناء مرورها أمام الحمام لاحظت الأغنية تأتى عبر الحائط المشترك بينها وبين الشقة المجاورة ..وفى هذا المكان تحديدًا حيث ربتت رحمة من قبل على تلك البقعة ، وفى تلك البقعة أيضًا تم فتح ذلك الباب التى إختفت داخله مع ذلك المسخ.

نفس القطعة الموسيقية التى تصيبها بالرعب والجنون معًا.. إقتربت سريعًا من تلك الجدران.. ربما كان السر كله يكمن خلفها..

- كيف لم أتذكر هذا منذ بداية الأمر.. هل تحل لى الشقة الأخرى كل ما عجزت عن تفسيره..؟ هل تكون كل المصائب تأتى من خلالها إلىّ ..؟

بدأت تُحدث نفسها بصوتٍ عالٍ لتحاول أن تُهدئ من روعها قليلاً ، وألصقت أذنها على الحائط، كانت الأغنية أوضح تصحبها تلك الهمهمات الملعونة ..

كانت تقاوم رغبة قاتلة داخلها لمعرفة ما يدور خلف تلك الجدران الملعونة، تذكرت ذلك المفتاح اللعين الذي يفتح باب الشقة الأخرى، وخطرت فى ذهنها فكرة مجنونة..

- ولما لا..؟، فأعراض الجنون قد بدأت تظهر واضحة علىّ .. ولا أنسى رحمة التى أشارت إلىّ أنها فى إنتظاري لإنهاء الأمر.. لن يُكلفنى الأمر شيئًا إلا مجرد إثبات وجودها وأنها شخصية حقيقية.

كانت الساعة تشير إلى الثانية والربع فجرًا.. فأخذت مفتاح شقتها والذى يفتح علي تلك الشقة المجاورة.. وخرجت بهدوء فى طريقها للشقة الأخرى.. بينما كانت تلك الأغنية اللعينة لازالت تصدح وقد إرتفعت معها ضحكات غريبة، مما أصابها بالتوتر.

أيكون هناك من سكن فى الشقة المجاورة دون أن تعلم..؟،حاولت أن تقنع نفسها بذلك ، لكنها فكرت فى حركة صبيانية لتعلم هل هناك سكان بالشقة أم لا ..قرعت الجرس وهرولت بخفة إلى شقتها ثم ألصقت أذنها بالحائط..

لا ضحكات ولا موسيقي.. فقط الصمت التام.. عاودتها مرة أخرى، ولكن ما من مُجيب .. فعلتها ثالثة ولكن لم يتغير شئ .. كان عقلها يرفض ما تقوم به، ولكن لعنة الله على ذلك الفضول الذى يدفع المرء الى مصيره المحتوم ، ففضول الإنسان ورغبته فى البحث عن الحقيقة قد يقوده إلى مواجهة أسوأ كوابيسه ولكن يظل المجهول ورغبته فى إستكشافه دائمًا هو تلك الغاية التى يسعى إليها ويخوض من أجلها الصعاب حتى لو كانت تحمل له ما قد يغير حياته ربما للأبد...

أصبحت وكأنها تحت تأثير تنويم مغناطيسي بشكل ما.. وما هى إلا لحظات حتى كانت تضع المفتاح بداخل الباب.. وتخطو بداخل تلك الشقة الملعونة والتى لا يوجد بها أى أثر للحياة.. تحسست الحائط لتبحث عن مفتاح الكهرباء لتضئ الشقة..

كانت كما تركتها تمامًا، الأثاث تعلوه الأتربة،مُغطى بملاءات كثيفة أصبحت لا تدرى ما لونها الأصلى من كثرة الأتربة ، كلما تحركت كان قلبها ينقبض أكثر وقدماها تلتصق بالأرض أكثر ولا تستطيع تحريكها .. كانت تقف فى الصالة وعلى يمينها ذلك الحائط المشترك بين الشقتين، كانت الصالةتنتهى بممر طويل يؤدى إلى الغرف.. بعكس شقتها والتى تحتوى على الصالة فقط بدون أى غرف إلا لو كانت الغرف قد ضمت إلى هذه الشقة ..

تحركت وهى ترتعد.. وقتها كم كانت تود العودة ، لكن فضولها كان أكبر.. ودت فقط وضع النقاط على الحروف، وكشف سر ما كان يحدث فى الأسابيع الماضية ، فربما كشفت مغامرتهاعن تلك الحلول التى تبحث عنها..

قادتها قدماها إلى الصالة ثم إلى الممر الممتد، والذى ينتهى بالمطبخ والحمام فى آخره، وعلى الناحيتين كان هناك أربعة غرف مغلقة.. حاولت مع الغرفة الأولى التى على اليمين فلم تُفتح،أما الثانية فقد فُتح بابها معها..حاولت فتح الضوء لكن دون جدوى فقد كان المصباح محترق ولا يعمل.. أشعلت ضوء هاتفها ووضعته على الدولاب القريب المتهالك..

كانت الغرفة ضيقة جدًا، لدرجة أشعرتها أنها تكاد تختنق.. بينما تعلوها الأتربة وكأنه فعلاً لم يسكنها أحد منذ عشرات السنين .. مجرد سرير قديم بجواره مكتب خشبي متهالك وعليه إحدى الأباجورات التى يملأها العنكبوت و.....

فجأة... جفلت شفاء وهى تتراجع خطوة إلى الوراء فزعة عندما وجدت كرسي رحمة المتحرك هنا.. وعندما إقتربت منه مرة أخرى فى هدوء، لاحظت أن ذلك لم يكن كرسيها بل كان كرسي آخر صدئًا عتيق الطراز وقد وضعت وسادة قديمة عليه، ولشدة الغرابة كان مقيد بجنزير حديد إلى إسورة معدنية ملتصقة بالحائط، وكأن من كان يجلس عليه حُكم عليه ألا يتحرك إلا بإذن..

غادرت شفاء الغرفة، وحاولت فتح باقى الغرف كلها لكنها كانت مغلقة.. عادت مرة أخرى إلى الغرفة المفتوحة وكأنها شعرت أن السر كله يكمن فى تلك الغرفة.. مدت يدها برعب لتفتح الدولاب الخشبي المتهالك، وما إن مددت يدها حتى تهاوت إحدى ضلفه لتقع على قدمها وقد أصابتها بألم هائل.. ورغمًا عنها جلست على السرير ممسكة بقدمها وهى تسب وتلعن نفسها لما قادتها إليه قدميها فى هذا المكان المرعب ، ولكن بمجرد أن جلست على السرير حتى شعرت وكأنها جلست على شئ ما.. فقد كان مغطى ببطانية قديمة أو ربما إثنتان..

شعرت أن هناك شيئًا ما ساخنًا كان تحت الغطاء، وبمجرد أن قفزت هرب هو الآخر.. لم يكن فأرًا أو أى شئ من هذا القبيل، بل جسم كبير ساخن .. فكادت أن تُصاب بالشلل فى مكانها من فرط الرعب .

نسيت ألم قدمها وهربت إلى آخر الغرفة دون حتى أن تنظر إلى داخل الدولاب.. لكنها سمعت تلك الهمهمات اللعينة مرة أخرى وهى عاجزة فى مكانها لا تتحرك وكأن قدماها إلتصقت بالأرض ..

بدا الصوت قادمًا من أسفل السرير وقد بدأت يدين مشعرتين تزحف خارجة من تحته وهى تهمس ..

- اهيا شراهيا ادوناى اصباؤت ال شداى.. اهيا شراهيا ادوناى اصباؤت ال شداى..

وبدأ ذلك الشئ في الخروج..

لم يكن قردًا هذه المرة ، بل أطفال ممسوخين على الهيئة المرعبة التى رأتهم عليها بجوار رحمة فى الحمام.. طفل وراء الآخر يخرج من أسفل السرير متمتمين جميعًا بتلك الكلمات ، وهى لا تقوى على التحرك أو حتى رمش عينيها .. بدأوا بالمرور أمامها من أسفل السرير إلى الدولاب ويدخلون فيه بنفس الطريقة.. كلهم فى نفس الحجم، حوالى خمسين سنتيمتر، بأقدام مشوهة وعيون مشقوقه طوليًا وبأذناب تلتف أحيانًا حولهم أو يجرونها ..إستمر الحال هكذا دقيقتين كاملتين مروا عليها كأنهم ألف عام.. وعندما إنتهى الطقس الملعون أحست بأن قدماها قد تخلصت من الشلل ..

وبالطبع كان هناك حل وحيد هو الهرب..وبالفعل تناولت هاتفها الذى كان يضئ الغرفة المظلمة.. ولكنها أبصرت على الأرض وبعد خروجها من الغرفة كشكول رحمة الأزرق التى كانت دومًا تكتب خواطرها فيه.. لم تُضع ثانية واحدة فى التفكير ، ولا حتى تساءلت كيف وصل إلى هنا ، وإنما إختطفته سريعًا وهرولت لتهرب إلى خارج تلك الشقة الملعونة .. لكنها فوجئت أنه لا يوجد أى باب للشقة ..

كانت الشقة تسبح فى الظلام الدامس، فهربت إلى الناحية الأخرى من الصالة، ولازالت تبحث عن باب الخروج .. إرتعدت أكثر وتوترت أكثر وأكثر مما يحدث لها.. فإستندت بظهرها على الجدران وهى فى طريقها إلى الجهة الأخرى، وإستمرت كذلك لعدة أمتار، شعرت معها أنهاتسير منذ سنوات، لكن لسوء حظها إكتشفت أنها قد وصلت إلى الحمام..

شعرت وكأنها كالفأر المذعور الواقع فى المصيدة، وبدأت فى البكاء ولكن فى الحمام شلت قدماها مرة أخرى، ولم تقوَ على التحرك خارجه.. فعلمت أن فى

الأمر مصيبة ما.. وبالفعل سلطت ضوء هاتفها إلى الجسد المكوم فى ركن قصي من الحمام حيث كان هناك صوت ما لشخص يتألم.. أو فى النزع الأخير..إنتابتها رعشة عنيفة وهى تستمع إلى هذا الأنين...

وبرغم رعبها إلا أنها إندهشت لأنها كانت تعلم هذا الصوت جيدًا..نظرت إلى يمينها حيث صاحب ذلك الصوت والذى كان يحتل البانيو، فرأت أن هناك جسدًا ما مكومًا على بطنه وقد غرق ظهره بالكامل بالدماء التى ظهرت على ملابسه البيضاء.. وقد كان هو من يُصدر ذلك الأنين الذى بدا وكأنه بلا نهاية.. حاولت الخروج والزحف خارج المكان الملعون والصراخ ، ولكن صوتها كان يخرج كحشرجة الموتى، كادت أن تموت حرفيًا عندما شعرت أن تلك الجثة تتحرك وتسند يديها على حافة البانيو لتقوم ..

أغمضت عينيها بكل قوة وهى تحاول الصراخ أو حتى الحركة، لكن صوت الجثة قد حولها إلى مجنونة تمامًا ، وخاصة عندما تأكدت من صاحب ذلك الصوت....

- شفاء.. ما الذى أتى بكِ إلى هنا يا بنيتى..؟

فتحت شفاء عينيها على آخرهما، وإذا بهاتجد والدها بوجهه الطيب الأبيض وتلك الشعيرات البيضاء التى تناثرت على وجهه وجلبابه الأبيض الذى تعودت أن تقوم بكيه قبل أن ينزل إلى صلاةالجمعة من كل أسبوع..

قالها وهو يمد يديه إليها لتلقى نفسها غير واعية فى أحضانه..

لكنها لم تكن تدرى ، هل كانت تحلم أم أن ذلك كابوس أم هو واقع أم تراها قد سقطت فى فجوة زمنية أم هو لا شئ..؟

كل ما هنالك أنها رأت والدها الراحل ، أرادت فقط أن تُلقي بنفسها فى أحضانه ، ولو كان ذلك مجرد وهم، فيكفي أنه هنا إلى جوارها ليُطمئنها.. إحتضنته بشدة وهى تبكي قائلة:

- أبي .. هل أنت أبي حقًا..؟، هل أحلم ..؟، هل أنا مَن مُت وأتيت إليك ..؟، أيًا كان.. فحتى لو كنت أحلم ربما تكون تلك فرصة أخيرة لأُلقي بنفسي فى حضنك مرة أخرى..لا تدرى ما الذى حدث لى بعد رحيلك يا أبى..

إحتضنها بشدة وهى لازالت على بكائها قائلاً:

- شفاء... ما الذى أتى بكِ إلى هنا يا بنيتى..؟

- لا أعلم أين أنا يا أبي، ولا ما الذى أتى بى إلى هنا..؟، أنا ملعونة، ولا أدرى أى لعنة تلك التى أصابتنى ، ولكن ربما أجد الأمان فى أحضانك مرة أخرى..

قالتها وقد وضعت رأسها على صدره ووسط أحضانه وهو يضع يده على رأسها ويضمها إليه بشدة أكثر مُرددًا:

- شفاء.. ما الذى أتى بكِ إلى هنا يا بنيتى..؟

لم ينطق سوي تلك الكلمات.. ولكن شفاء شعرت وقتها أن أبيها يحتضنها بشدة أكثر من المعتاد.. يضمها بقوة غير معتادة بدأت تؤلمها، فصرخت قائلة:

- أبي.. بالله عليك أنت تؤلمنى.

إحتضنها أكثر فأكثر ، وشعرت أن عظام صدرها ستخرج من جسدها وبدأت فى التألم ولكنه لم يكترث وإستمر:

- شفاء.. ما الذى أتى بكِ إلى هنا يا بنيتى..؟

لكن الألم لم يكن مشكلتها الوحيدة، فقد شعرت أنها فى حلم أو أن رائحة أبيها قد أصبحت فجأة غير طبيعية ، وخاصة عندما نبت الشعر فجأة فى جسده وتحول لون جلبابه الأبيض إلى شعر كثيف يغطيه.. ورائحة جلده أصبحت فى منتهى البشاعة.. وقد وجدت نفسها فجأة تحتضنه من منتصفه ورأسها لا تكاد تصل إلى بداية صدره.. أفاقت لتجد نفسها تحتضن مسخًا يقترب من المتران ونصف مُنكس الرأس بداخل الحمام .

خلصت نفسها من قبضته وهى تصرخ وتنظر إليه بفزع هائل.. كان وجهه هو نفس وجه النسناس الذى تراه دومًا فى أحلامها.. وهو من رأته لآخر مرة وهو يمسك بيد رحمة ويختفي داخل الجدار ومنه إلى تلك الشقة الملعونة.. فصرخت فى وجهه:

- اللعنة.. بل أنت ماذا تريد ..؟

شقت ضحكاته صمت المكان وهو يقول بصوته الخشن الذى لا تعلم كيف يخرج منه:

- شفاء.. ما الذى أتى بكِ إلى هنا يا بنيتى..؟، أيتها الساذجة أنتِ فى القريب ستصبحين جاريتى الرابعة.. لن أتركك أبدًا.. ثقي فى ذلك، سوف أنهم من جسدك فى القريب، والآن إهربى ما شئتِ..

وما إن أنتهى من تلك الجملة حتى إختفي، ومعه عادت أضواء الشقة بالكامل.. فهربت شفاء بأقصي سرعة إلى باب الشقة وفى يدها الكشكول الخاص برحمة وهى ترتعد كليًا..وهى تجر قدميها التى يبدو أنها كانت ترفض الخروج من وكر الشيطان هذا.. شعرت أنها تعدو وتعدو حتى وصلت أخيراً إلى باب شقتها، فدخلت وهى تلهث وقد أغلقت باب شقتها جيدًا ..وقامت بتشغيل القرآن بجوارها.. بينما ضوء الشمس قد بدأ يغمر المكان، ولكن من هلعها لم تلحظ ذلك ، فلم تعلم كيف مر الوقت سريعًا ، فلم يمضِ على دخولها تلك الشقة سوي ما يقرب من الساعة ، نظرت إلى هاتفها، ولدهشتها كانت الساعة تشير إلى التاسعة صباحًا.. تساءلت كيف مر على وجودها فى هذا المكان ست ساعات ..

جلست على شكل القرفصاء فى سريرها مرعوبة ، ويدها التى تخشبت تقبض على كشكول رحمة الذى فتحته.. فلم تجد أى حرف فى الكشكول والذى كانت تراها يوميًا تكتب فيه.. ولكنها فى آخر الكشكول وجدت ورقة صفراء لنتيجه حائط لسنه 1966 ومن خلفها وجدت الأسماء التالية والتى أصابتها بالرعب..

- شفاء غفران على الفيومى مواليد(1949) .. المختارة من 1970 حتى 1988.

- شفاء ابراهيم على مرزوق مواليد (1968)..المختارة من 1988 حتى 1999.

- شفاء محمد ابراهيم محى مواليد(1980) ..المختارة من 1999 حتى 2006.

- شفاء عبد الحميد السباعى مواليد(1986)..المختارة من 2006 .....

إرتعدت أكثر، فإسمها كان هو الأخير..

- من كتبه ..؟، لا أعلم، وتحت كل إسم من الأسماء الملعونة كان هناك عنوان (المختارة) .. فما معنى ذلك ..؟، وما معنى أنى قد أصبحت مختارة من هذا العام..؟، والمصيبة.. لما إسم شفاء بالتحديد..؟، وما معنى أن شفاء الأولى بنت غفران..؟

أيكون هناك علاقة بين الإثنين..؟ أم أنه مجرد تشابه أسماء..؟، أتكون تلك الورقة هى الإجابات التى أحتاج إليها كما أشارت لى رحمة .؟

ظلت ممسكة بالورقة وهى تحدث نفسها باكية وهى لا تفقه أى شئ، لكنها كانت تشعر برعب هائل ، ولم يكن أمامها إلا الهروب من المكان كله ، بينما كان يتراءي لها حل أخير، وهو الذهاب إلى منزل رحمة فى اسكندرية فى عنوانها والذى وجدته فى غلاف الكشكول وكأنها رسالة إليها، لتفهم منها أى شئ.. فكان عليها أخذ القرار فورًا.

وبالفعل قررت أن تذهب للاسكندرية، ولكن بمجرد قفزها من السرير وقعت على الأرض.. وكأن أقدامها أصبحت غير قادرة على السير الآن .. فسكنت قليلاً وهى تمددها محاولة أن تفك ذلك التيبس الحادث لعضلاتها حتى فكت أخيرًا ..وقتها كان لابد من السفر.

قامت بالإتصال بأدهم لإخباره بكل ما حدث لها وأنها سترحل الآن إلى غير رجعة إلى الاسكندرية ، وأنها ستذهب إلى منزل رحمة هناك ، فربما كان هناك الحل الذى لم تجده هنا..

حاول أن يُثنيها عن عزمها فى السفر وإقناعها بالقدوم للسكن عندهم أيام اختباراتها دون جدوى ، كما أخبرها أنه بحث عن غفران عشرات المرات فى كل الاماكن دون جدوي ، حتى أنه أبلغ صديقه من الشرطة بالبحث عن عنوان ثابت للعجوز..ولن يتركه ينجوا بفعلته تلك ..

شكرته كثيراً وهى ترتدى ملابسها سريعًا وتضع كل ما سهل حمله فى حقيبتها لتخرج مُسرعة من هذا البيت الملعون ...

***

لم تنتظر حتى ميعاد القطار القادم بل إستقلت أول سيارة وجدتها فى محطة رمسيس، وما إن وصلت الاسكندرية حتى كانت تستقل أحد سيارات الأجرة إلى العنوان المقيد على أنه عنوان شفاء..

كان العنوان فى أحد الفيلات المنعزلة القريبة من البحر، وكذلك من المقابر المطلة هناك ..كانت تعلم المنطقة جيدًا، فهناك فى هذا المكان القريب قاموا بدفن أبيها، ولما كانت الفيلا لا تبعد أكثر من عشر دقائق سيراً على الأقدام، فقد كان عليها زيارة قبر والدها والمكوث هناك قليلاً من الوقت ..

مكثت هناك قرابة النصف ساعة، ووقتها شعرت أنها قد عادت إليها نفسها مرة أخرى، وسكن قلقها وفزعها تمامًا..

توجهت بعد ذلك إلى المشوار المشئوم، حيث الفيلا المكونة من دورين والتى تقع فى نهاية أحد الشوارع الجانبية يحيط بها سورًا قديمًا على حديقة أُهملت منذ عشرات السنين، وخاصة مع تلك النباتات الجافة ولولا بعض الملابس المغسولة على إحدى الشرفات لكانت شعرت وكأن المنزل بأكمله لا يسكنه إلا الغربان.

إقتربت شفاء من الباب الصدىء وقامت بإزاحته إلى الداخل، ثم سارت على بعض الحشائش الجافة حتى وصلت إلى الباب الداخلى للفيلا وقرعت الجرس وهى

فى قمة التوتر..مرة.. فإثنتان ، فثلاث مرات حتى سمعت صراخ إمرأة قادمة:

- أنا قادمة أيها الغبي، لا تدق الجرس مرة أخرى وإلا كسرت رأسك.

تراجعت شفاءإلى الوراء عدة خطوات مرتعبة وهى تفكر فى هروبها إلى منزلها، وليذهب كل شئ إلى الجحيم، وقبل أن تنفذ ذلك فُتح الباب عن إمرأة طويلة وهى تنظر إليها بغيظ:

- من أنتِ..؟، وماذا تريدين..؟

كانت إمرأة فى الستين من العمر، وقد لفّت شعرها الفضي حول رأسها، وهى تنظر إليها بإشمئزاز مبالغ فيه ، ولكن تلك الملامح لانت فجأة وأصبحت كالقطة الوديعة بمجرد أن قالت لها:

- إسمي شفاء.. أنا زميلة رحمة .. أتعلمين أحدًا يحمل هذا الإسم يا سيدتى.

ضحكت بإبتسامة زادتها رعبًا قائلة:

- يااااه أخيرًا..أهلاً شفاء .. بالطبع أعرف صاحبته.

حاولت شفاء مبادلتها الإبتسام لكن شعرت بصوت دقات قلبها وكأنه مسموعًا للمرأة وهى تتمتم فى توتر :

- عظيم جدًا.. أود مقابلتها من فضلك، فقد علمت أن هذا هو عنوانها، وأود أن أستفسر منها عن أشياء حدثت مؤخرًا قد تصيبنى بالجنون، من فضلك.

- أنا رحمة.

نظرت إليها شفاء بدهشة قائلة:

- لا.. أنا أتحدث عن رحمة الطالبة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، والتى كانت زميلة.....

قاطعتها بإشارة من يدها قائلة:

- شفاء..

- نعم...

- لا أقصد مناداتك .. أقصد أن تلك الفتاة التى تقصدينها هى إبنتى ..وإسمها شفاء وأنا إسمي رحمة، وابنتى اسمها شفاء بنت رحمة ، هل فهمتِ الآن..؟

دارت الدنيا فى رأسها وقد إختلطت فيها الأفكار،وأصبحت لا تفهم شيئًا، فنظرت إليها وهى لا تقدر على التحرك ، مما جعل السيدة تمد يدها لسحبها إلى الداخل قائلة بإبتسامة غامضة:

- هيا بنا إلى الداخل يا بُنيتى، لن نظل نتحدث هنا... إن شفاء إبنتى فى طريقها إلى المنزل ، ولتعلمين أنها سوف تُسر جدًا بمقابلتك يا شفاء.. لقد أخبرتنى عنكِ الكثير والكثير ، وكلنا فى إنتظارك منذ أن جاءت لنا أخيراً.

إستندت الفتاة على ذراعيها حتى دخلت إلى البهو الخارجى ثم إلى الصالة الفسيحة.. دارت عينيها فى الأنحاء ، فكان الأثاث عتيق الطراز بصورة واضحة فى كل الأشياء الموجودة، سواء على تلك اللوحات القديمة التى تراصت على الجدران، حتى الكراسي وقطع الكريستال والفونوغراف القديم ، والذى يبدو أنه قد توقف منذ عشرات السنين هو الآخر.

أشارت لها بالجلوس إلى أحد الكراسي العتيقة.. فجلست وقدميّها تلتصقان ببعضها البعض وهى فى إنتظار رحمة، أو شفاء..كما أخبرتها العجوز.

كانت هناك عشرات التساؤلات التى تدور فى رأسها ...إذن الفتاة حقيقية ..سواء كان اسمها رحمةأو حتى شفاء على اسمها.

قطعت السيدة حبل أفكارها وهى تقدم لها كوبًا من الكاكاو الدافئ، فقد كانت فعلاً ترتعد من البرد ، فأحطاته بيديها فى محاولة منها لتدفئتهما قليلاً، وبدأت

فى إحتساء رشفة بسيطة، وفى رأسها كانت لا تزال تدور الكثير من التساؤلات، بينما ظلت السيدة تتحدث دون أن تهتم شفاء لما تقوله..

بدأت بالتحدث عن القاهرة وبُعدها وزحامها وأشياء لا أهمية لها، وسألتها كيف عرفت شفاء ابنتها فى حين أنها هى من كانت تود توجيه عشرات من الأسئلة إليها، لكنها إنتظرت حتى تحضر الأخرى ..

- لما قامت بتغيير الإسم من شفاء إلى رحمة..؟ ، وكيف لم يكن أحد يراها إلا أنا..؟، بل ولما أنكر الجميع وجودها ..؟، وهل هى قعيدة أم لا.. ؟ ومن هو ذلك المسخ..؟ ، وكيف تحركت معه..؟، كل الأسئلة التى كانت في رأسي وقتها كانت تتصارع لتنفجر فى وجه المرأة التى لم تتوقف عن الحديث، كم أود أن أُلقي هذا الكوب الساخن على شفتاها التى لم تتوقت عن الحديث وتلك الإبتسامة الصفراء الغامضة التى تملأ وجهها.

قطعت شفاء حديثها مع نفسها فجأة عندما سمعت صوت سيدة عجوز تهبط من الطابق العلوى صارخة هى الأخرى:

- أين شفاء.. لما تأخرت ..؟، أين شفاء ..؟، شفاء لماذا لم تأتِ إلى الآن..؟، هل تركتيها مرة أخرى يا رحمة..؟، ألم ينتهى الأمر بعد..؟

قامت المرأة مفزوعة إلى السلم لتسند يد إمرأة تقترب من الثمانين عامًا وتهبط بتؤده بينما ردت الأخرى عليها:

- لا يا أمى.. هى بالخارج وفى طريقها إلى هنا، لا تخافي، والآن إحذرى من زارنا..؟

إقتربت العجوز من الكرسي الجالسة عليه شفاء التى حاولت النهوض لتُسلم عليها لكن قدميها كعادتها فى الفترة الأخيرة عجزت عن حملها...

إقتربت العجوز وبدلاً من أن تمد يدها مدت أنفها و هى تتشممها.. وقالت فى فرحة:

- هى يا رحمة ... هى... يااااه ... أين كنتِ يا بُنيتى..؟

إندهشت شفاء من تصرفها ،وتركتها العجوز وإقتربت من إبنتها..وبدءا يتهامسان حوالى خمس دقائق مما جعلها تتوتر أكثر فهتفت بحدة:

- من فضلكما.. إذا كانت إبنتكم ستتأخر فى العودة فسأنصرف لأعود فى وقت آخر.

قامت المرأة وإقتربت منها لتأخذ الكوب الفارغ وهى تهمس فى أذنها:

- تأتى مرة أخرى..؟!!، لا يا شفاء لا يصح هذا أبدًا، فالأمر سينتهى خلال دقائق، لا تخافي.. هذه أمى ، لا تخافي منها ولا تقلقي هى لها بعض التصرفات الغريبة..لا تجهدى نفسك بالتفكير .. فكرى بشئ آخر ..استرخى فقط ، وليكن الله فى عونك.

قالتها وذهبت إلى الفونوغراف القديم ، وتركت شفاء وقد أخذتها الدهشة من حديثها وحاولت أن ترد ، لكنها بدأت تشعر بثقل فى رأسها وهى تحاول جاهدة أن تطلب منها ألا تقوم بتشغيل أى موسيقي، فقد كان الصداع قد بدأ يدق فى رأسها دقات غير محتملة ..لكن المفزع أنها أدارت تلك الأغنيه مرة أخرى .. نفس الأغنية اللعينة التى لا زالت تصدح برأسها وهى غير قادرة حتى على التخلص منها:

الدنيا ليل والنجوم طالعة تنورها.. نجوم تغير النجوم من حسن منظرها

لم تندهش شفاء فما حدث بعد ذلك أربكها ، لأنها لم تستطع ملاحظة ما تصنعه المرأة إلا بعد أن تحركت ناحية اليمين ممسكة بسلة خشبية عادية لتضعها أمام شفاء على منضدة السفرة، بينما إستلت العجوز الأخرى التى تبدو وكأن جسدها قد بدأ يضخ دماء الحياة داخلها، فقامت مُسرعة بطريقة لا تتناسب مع عمرها لتتناول صليبًا خشبيًا وتضعه مقلوبًا بداخل السلة وهو منتصب للأعلى..

بينما أخرجت والدتها قميصًا كريه الرائحة من أحد الأدراج ، وهى تضعه على الصليب المقلوب ، ثم قامت بإمساك ورقة وبدأت تخط فيها عدة كلمات باللون الأحمر... ووضعت شمعتان عليها ...

وقتها كان المكان كله قد بدأ فى الدوران داخل رأس شفاء ، وكانت عاجزة حتى عن تحريك يدها.. وشعرت وكأنها تشاهد فيلمًا لا ينتمى إلى الواقع أمامها.. وعندما إنتهت مما تفعله بالورقة إتضح أنها ترسم وجه باللون الأحمر وعليه بعض الكلمات الغير مفهومة وثبتته جيدًا أعلى القميص الموجود على الصليب.. لترفعه مرة أخرى وتذهب إلى جوار العجوز ليضعا السلة على الأرض وهما من خلفها يجلسان على كرسيان خشبيان، فبدءا فى الإهتزاز سويًا، وهما ممسكين بأيدى بعضهما البعض وبدءا فى التراتيل بصوت هامس بتلك الهمهمات ..مع الصوت المقزز للأغنية فى الفونوغراف ورأس شفاء التى بدأت تدور وصوتهم الذى بدأ يصم الآذان :

- احما حميثا اطما طميثا..العجل العجل عزمت عليك يا سيد الأرض وما أسفلها..بحق اهيا شراهيا ادوناى اصباؤت ال شداى ثم السبيل يسره ...أحضر فورًا يا سيد الأراضي السفلية..اج اجوج اجج..شوشان..أجيبوا ياخدام هذه الأسماء.. قش شاقاش.. احما حميثا اطما طميثا..العجل..العجل الساعة الساعة..

ظلا يُلقيان هذه التعاويذ الملعونة حتى سمعته شفاء.. سمعت تلك الهمهمة والصوت المُفزع الاتى من خلفها لذلك القرد، وقتها جثت السيدتان على ركبتيهما وهما ينظران خلفها وهى غير قادرة من رعبها حتى على الإلتفات... فقد كان هناك ظلاً ضخمًا يأتى من الأعلى ومعه بدأالظلام يدور فى المكان ..

إقترب منها ولكنها لم تتبينه إلا بعد أن أضاءت العجوز الشمعتان وهنا توقف قلب شفاء كليًا عندما رأت ذلك الظل ، فقد كان أشبه بصور الجن .. يقترب من

المتران طولاً وعلى جسده قشور تشبه قشور السمك، بينما كان ذَنبه معقوفًا على هيئة خنجر فى نهايته مطلوقًا من خلفه ، بينما وجهه يبدو كما لو كان الشيطان نفسه..

إقترب بكفيه التى تنتهى بإصبعين فقط وهو يتكلم بتلك اللغة الغريبة ويأمر شئ من خلفها أن يأتى إلى شفاء ليُمسكها من أقدامها، وبالفعل بدأت الأطفال الممسوخة فى تقييدها وإمساكها من يديها وقدميها وتثبيت رأسها وهى تصرخ بتلك الحشرجة التى لا صوت لها، بينما إنبري أطفال آخرون بالإمساك بجسد ما إلى جوارها ..

إلتفتت شفاء بصعوبة فإذا هى تلك الفتاة التى كانت معها فى القاهرة ، وهى فى سكون تام وعارية تمامًا.. كانت تقترب من الثلاثين من العمر، وليست على تلك الهيئة التى عرفتها بها دومًا ، وعلى وجهها إبتسامة سعادة لم تعهدها فيها من قبل.

إستمروا فى تقييدها وبدأ هو فى فتح فم شفاء عنوة.. وقتها لم تشعر بنفسها إلا وقد سقطت مغشيًا عليها.

***

الفصل السادس

جهنم

***

ما أصعب من أن تكون عاجزًا حتى عن إخبار أقرب الناس إليك عما يؤلمك،أن ترى وتعلم ولكن يديك مكبلتين لاتستطيع فعل شئ،وكأنك طائر قُص جناحيه يتطلع من قفصه إلى تلك الأسراب المحلقة فى السماء، يتمنى أن يناديهم، أن يحلق معهم حتى ولو لآخر مرة، ولكنه لا يملك إلا تلك العبرات التى تحمل معها آخر صرخاته العاجزة .

***

لم تدر شفاء كم مر عليهامن الوقت وهى غائبة عن الوعى فى هذا المكان، لكنها بعد فترة شعرت بذرات تراب تتسلل إلى جوفها ، فشهقت وقامت مفزوعة لتلفظ ما تسرب إلى حلقها من تلك الأتربه ، وعندما فتحت عينيها لم تستطع أن ترى فى بداية الأمر، حاولت أن تضع يدها أمام عينيها فلم تجد إلا سواد حالك جدًا..تأوهت و هى تتحسس رأسها فى ألم ، فقد كان الصداع يكاد يشق رأسها نصفين.. وحتى بعد أن تعودت عيناها على الظلام لم تُبصر جيدًا ما حولها ، فقد كان ذلك الظلام يحيط بها من كل جانب ، وبالكاد رأت كف يدها المتسخ.. ومن جوارها كانت الرائحة لا تُطاق فوضعت يدها سريعًا على أنفها مرةأخرى، لكنها وجدت أن يدها ممتلئة بتراب سئ الرائحة جدًا ..

وضعتها مرةأخرى إلى جوارها حتى تستند لتنهض ، لكن يدها غاصت فى التراب مرةأخرى..صرخت فى فزع فهى تعرف تلك الرائحة القذرة ، فهى تذكرها ب.....

- اللعنة فأنا داخل قبر....

كان هذا صراخها بعدما تأكدت من ذلك ، فتلك الرائحة مع صوت إرتطام أمواج البحر القريبة جدًا ، والظلام والتراب ، كل ذلك يثبت ذلك ..

بذلت جهدًا خرافيًا لتتمالك أعصابها ، ومدت يديها سريعًا إلى ملابسها لتبحث عن الهاتف حتى تضئ ذلك المكان الأسود الذى كانت فيه ..لكنها لم تجده ..بل وجدت نفسها عارية تمامًا إلا من غطاء شبيه بالكفن تماما يلفها فقط ..فبدأت فى التشنج والصراخ والبكاء رغمًا عنها ..وتسائلت...

- هل مِت أم دُفنت حية..؟

فذلك الموقف المؤلم وما مر عليها صباح اليوم جعلها لاتدرى حياتها من مماتها ،فقد رأت نفسها بداخل قبر ، والأسوأ أنها ترتدى ملابس بيضاء كالكفن تمامًا،وقتها دعت الله كثيراً إن كانت قد ماتت أن يغفر لها ما تقدم من ذنبها .. ونامت فى سكون وإنتظرت ما سوف يحدث لها ، ولكنها فجأة عطست..وأعقب ذلك سعال مرة أخرى بسبب التراب الرملى الملحى الموجود إلى جوارها ، مما أكد لها أنها لا زالت حية ، فعادت مرة أخرى للصراخ مجددًا ، لكن لم تستطع حتى إخراج صوت من حلقها ، فلم يخرج منها إلا صوت حشرجة فقط ..

بذلت مجهود خرافى حتى إعتدلت لتجلس .. حاولت أن تنهض ولكن رأسها إرتطمت بسقف القبر ، فبكت أكثر وصرخت أكثر وأكثر ،حاولت النداء على أحد ولكن دون جدوي ، حاولت أن تعتدل جالسة ولكنها لم تستطع إلا بصعوبة ..مدت يدها بتلقائية إلى قدمها عندما شعرت بوخز ، فوجدت شيئًا ما يقيدها من قدمها...

تحركت زحفًا لتصل إلى حافة القبر لتبحث عن باب الخروج لكن دون جدوى فقد عجزت أن ترى أي شئ...حاولت أن تطرق على جدار القبر من الداخل، بالرغم من أنها تعرف أنه كان من المستحيل أن يسمعها أحد.. لذلك بدأت فى البحث عن أى حجر، ولكن قدمها المقيدة كانت تمنعها من الحركة ، فوضعت يدها مكان القيد فوجدتها مقيدة بحبل، فمسكت طرفه وحاولت أن تعرف إلى أين ينتهى، فمسكت الحبل وتحركت ببطء حتى وجدته مقيد إلى حلقة معدنية فى أرضية القبر ..

حاولت جذب الحلقة المعدنية لتحرر قدمها ، لكن كان من المستحيل الفكاك منها.. إصطدمت يدها بحجر بارز فأمسكته وتحسست الطريق حتى وصلت إلى باب القبر من الداخل مرة أخرى ، وبدأت فى الطرق والصراخ، لكن أثناء طرقها بدأ الحجر فى التحطم فى يدها تاركًا ضرسًا إستقر فى كف يدها مما يبدو معه أنها

كانت تطرق بجمجمة قديمة، مما أصابها بالرعب أكثر ، فعادت إلى الصراخ الذى بدأ يخرج من حنجرتها أخيراً..

ولكن يبدو أن محاولاتها قد جذبت إنتباه أحدهم ، فقد شعرت أن حرارة القبر ترتفع فجأة، وتراب يثور فى القبر ، مما جعلها تسعل وشيئًا ما كثيفًا يقترب منها وقد شلت حركتها تمامًا بعدما شعرت أنه عبارة عن كتله سوداء تقترب منها وتكاد تبتلعها تمامًا، كانت ترى عينيه الحمراء بوضوح، تشممها ثم أمسك طرف القيد وبدأ فى شد الحلقة المعدنية حتى ظهر من أسفلها درج يؤدى إلى أسفل ..

تصاعد دخان كثيف من داخل الفتحة، بينما تصاعدت الأتربة، مما جعلها لا تستطيع فتح عينيها من الألم والبكاء والخوف ، كان الضوء الأحمر الساطع هو ما يخرج من تلك الفتحة ، مما جعلها تتبين ملامح القبر وهذا الملعون الذى يجذبها إلى داخل الفتحة، فقد كان حيوان أقرب إلى ذلك النسناس الملعون مرة أخرى، نظر إلى العقدة المربوطة وقام بربطها من قدمها الأخري فى الحبل ، وجذبها متجهًا إلى الفتحة الموجودة، وبدأ فى النزول إلى أسفل ممسكًا بالحبل ، وشفاء ترتعد ولا تقوي على الحركة أو الصراخ أو حتى التشبث بأى شئ ، كانت كلما حاولت الصراخ دخل التراب فى فمها وحلقها فتسعل بشدة، وعيناها لا تقدر على فتحها ، وفى نفس الوقت لا تقدر على إغلاقها خوفًا من المجهول .

و عندما شعر ذلك الكائن بمقاومتها بدأ يجذبها بشدة أكثر إلى فتحة جهنم .. كانت عشر درجات تحديدًا هى ما يفصل القبر عن أرض الشياطين تلك ، وعندما وصل إلى أرضيتها جذب الحبل أكثر وهو يجذبها من الحبل المقيدة إليه بإحكام فبدأت شفاء تسقط على وجهها وجسدها ، حتى هبطت أخيراً على أرض لينة مقززة، حاولت شفاء النهوض حتى وقفت أخيراً على الأرض التى كلما إستندت عليها كان يخرج سائل دموى اللون أقرب للدماء..شعرت بدوار مما تراه فجلست سريعًا على إحدى الدرجات الرملية.

نظرت من حولها فإذا هى فى كهف أقرب إلى الكهوف الحجرية ومغلق من جميع الإتجاهات ، إلا من ناحية واحدة كانت تتصاعد منها أبخرة حمراء وتتعالى أصوات صرخات من داخلها.. إقترب منها النسناس وحرر الحبل فحاولت الوقوف، وبالفعل وقفت وهى تستند الى الجدار الحجرى وقدماها العاريتين تغوصان فى وحل من الدماء القذرة ، وهو يشير لها بالتقدم بينما جلس إلى جوار السلم ..

تقدمت الفتاة ولم تتبين أن هناك ممر طويل عليها أن تسير فيه، اقتربت منه بهدوء وهى تمد رأسها فى محاولة منها لمعرفة ما الموجود بداخله ، فرأته ممر ضيق طويل وفى آخرهكان هناك فتحة تأتى منها الأبخرة الحمراء والأصوات المتداخلة ..بينما كان يقترب عرضه من المتر فقط...

أبصرت كائنات تتحرك جيئة وذهابًا فى الممر ، وعندما اقتربت من المدخل توقف الجميع و جلسوا على صفين حتى مدخل الكهف الآخر مسندين ظهرهم إلى الجدران الحجرية، وعندئذ لاحت ملامحهم أمام شفاء ، فإذا هم هؤلاء الأطفال اللعينة الغير محددين ملامح ، وإن كانت أول مرة تراهم بهذا الوضوح .

كان كل منهم يقترب من الخمسين سنتيمتر طولاً، وجوههم مطموسة إلى حد ما ، وأعينهم بيضاء تمامًا طولية الشكل ، وتوجد بالقرب من آذانهم ، بلا أى فتحات للأنف ، بينما كانت أفواههم دائرية الشكل ، يخرج منها رباعيات كبيرة الحجم..

حاولت الرجوع لكن نغزها ذلك النسناس الملعون بأظافره فى قدمها حتي تسير فى هذا الممر الملعون..وكلما تحركت كانت تحاول أن تكتم صراخها ورعبها كلما مرت بجوار هؤلاء الملاعين ، فقد كانوا بشعين المنظر ، وكأنهم قد بدأوا فى الظهور على شكلهم المرعب والأكثر رعبًا من زى قبل، لكن وسط بكائها وسيرها قدمًا بعد الأخرى كانوا يمدون أيديهم القصيرة المرعبة يتحسسون أقدامها وساقيها وجسدها الذى كان يستره فقط ذلك الرداء الأبيض ، والذى كانت تتشبث به شفاء ..وبدأ

صوت نحيبها يعلو والذى إمتد بطول ذلك الممر الملعون الذى بدا لها أنها كانت تسير فيه إلى مالا نهاية وسط الدماء المقززة والأطفال التى كانت لا تنتهى وتلك الرائحة العفنة ..

استمرت شفاء فى السير حتى نهاية ذلك الممر ، وهناك وجدت ما لم يمكن لها أن تتخيله فى يوم من الأيام ، فأخيرًا وجدت ذلك المسخ الكبير الذى رأته من قبل فى بيت رحمة ، جالسًا على عرش أحمر اللون، ومن حوله عدة حيوانات أو مسوخ للجن لم تتبينهم جيدًا ، فقد كانت عيناها مركزة على ذلك الضخم الجالس فوق عرش من النيران .. لم تكن تتوقع شكله حتى فى أسوأ كوابيسها ..و بمجرد رؤيته وهو جالس على عرشه سقطت مغشيًا عليها من الرعب ...

لم تدرى كيف فاقت سريعًا على ذلك الوضع ، فلم يمر على فقدانها الوعى إلا ثوانى فبمجرد إرتطام رأسها بتلك الأرضية القذرة أفاقت على الفور وقد غرق وجهها فى تلك الأرضية العفنة..

سمعت صوته بلغة غريبة يهتف إلى أتباعه ، فهرعوا إليها وحملوها إلى أحد الكراسي إلى جواره .. قام من عرشه وإقترب منها بنفس رائحته الكريهة وجسده الطويل المقزز وهو يقترب منها ، وبدأ فى تحسس جسدها فى نشوة وهى تصرخ دون أى جدوى، وكلما صرخت زاد ضغطه على جسدها بيديه أكثر، وبصوته الأجش بدأ فى التحدث إليها قائلاً:

- لقد أخبرتك منذ اليوم الأول أنكِ ستصبحين جاريتى ، وقد كان.. لقد أتيتِ بأقدامك إلى عرشي ومملكتى.. ستصبحين محظيتى ..ستكونين إمرأة هذه المملكة ،أما تلك الفتاة الأخرى فلها حق الإسترداد، لقد أعدت إليها جسدها المتعب وروحها المعذبة .. لقد قبلت بالترضية .. قبلت بالترضية .

أما أنتِ فالآن سيصبح جسدك البشري ملك لى أنا فقط، أما روحك فستظل

معذبة إلى أبد الآبدين..هذا ما عهدناه بيننا وبينكم ..هذا عهدنا وعهدكم يا فتاتى... عليك التسليم والقضاء...

وعلى الرغم من رعبها من كل شئ يدور حولها ، إلا أنها قاومت وقاومت جسده الذى بدأ يقترب منها مما بدا له معهأنها ترفضه فلم يستطع إكمال ما كان ينتويه ، فصرخت بعدما أبعدته عنها صارخة:

- لن تلمسنى... لن أسمح لك بكل ما تتوهمه ، لن أسلم لك جسدي بتلك السهولة أيها ال.....

وفجأة تعالى صراخه بدون سبب، ولكن يبدو أن ذلك كان صيحة إنتصار لأن كل من كان فى تلك البقعة الملعونة من الأرض بدأوا فى تحيته بطريقتهم، فظل الصراخ من الكل وسط يديه التى كانت لا تزال تتفحص جسدها فى شراهة.

إقتربت تلك المسوخ منها وشكلوا دائرة حولها، وشيئًا فشيئًا بدأت الرؤية تغيب عن عينيها بسبب تلك الأجساد ..لكنها وسط ذلك سمعت صوت تعرفه جيدًا يأتى من يمينها فنظرت إلى صاحبه ، فإذا بعدة مسوخ من تلك الحيوانات البشعة تجر والدها من أرجله ناحية حفرة ترتفع منها ألسنة النار ..فتحت عينيها جيدًا وهى مستلقية رغمًا عنها على الكرسي بعدما مسكت بيديها تلك المسوخ ، ولازال والدها على صراخه مُستنجدًا بها قبل أن تُلقي به تلك المسوخ إلى السعير..

حاولت الصراخ أو النهوض لمساعدته لكنها كانت عاجزة حتى عن فعل أى شئ ...وقف الجميع فى إنتظار قرار المسخ الأكبر الذى سار إلى الناحية المقابلة وهو لا زال يزمجر إلى ذويه دون أن تفهم ما كان يقول ..ووقف فى وسط دائرة من الأطفال الممسوخة الذين جلسوا حوله..

نظرت سريعًا إلى والدها الذى كان جاثيًا على ركبتيه فى تلك الأثناء يبكى وهو يمد يده إليها مُستنجدًا، فصرخت عاجزة عن فعل أى شئ، وعادت مرةأخرى إلى

المسخ ، لكنها لم تجده ، بل وجدت الملعون الآخر العم غفران وسط هذه الدائرة وهو يبكى دافنًا رأسه بين يديه .. ومن وسط الدائرة برز وجه أدهم هو الآخر.

إندهشت أكثر عندما رأت ممدوح وفاتن أشقائها، بل وظهرت منى وليلى والأخريات.. وقد بدأت تلك المسوخ فى ترديد تلك الطقوس الملعونة التى كانت تسمعها وشعرت بها وكأنها سياط تُلهب ظهرها ..

- احما حميثا اطما طميثا..العجل العجل ، عزمنا عليك يا سيد الأرض وما أسفلها.. تملك هذا الجسد يا سيد الأراضي السفلية..اجاجوج..شوشان..أجيبوا يا خدام هذه الأسماء.. قش شاقاش.. القبول ياسيد الأرض القبول القبول العجل العجل.. الإسترداد بحق شاقان وطفكيش..بحق عفار سيد الأراضي المقدسة ..بحق عفار المقدس ..عفار .. عفار .. عفار..

بدأت تسمع الصيحات بكلمة عفار تتعالى من حولها وبدأوا فى إمساكها جميعًا ، وصرخاتها تتعالى وتقاوم ذلك الجسد الشيطانى الذى يقترب منها ويغطيها بالكامل بينما وجدت والدها وهو يصرخ آخر صرخاته قبل أن تلقي به تلك المسوخ بداخل تلك الحفرة المستعرة .. إمتزج صراخها بصراخ والدها بصراخ عفار الجنونى وهى لا زالت تصرخ وتقاوم ، وبدأت الأرض تدور من حولها حتى أُغشي عليها من الألم ..

ورويدًا رويدًا بدأت تتضح الأشياء من حولها، فوجدت نفسها لازالت فى هذا البيت الملعون ومن حولها كانت رحمة وإبنتها شفاء التى ظهرت على مشارف الثلاثين من عمرها وتلك الجدة التى كانت تنظر إلي شفاء بإنتصار.

حاولت التحدث دون جدوى، حاولت الإشارة أو الوقوف ولكن دون جدوى، وكأنها وقعت بين عالمين ، حاولت الصراخ فخرج منها صوت حشرجة آخر، كانت عيناها تراهم بوضوح لكن فى نفس المشهد كان هناك عفار و عرشه والمشهد الملعون يجري بكل ما فيه بنفس التوقيت ..كل ذلك كان يصيبها بالجنون ، لكن ما

أصابها بالرعب أكثر هو ذلك الصوت الذى بدا مألوفًا جدًا وهو يقترب من خلفها ويربت على كتفها فى حنان بالغ وهو يقبلها من رأسها و يتحدث فى أسي:

- نأسف لإزعاجكم، ولكن كل كلمات الشكر لا تكفي ..الحمد لله أنكم وجدتم شقيقتى مُلقاة فى المقابر بجوار قبر أبي، فهى تذهب إليه كلما جاءت إلى الاسكندية وكثيرًا ما كانت تذهب ليلاً، لذلك حذرناها عشرات المرات ولكن دون جدوى، شكرًا لأنكم حافظتم عليها حتى إتصلتم بي.

نظرت إليه فإذا هو شقيقها ممدوح ، ومن أمامه كانت السيدة أم شفاء وهى تنظر إليها محاولة أن تخفي ابتسامة نصر قائلة وهى تحاول التظاهر بالشفقة:

- لا شكر على واجب يا أستاذ ممدوح، فقد كان مغشي عليها وكنا فى زيارة هناك لقبر زوجى الراحل،فوجدنا شقيقتك وحاولنا إفاقتها ولكن لم نستطع، فنقلناها إلى فيلتنا وأحضرنا لها طبيب قام بإفاقتها وأخبرنا أنها مصابة بصدمة عصبية شديدة وأوصانا بضرورة نقلها إلى المستشفي اليوم، فكان لابد من الإتصال بأحد ذويها ، والحمد لله أننا أخذنا هاتفها وبحثنا فيه حتى وجدنا اسم ممدوح شقيقي.

- كم أنا شاكر لكم يا سيدتى..سنخرج من هنا إلى إحدى المصحات وأدعو الله أن تكون أزمة بسيطةوتخرج منها على خير.

- لكن بالله عليك لا تنسى أن تطمئننا عليها .

- فى القريب إن شاء الله.

نظرت مرة أخرى على صوت الصرير القادم فوجدت زميلتها السابقة شفاء وهى تجر ذلك الكرسي المعدنى المتحرك، مما جعلها تصرخ وتقاوم دونما سبب مفهوم لشقيقها بينما نظرت إليها الفتاة وكأنها تعتذر عن كل ما سببته لها.

تحدثت والدتها إلى ممدوح قائلة وهى تقدم له الكرسي المتحرك:

- تستطيع حملها بذلك الكرسي يا أستاذ ممدوح، فقد كان ذلك الكرسي لأمى عندما أصابها كسر العام الماضي ، فلتحتفظ به فلسنا بحاجةإليه بعد الآن.

قالتها ونظرت إلي شفاء ابنتها بنظرة إنتصار ، بينما حمل ممدوح شقيقته عليه وسط مقاومتها دونما سبب مفهوم لديه ، وبعد أن قام شقيقها بوضعها عليه فى أسي بدأ يدفعها للخارج وهو لا يزال يواسيها دون أن تسمعه فقد كان هناك عشرات التساؤلات فى ذهنها:

- هل أصبحت قعيدة..؟، هل سكن ذلك الجسد بداخلى كما كان يسكن داخل شفاء الأخرى..؟، وشفاء الأخرى هل هى تلك التى ظهرت الآن بجسدها الحقيقي وإستردته كما أبلغها عفار بأن لها حق الإسترداد..؟ ، لو كانت الإجابة على ذلك بنعم فلقد أصبحت سجينة جسدي مدى الحياة..

أصبحت لا أستطيع تحريك يدى ولا قدمى ولا لسانى، هل سأظل كذلك أم أن ذلك فقط مجرد حادث عارض سأعود بعده إلى طبيعتى..الآن فقط عيناى هى ما يتحرك .. عيناى فقط هى من كانت ترى أن هناك خيالات تدور حولى وكأنها تقوم بحراستى.. بالطبع لم يكن يراهم ولا سيراهم غيري..

وعلى باب الفيلا لمحت السيدات الثلاث يقبلون ويهنئون بعضهم البعض فقد ذهبت اللعنة من إبنتهم .. ولم لا ..؟،فقد حلت اللعنة بشفاء وسكنت فى جسدها..

***

مرت الأسابيع تلو الأسابيع دون أى جدوى ..دار أهلها على الأطباء دون أى بصيص من الأمل ، لكن ما حدث بعد ذلك كان الأسوأ.

ففى بداية الأمر ظلت مشلولة تمامًا لعشرة أيام كاملة دون حتى أن يكون لديها القدرة على تحريك شيئ إلا جفونها ، وسط عجز الأطباء عن تشخيص حالتها فى ذلك المشفي القريب من بيتهم أو فى كل مكان آخر ذهبوا بها إليه ، وأصبحت

لا تستطيع الكلام أبدًا ، وكان كل ما يصدر منها هو صراخ فقط ، مما جعلها تصبح نزيلة لأحد المصحات النفسية شهرًا كاملاً وشهرًا آخر للعلاج الطبيعى..

كانت من داخلها تشعر أنها فقدت كل شئ ، فقد خسرت كثيراً من وزنها ومن عمرها ومن دراستها.. وكثيراً ما كانت تسب تلك السنة الدراسية التى ألحت على القدر وحاربته لمجرد نجاحها فيها، وها هى تفقد السنة الدراسية وتقريبًا ستخسر عمرها بالكامل.

وهذا ما كانت تحدث به نفسها دومًا ، أنها فى طريقها للهلاك..ومما زاد الطين بله هو علمها برسوبها فى نصف العام الدراسي لعدم إستكمال إختباراتها ، رغم تقديم أدهم شهادة طبية لإعفائها من بقية الإمتحانات..

أدهم...ذلك الشاب الطيب المحب ، والتى لا تزال تتذكر بكائه المستمر كلما زارها فى المستشفي وهى عاجزة حتى عن سماع ما يردده أو يخبرها به.. ولكن هل أصبحت سليمة بعد ذلك ..؟

كانت كثيراً ما تحاول الحديث مع أهلها أو الأطباء أو حتى الممرضات أو حتى الإشارة لهم أو الكتابة، حتى بدا أخيراً بصيص من الأمل يلوح فى الأفق..

فعلى الرغم من أنها لم تعد تتحدث جيدًا، فلسانها قد أصبح ثقيل جدًا ويدها أثقل، لكنها بالكاد بدأت تتحرك على قدميها وقد أشعرها من حولها أنها فى طريقها للتحسن لأنه لا توجد أى عوارض جسمانية مرضية، لكنها كانت تعلم السبب الرئيسي فى عجزها ، فهى تشعر أنها فى طريقها للأفضل عندما يغيب عنها ذلك المسخ.

فهو يأتيها مرةأسبوعيًا.. ليأخذ روحها إلى مكان عرشه تحت الأرض، وفى تلك الليلة المشئومة لاتزال ترعب كل من حولها من صراخها المستمر ، وهى تشعر بكل لمسة من جسده عليها.. لكنها فى كل مرة كانت تقاوم وكأنه يتم إغتصابها فى تلك

الليلة، فعلى الرغم من عجز جسدها فى الواقع إلا أن فى ذلك المكان المرعب كانت تشعر بكل شئ وتستطيع التحرك والحديث ، ولذلك كانت تقاوم فى كل مرة يقترب منها ، وهذا ما كان يثير جنونه أكثر وأكثر ولا يستطع إكمال شهوته معها ..وبعد ذلك تدخل فى حالة من الشلل الكامل ، ولا يزول أثره إلا بعد يومين كاملين، لكنه حذرها فى المرة الأخيرةأنه سيلقنها درسًا ، ولن يسمح لأحد أبدًا بالإقتراب منها وإلا كان مصيره الجنون ..

و بعد أن يئس الأطباء من حالتها وإعتبروا أنهم قد فعلوا كل شئ وأنقذوا كل ما يمكن إنقاذه، كان القرار بعودتها إلى منزلها ووسط أسرتها ، فلعل ذلك يكون سبب فى شفائها..

وكان كل تبريرهم أن ما يحدث لها هو حالة شلل نصفي كامل ، وعليهم إنتظار الأمل من الله ، ونصحوها بعدم بذل أى مجهود ، وبالطبع فلم تستطع حتى الكتابة بيديها اليمنى،أو حتى الإحساس بنصفها الأيمن أبدًا.

وبمجرد عودتها إلى منزلها بالفعل إبتعد ذلك المسخ الشيطانى عنها ، وبدأت فى الشعور بالتحسن قليلاً بسبب أمها التى لم تفارقها لحظة ، فقد كانت فى تلك الأثناء تظل إلى جوارها ليلاً ونهارًا وبيديها القرآن الكريم لتقرأ بعض ما تيسر منه وهى تبكى لما آل إليه حالها .. وقد بدأت فى التفكير فى إحضار المعالجين بالقرآن لكنها كانت تخاف من رد فعل إبنتها التى طالما كانت ترفض تلك الأشياء .

خضعت شفاء للعديد من الجلسات الطبية ولكنها لم تستطع النطق.. وكلما حاولت إخبار أمها بما حدث لها يعجز لسانها عن الكلام، وطوال الوقت دائمًا كان غفران العجوز على بالها دومًا ، لكن للأسف فقد كان هاتفه مغلق كلما حاولت الإتصال به ومن داخلها كانت على يقين أنها حتى لو أجابها فى الهاتف فلن تستطيع التحدث معه وحتى لوإستطاعت ذلك فالعجوز لن يخبرها أبدًا عما قام

به ، والسبب فى ذلك .. ومن داخلها هي تعلم أن الرجل وراءه سر ما ، وهى لديها عشرات من الأسئلة والتى لن تجد لها إجابةإلا منه..

أغمضت عيناها فى ألم وهى تضع هاتفها بيدها اليسري بصعوبةأسفل وسادتها، وهى تتمتم قبل أن تبدأ بكائها الليلي:

- كم كنت أود أن أقتله فقط .. لا يوجد أى شئ أستطيع فعله سوي أن أقتله بيدى، لكني لن أصل إليه أبدًا وحتى لو وصلت إليه فلن يجيبنى على تساؤلاتى... أبداً.

إنهمرت دموعها عجزًا وقهرًا ، فما أصعب من أن تكون عاجزًا حتى عن إخبار أقرب الناس إليك عما يؤلمك ، أن ترى وتعلم ولكن يديك مكبلتين لا تستطيع فعل شئ ، وكأنك طائر قُص جناحيه يتطلع من قفصه إلى تلك الأسراب المحلقة فى السماء ، يتمنى أن يناديهم ، أن يحلق معهم حتى ولو لآخر مرة ، ولكنه لا يملك إلا تلك العبرات التى تحمل معها آخر صرخاته العاجزة .

***

- ابنتك ممسوسة يا حاجة فاطمة.

شهقت فاطمة وهى تستمع إلى الحاجة زبيدة، تلك المُعالجة الروحية التى أشار بعض الجيران بضرورة إحضارها لرُقية شفاء فى منزلهم ، وبعد أن دخلت على الفتاة التى كانت مستغرقة فى النوم فى هذا الوقت ، إلا أنه بمجرد دخولها الغرفة شعرت الحاجة زبيدة بإرتفاع شديد فى حرارة الغرفة وإنقباض مفاجئ فى قلبها ،وكأن الغرفة تسكنها شياطين الأرض ، ولم تلبث إلا دقيقة واحدة رأت فيها وجه الفتاة البائسة وخرجت مُسرعة، وخاصة عندما أفاقت الفتاة وتطلعت إلى زبيدة بنظرة غضب كادت أن تخلع لها قلبها ، وقد فهمت منها زبيدةأن تخرج فورًا ، وبالفعل خرجت سريعًا وسط صراخ شفاء التى أمرتها بالخروج بصوت

أجش ،والتى لم تعلم لما فاقت فى تلك اللحظة أو لماذا صرخت عندما رأت تلك العجوز..؟!!ـ وظلت على صراخها حتى خرجت المرأة ، بينما بقى ممدوح وفاتن فى غرفة شفاء لتهدئتها..

- لا حول ولا قوة إلا بالله يا حاجة زبيدة ، كيف ذلك..؟ ، هل أنتِ متأكدة..؟

- بمجرد سماع صوتها تيقنت أن هناك جسدًا آخر يسكن بداخلها..من رعشة الصوت وأجشه وبطء الحروف الخارجة عرفت أن هناك من يمسك بلسانها عن الحديث...

- وما السبب فى مسها يا حاجة زبيدة...؟

- المس بالجن ليس له سبب محدد ، فهناك أسباب مثل الإعجاب بنفسها وبجسدها مثلاً أمام المرآة يا حاجة ، ووقوفها فترات كثيرة أمامها ومن هنا يعجب الجنى بالإنسية بطريقة قد تدفعه على الحرص والإصرار على متابعة الإنسية ومحاولة الدخول فى جسدها ومسها.

- ياربي..

- وهناك أيضًا العين والحسد ، فإصابات العين بين الإنس ثغرات عظيمة لتسلط الجن على الأجساد ، وممكن جدًا أن تكون محسود.

- إنها الآن لا تستطيع الحركةإلا بصعوبة، والكلام كله تهتهة، وبالكاد نفهم ما تقول ، هل يفعل الحسد كل ذلك..؟، و يحسدونها على ماذا..؟

- لأى سبب يا حاجة فاطمة ،فالحسد ليس له سبب ، فربما رزقها الله ما لم يرزق به إحداهن فتظل تحسدها حتى يصيبها مكروه ، وممكن جدًا أن تكون مسحورة .

ربتت فاطمة بيدها على صدرها قائلة برعب:

- مسحورة..؟

- نعم يا حاجة فاطمة ،فالسحر الإنسي يصيب الإنسان بمس الجن لأنه يحدث في حالات السحر تسلط شيطاني على المسحور من خُدام السحر ، ومع طول مدة السحر يأنس خادم السحر بالجسد الذي يعيش فيه حتى يعشق صاحب الجسد ، وخاصة إذا كانت الفتاة جميلة مثل شفاء... الله يشفيها..

- يارب يا حاجة زبيدة .

- وآخر شئ قد يصيب الإنسان بالمس هو أى شئ يتعلق بدورة المياه ، سواء الغناء أو الصراخ أو البكاء ، لأن وقتها يقترب منها الجنى أكثر والعياذ بالله ، تخيلي لو أشفق عليكِ نفر من الجن والعياذ بالله

- لا أدرى لكن شفاء لا تفعل أى شئ من ذلك ، فهى فتاة طبيعية جدًا لا تقوم بأى من ذلك.

- أخبرينى إذن هل تقرأ فى كتب السحر والتعاويذ والطلاسم..؟

- لا أبدًا يا حاجة زبيدة، فهى ترتعب من أقل شئ..؟ ، كل ما أراه منها هو عدم رغبتها فى ترك غرفتها والمكوث معنا ، فهى تخرج فقط إلى الحمام عن طريق كرسيها المتحرك ، وبقية يومها تقضيه فى النوم لفترات طويلة .

- لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، إن النوم لفترات طويلة هو من أهم العلامات بالمس ، لأن المعشوق من الجن يتعب من أقل مجهود يقوم به مثل شفاء يا حاجة فاطمة ، بينما العاشق من الجن ينتهز هذه الفرصة ليظل بجواره أطول فترة ممكنة .

- ما العمل الآن يا حاجة زبيدة..؟

- لا شئ سأقوم برقيتها وسنحممها سويًا بماء وملح ، وستقومين بمسح الشقة

يوم الجمعة ورمي الملح فى كل ركن فيها ، وسنستمر على ذلك ثلاث جُمع وتخبرينى بعدها هل تحسنت أم لا ، فوقتها سيكون هناك تصرف آخر...

- وما هو ..؟

- دعينا لا نستبق الأحداث يا حاجة ، والآن هل من الممكن أن تحضريها أنتِ وشقيقها هنا...؟

أجابتها فاطمة بإندهاش..

- فى الصالة...؟!!

- نعم يا حاجة فاطمة ، هناك شئ ما فى غرفتها يحرسها ولا أستطيع الدخول أو العمل بداخلها..

صرخت فاطمة مرتاعة..

- شئ..؟!! ، وما هو الشئ الموجود فى غرفة ابنتى بالله عليك..؟

- أخبرتك..هو جنى غير موذى لكم حتى هذه اللحظة ، وهو مقيم بداخلها ويمنعها من الخروج لينظر إليها ويظل بجوارها أطول فترة ممكنة.

بعد عدة دقائق كانت شفاء بالفعل أكثر هدوءًا خارج غرفتها ، فإقتربت منها الحاجة زبيدة قائلة فى همس:

- ابنتى أعلم أنكِ لا تستطيعين الحركة أو الحديث فقط إلا بصعوبة، سأخبرك بأشياء إن كنتِ تشعرين بها فلتومئين لي فقط برأسك ، هل تفهمينني..؟

أومأت شفاء برأسها دليل على إدراكها ما تقول الحاجة زبيدة ، وإن كانت مندهشة وهى تنظر إليها ، بينما وقفت والدتها تنظر إليهم فى رعب ، بينما جلس شقيقها ممدوح بعيدًا وهو يتمتم بآيات من سورة يس.

همست زبيدة فى أذن شفاء:

- هل تحبين الجلوس وحدك طويلاً..؟

أومأت شفاء برأسها وتحدثت ببطء شديد:

- نعم...

- هل تنفري من كل شئ يتعلق بالإسلام...؟

- لا...

- هل تحبين الجلوس فى الظلام وتفزعين من رؤية الضوء...؟

- نعم...

- هل تنامين فترات طويلة وأثناء النوم ترين أحلامًا مُفزعة وكوابيس...؟

أومأت شفاء برأسها مرات كثيرة:

- نعم..

- هل تنفرين من الجنس الآخر ، وترفضين الزواج أو الخطوبةأو الحب..؟

إحتارت شفاء فى الإجابة ، فقد كانت تشعر بميل غريب نحو أدهم ، ولكنها لم تعلم إن كان ذلك حبًا أم تعود أو أى شئ، فقلبها يدق بشدة لمجرد سماع اسمه ، لكنها من داخلها أصبحت تنفر من الزواج والخطوبة .. أفاقت على تكرار السؤال من الحاجة زبيدة فأومأت :

- نعم...

- هل تشعرين دومًا بأن هناك أحدًا إلى جوارك وحرارة بالقرب منكِ، وأوقات كثيرة يدق قلبك سريعًا دونما سبب.

إرتعدت شفاء أكثر وبدأت عيناها تدور فى أنحاء الصالة، بينما إقتربت منها زبيدة لتهمس فى أذنها:

- هل هو موجود بيننا الآن..؟

لم تجبها شفاء بل إستمرت فى الإرتعاد ، بينما بدأت زبيدة فى الجلوس على الأرض وأصبحت بجوار شفاء التى رقدت على كنبه الصالة كما أخبرتها العجوز... وأشارت إلى ممدوح أن يقترب ويُمسك قدمى شفاء جيدًا ، بينما بدأت فى ترتيل القرآن أولاً ثم بدأت فى الهمس بعدما فرغت من قراءة ما تيسر منه:

- أقسمت عليكم بالعهد السليمانى ألا تظهروا لنا ولا تأذوننا بحق الله الذي لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون ، وبحق الذي له التهليل والتكبير والتعظيم والتحميد والنور والبهاء الصادق والوعد الفعال لما يريد ، وبحق الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، رافع السماء بغير عمد وباسط الأرض على ماء محبوس ، وبحق نور النور ومدبر الأمور ، وبحق الرب الذي خلق آدم وحواء ونفخ فيه من روحه وجعل الملائكة له يسجدون ، وبحق الذي تجلى للجبل فجعله دكًا وخر موسى صعقًا من نوره ، و بحق الله الذي لا اله إلا هو العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، وحق الله القادر فوق عباده وهو الحي الذي لا يموت ، وبحق الاسم الذي خرج به يونس من بطن الحوت ، لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وبحق الذي أمسك السموات بغير عمد ، الملك القدوس المُحي المُميت باعث النفوس ، وبحق الذي لا إله إلا هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم شديد العقاب .

كانت الحاجة زبيدة تتوقعأن تزيد شفاء من رعشتها أو تصرخ أو تصيح بصوت غاضب ، بينما كان الأمر يمر عليها بكل هدوء ، إلا أن شفاء إلتفتت ناحية زبيده وهى ترسم على وجهها إبتسامة لم تعهدها زبيدة من قبل ، ولكنها شعرت بنغزة فى قلبها إلا أنها إستمرت فى الحديث وهى تضع إحدى يديها على قلبها والأخرى على رأس شفاء التى بدأت فى الضحك بصوت عالٍ، بينما إرتفع صوت زبيدة هى الأخرى ليعلوا فوق تلك الضحكات المجنونة:

- وبحق الطور وكتاب مسطور في رق منشور ، والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ، وبحق خالق النور وباعث من في القبور، وبحق الله الذي لا اله إلا هو الكبير المتعال ذو الجلال والإكرام لا تدركه الإبصار وهو اللطيف الخبير ، وبحق عرش الرحمن الملك الديان المهيمن العزيز الجبار الذي هو في كل مكان.

همست شفاء فى أذن زبيدة بطلاقة دون أن يراها أحد:

- كُفى عن ذلك يا زبيدة ،أنتِ تُهدرين وقتك ، مهما قلتِ من تعاويذ ودعاء لن أتركهها...

إبتسمت زبيدة فى هلع وهى تحاول أن تبث الثقة داخلها ، فهى لأول مرة تسمع أحدًا من المخلوقات الأخرى يناديها باسمها بتلك الطريقة و ليس مذعورا كما تعودت وإستمرت قائلة :

- وبحق الله الذي لا اله إلا هو العزيز العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر ، الذي خلق السموات والأرض وهو الرحمن الرحيم ، وبحق الذي رفع السماء بغير عمد ويسر الأرزاق للخلائق ، ذلك رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، وبحق الذي لا إله إلا هو الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم ، وبحق الذي لا اله إلا هو عالم السر وما هو أخفى ، و بحق كرسي سيدنا سليمان وعزائم سيدنا سليمان ..

قاطعتها شفاء وهى تُمسك يدها بقوة وتصرخ بصوت غاضب:

- أخبرتك أن تصمتى أيتها المرأة وإلا.....

قاطعتها زبيدة وهى تزيح يد شفاء الممسكة بها بقوة لتُكمل:

- وبحق كرسي سيدنا سليمان وعزائم سيدنا سليمان ونبوة سيدنا سليمان وخاتم سيدنا سليمان الذي ملك به الجن والإنس والطير الصافات والريح

العاصفات أن تطيعني أو تطيعوني يا من تسكنون هذا الجسد في كل ما آمركم به ، وقد جعلت الله عليك أو عليكم شهيدًا وكفيلاً وكان عهد الله مسؤولاً، أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعًا إن الله علي كل شيء قدير ، الوحا الوحا.. العجل العجل.. الساعة الساعة.

- ألم أخبرك أن تصمتي..؟،حسنًا... بعد ساعة من الان سأصيب حفيدك معاذ بالشلل الذى لا فكاك منه ، هيا تخيري...اما ان تستمرى او تذهبي له على الفور

قامت زبيدة فى ذهول وهى تنظر إلى شفاء التى عادت إليها ملامحها المُتألمة ، بينما قامت أمها بعدما تفاجأت برد فعل زبيدة التى بدأت فى جمع أشيائها مُسرعة وهى تهتف :

- حسنًا يا حاجة فاطمة ، لقد أنهيت ما بدأته اليوم ، وعليك بفعل الأشياء التى قلتها لكِ، وفى الأسبوع القادم سيكون لنا شأن آخر..

- ماذا سنفعل..؟

خرجت العجوز مُسرعة وكادت أن تسقط على وجهها أثناء خروجها ، بينما أخذ ممدوح شقيقته إلى غرفتها ، وقبل أن تغلق الباب خلفها ، إقتربت زبيدة من فاطمة قائلة:

- ما بداخل إبنتك ليس جنى عادى يا حاجة فاطمة ، الأمر أخطر مما كنت أتصور ، وما رأيته أنه لا ولن يتأثر بأى أدعية ، بالعكس هو يُثار أكثر كلما حاول أحد ما مساعدتها.. إسمعى سأحاول التصرف خلال هذا الأسبوع ، إفعلى فقط ما سوف نتفق عليه سويًا ، ونصيحة لكِ إمنعى أشقائها عن المكوث معها فترات طويلة يا حاجة فاطمة..

وخرجت العجوز مُسرعة لتلحق حفيدها ، بينما وقفت فاطمة تنظر إلى غرفة ابنتها فى ذهول ، وقد إمتلأ قلبها خوفًا من القادم.. أما فى داخل الحجرة فقد أنهى

ممدوح مساعدة شقيقته حتى استقرت على مخدعها وهى لا زالت فى قمة الرعب مما حدث ، فقد كانت تخاف من إنتقام عفار الذى حذرها من مجرد محاولة أى أحد الإقتراب منها ، وتلك المرأة بدأت فى الإقتراب جدًا ، وبدأت فى إثارته أكثر فأكثر ، ولكنها تذكرت حديثها معها وخصوصًا حديثها عن الحب وعن أدهم ، فأمسكت هاتفها لترسل رسالةإليه :

(أدهم...أشتاق إليك ، من فضلك أريد رؤيتك ، فالحل قد يكمن على يديك ، أعتقد أن خلاصي بيدك...)

نعم... فلو توصل أدهم إلى غفران ربما كان لدي ذلك الملعون الحل المنتظر على الرغم من بحثه المستمر عليه دون جدوى ، لكن ربماكان الحل فى مكان آخر...

***

لم يطق أدهم بالفعل الإنتظار فى القاهرة بعد رسالة شفاء ، وبمجرد أن سمح وقته بعد عدة أيام ركب فى أول قطار للاسكندرية ، وما هى إلا ساعات حتى كان يجلس فى الصالون مع والدتها التى قصت عليه كل ما تعلمه من تغير سلوك إبنتها بمجرد إنتقالها إلى القاهرة ، وتغيرها المفاجئ مع أول أيام إقامتها هناك وعدم رغبتها فى العودة لأهلها ، وحتى عند عودتها بعدما أصبحت حبيسة غرفتها ولا تخرج منها أبدًا ، حتى أنها كل يوم كانت تنزل للمقابر لزيارة قبر والدها ، حتى تلك المرة الأخيرة، عندما وجدها بعض أولاد الحلال مشلولة تمامًا بجوار أحد المقابر ، وأنها لا تعلم بالتحديد ما الذى أصاب ابنتها التى اصبحت عاجزة حتى عن الحديث إلا بكلمات مبهمة.

كان أدهم على علم ببعض تلك الأحداث بالطبع ، لكنه لم يخبرها أبدًا عما حدث لها بالقاهرة أو ما كانت شفاء تقوله له هناك أو يوم رؤيتها عند صديقاتها فى تلك الليلة المشئومة .

إنتظر أدهم حتى أقبلت فاتن لتخبر والدتها أن شفاء قد إستقيظت وإستعدت لمقابلته ، فإستأذن والدتها فى الدخول عليها ، ولكن بمجرد دخوله غرفتها شعر وكأنه دخل لأحد المقابر ، فقد كان الشباك مغلق وعليه ستارة ثقيلة بُنية اللون ، وإضاءة مصباح الغرفة ضئيلة جدًا .

كانت الكآبة فى أوضح صورها فى كل ركن من أركان الغرفة المظلمة ، وعندما سأل أدهم فاتن عن سبب تلك الإضاءة، أخبرته أن شفاء تصرخ فى الإضاءةالعالية ، فنصح لها الأطباء بتقليلها إلى أقل حد ممكن.

تناول أدهم أحد الكراسي الخشبية وجلس بجوار مخدع شفاء وهو ينظر إلى عينيها التى كان يبدو منها أن لديها كلامًا كثيراً تود أن تخبره به..بينما كانت تنظر إليه فى إستنجاد وكأنها وجدت تلك القشة التى ستنقذها من الغرق ، وكأنه فعلاً القادر على تخليصها من مشكلاتها... مما جعلها تتلعثم وقد بدأت فى التهتهة فى الحديث ببطء شديد قائلة بتوسل:

- أدهم.. كنت أود ألا أُقحمك فى مشاكلى ، لكنك تعلم أنه ليس لدىّ غيرك الآن لأعتمد عليه و.....

قاطعها بإشارة من يده، فقد إستغرقت الجملة دقيقتين تقريبًا، فأخبرها ألا تتحدث بل تشير إليه فقط برأسها، ولكنها عادت للكلام المتعلثم مع الإشارة برأسها أيضًا..

- هل يأذيكِ يا شفاء..؟

بكت شفاء دون أن تتحكم فى دموعها :

- نعم يا أدهم ..

- هل هو معك دائمًا ..؟

- ليس الآن ، فقد تركنى منذ الأمس.

- وما الذى أستطيع فعله .. يمكنكِ إحضار بعضًا من الشيوخ لف....

قاطعته بإشارة من يدها قائلة بصعوبة وقد أخذت وقتًا طويلاً حتى إنتهت من جملتها:

- هناك شخصًا واحدًا فقط هو من وضعنى فى هذا الموقف ، عليك إيجاده وسؤاله عن شفاء ، كما أخبرتك من قبل يا أدهم ، فهذا الملعون هو فقط من يعلم كيف أخرج من تلك المأساة التى لا يبدو لها نهاية.. لقد حذرنى الساكن داخلى من إخبار أي شخص لنجدتى ، لكنى أعرف أنك ربما كنت الوحيد الذى لديه حرية حركة بعيدًا عن عائلتى ..لقد حاولت الوصول إلى غفران ولكنى فشلت فى ذلك.. بالله عليك .. أنت بإتصالاتك تستطيع إيجاده وسؤاله عن كيفية إنقاذى.

- أقسم لكِ يا شفاء أنى قد بحثت عنه فى كل شبر فى هذا الزقاق الملعون، فقد ذهبت إلى ذلك المكان الكئيب وسألت كل من وجدته فى الجوار، إلا أن السكان جميعًا قد أجمعوا على أن عم غفران هذا كان يسكن من عشرات السنين فى بيت أعلى دكانه، وأحيانًا كانوا يروه كل عدة سنوات يأتى إلى ذلك الدكان الضيق، ولكنه إن أتى لا يُكلم أحد ولا يقترب منه أحد، فقد أصبح غريب الأطوار، وفى الدكان دومًا كان هناك دائمًا نسناسًا إلى جواره .

أخبرونى أنه كان شخصًا طبيعيًا، لكن بعد وفاة زوجته حزنًا على إبنتهما التى إختفت، تغير الرجل وإعتزل الناس وسكن وحده فى بيته القديم لسنوات حتى هجر الزقاق بكامله، ولا يأتى إلا كل عدة أسابيع أو شهور لفتح دكانه عدة ساعات ثم يختفى تمامًا ... وهكذا..

حتى الهاتف الذى معه ليس باسمه ، بل باسم شخص آخر توفي منذ سنوات،

ولكنى أخبرت أحد أصدقائي بالشرطة ورجوته فى إيجاده ، ففوجئنا أن الرجل ليس لديه بطاقة من الأصل ، أو أى مستند يدل على وجوده حيًا.

- الرجل موجود ..الرجل موجود.. لا تعاملونى على أنى مُختلة.

بدأت فى الرعشة والإحتداد ، مما جعله يربت على كتفها فى حنان وهو يقول:

- إهدأى يا شفاء ، أنسيتى أنى كنت معك أثناء تأجيرك لتلك الشقة.

- نعم... والسيد علاء رآه أيضًا.

- لا لم يره ، فقد ذهبت لسؤاله ثانية ، وقد أقسم لى الرجل أنه لا يعلم من هو غفران هذا..

- بل هو من اتصل به ..ياربي ، لماذا الكل يدفعنى للجنون...؟

- إهدئى يا شفاء بالله عليكِ، فأنا هنا لمساعدتك وليس لإثارتك..

دخلت والدتها وهى تناول أدهم فنجان من القهوة والذى تقبله شاكرًا بينما كانت شفاء تفكر فى أمر آخر..

جلست أمها على حافة السرير وهى تنظر إلي ابنتها فى شفقة ، والتى كانت فى تلك اللحظة تمسك بهاتفها لتضغط على عدة حروف بصعوبة ، بينما شعر أدهم أن عليه الإنصراف بعدما رأي شفاء..

فإقترب منها هامسًا:

- لا تقلقي يا شفاء ، أنا لن أتركك ، وسوف أفعل كل شئ لأرى ابتسامتك مجددًا..

لم تهتم شفاء بما قاله ، فقد شعرت بثقل فى رأسها ولسانها دليل على حضور أحدهم فى الجوار ..صمتت تمامًا حتى ودعهم أدهم ، ووضعت رأسها على وسادتها وهى تتمنى أن يفهم أدهم معنى الرسالةالتى ستصله خلال دقائق.

كان قلب أدهم يُعتصر ألمًا على حال شفاء ، ولكنه لم يكن يدرى كيف يقدم لها المساعدة ، لكن على الرغم من ذلك فقد بدأ يتصاعد إليه شعور غريب جدًا ، وهو أن تلك هى آخر مرة يري شفاء فيها..

نظر مرة أخيرة إلى شرفتها المغلقة وتناول هاتفه المغلق ليفتحه ، فإذا به يدق برسالة آتية من شفاء ، لكنه لم يفهم منها أى شئ...

(السر عند رحمة وشفاء..اذهب إلى ذلك العنوان وإسألهم عن غفران، فهم شركائه)

وأسفل الجملة كان هناك عنوان تلك الفيلا الملعونة ...

***

الفصل السابع

الإنذار

***

كل شخص منا له دور محدد بالحياة مرسوم له حتى من قبل أن يولد، إنه يُكمل طريقًا بدأه الآخرون ليُسلمه لغيره، وماهى إلاأقدار تتلاقى ..

***

- أنا لا أفهم شيئًا مما تقول يا أستاذ.. عفوًا ما اسمك مرةأخرى؟

- أدهم يا سيدتى.

- لا أفهم شيئًا مما تقول يا أستاذ أدهم ..كل ما حدث هو أننا كنا فى زياره للمقابر لزوجى ،ثم وجدنا تلك الفتاة مغشيًا عليها بجوار إحدى المقابر وعندما.....

ظل أدهم يدور بعينيه فى المكان وهو يتساءل عما إذا كانت تلك السيدة التى أمامه تكذب أم لا ...؟، وكذلك ابنتها الجالسة أمامه دون أن تنطق..

هو نفسه لا يعلم ما الذى أتى به إلى هنا ، كل ما قام به هو أنه إنتهز فرصة وجوده فى الاسكندرية وذهب إلى العنوان الذى أرسلته له شفاء ، ليجلس فى صالة تلك الفيلا الكئيبة ،ويسألهم فقط عن مكان غفران ، مما أصاب السيدة بالدهشة فى أول الأمر ، وبعد أن دعته للدخول إلى الفيلا أخبرته بأنها لا تعرفه، وعندما أخبرها عن شفاء أنكرت كل شئ...

- هل أنت معى يا أستاذ أدهم...؟

- نعم.. نعم..لكن شفاء أخبرتنى بأن ابنتك كانت معها فى السكن فى القاهرة .

ضحكت العجوز وهى تشير إلى ابنتها التى بدا بالفعل أنها فى أواخر الثلاثينات وهى تقول:

- هذه ابنتى... هل تتصور أنها عادت عشرون عامًا تقريبًا لتسكن مع قريبتك يا أستاذ أدهم..؟

نظر أدهم إلى شفاء والذى كان يشعر أنها تتحاشي النظر إليه ، فقامت متحججة بعمل مشروب دافئ له ، بينما عادت العجوز إلى الحديث مجددًا:

- عندما جاء شقيقها إلى هنا رأى كل شئ، وشاهد كم كانت أخته مصابة تقريبًا بإنهيار عصبي ، وبعدما حاولنا الإتصال به بعد عدةأيام للإطمئنان عليها ، أخبرنا أنها لا زالت فى المشفي القريب من بيتهم ، وبعد شهر حاولت ابنتى الإتصال به مرة أخرى فأخبرها أنها تتلقي العلاج فى إحدى المصحات النفسية..وأنت إذا عقلت كل ما جئت لتسأل عنه ، لإكتشفت أنها فعلاً تبدو مريضة.

- ولكنها تقسم أن هذا السمسار غفران موجود ، وهو من أشار عليها بالسكن الملعون هذا ، وكل ما أصابها كان بسببه.

إحتدت رحمة وهي تتأفف غاضبة:

- قلت لك أنا لا أعلم من غفران هذا ..لما لا يكون كل ذلك من شطحات خيال قريبتك..؟

حاول أدهم التخفيف من حنق المرأة ، فأردف فى أدب:

- عفوًا يا سيدتى ،أنا هنا فقط فى محاولة منى لمساعدتها بأى شكل ، وحتى إن كان كلامها يبدو لى مستحيلاً، فإن قلبي يشعر أنها صادقة في شيءٍ ما ، وأرجو ألا تغضبي منى لذلك..

قاطعه صوت العجوز أم رحمة وهى تهبط على الدرج الخشبي مُستندة على عكازها الخشبى:

- ألم ننتهى من تلك القصة بعد يا رحمة...؟

قامت رحمة لمساعدةأمها وهى تُمسك يدها لتُجلسها على أقرب كرسي ، وقد لاحظ أدهم أنها تهمس فى أذنها بعدة كلمات ، قبل أن تعود للحديث بعدما جلست بجوار والدتها:

- أبدًا يا أمى،هذا الشاب الطيب جاء ليسألنا عن شئ ما يتعلق بأحد السماسرة وإن كنا نعرفه أم لا...؟

هتفت العجوز غاضبة :

- وما علاقة شفاء بالموضوع؟ ، ألم ننتهى بعد..؟

- إهدأى يا أمى ، شفاء ليس لها علاقة بالموضوع ،إهدأى ..

- أنا سمعته يسأل عنها.

إبتسمت رحمة لأدهم وهى تقول له بهمس:

- إن روح أمي في حفيدتها ، فلا تستطيع الإبتعاد عنها أبدًا.

ابتسم أدهم بدوره ،وقد شعر أن تلك المقابلة إنتهت ولن تُسفر عن شئ، فاعتذر بدوره ، لكن العجوز هتفت وهى تُشير إليه بعكازها:

- أخبرناك أننا لا نعلم من هو غفران هذا ، لا هو ولا حتى نسناسه.

ذُهل أدهم عندما سمع تلك الكلمة ، بينما نظرت رحمة إلى أمها فى غضب ولم ينقذها سوي شفاء التى دخلت وهى تحمل صينية عليها كوب من الشاى وهى تتطلع قائلة:

- إلى أين تذهب يا أستاذ أدهم ، يبدو أنها بدأت تمطر فى الخارج الآن.

- شكرًا لكِ أنسة شفاء ، فأنا مضطر للذهاب الآن ،فلم يتبق على ميعاد القطار إلا عدة ساعات قليلة .

إقتربت منه وهى تمد يدها بالصينية، فحملها منها ولكنه شعر أنها تناوله ورقة ما مُلصقة بيدها أسفلها ، فتناولها وهو ينظر إلى عينيها دليل على فهمه ، تناول الورقة سريعًا ووضعها فى كف يده واعتذر على إزعاجهم.

لم يرد عليه أحد فتناول مفاتيحه وهاتفه المحمول واتجه ناحية الباب ..كان

يريد أن يعود ليناول تلك العجوز الشمطاء لكمة قوية فى فكها وهو يسألها كيف تعرف قصة النسناس المُلازم لغفران وهو الذى لم يتحدث عنه أبدًا ، ولكنه يريد أدلة أكثر من ذلك على أن تلك الفيلا الملعونة لها يد كبير فى كل ما جري وسيجرى لشفاء.

خرج سريعًا وهو يُغلق الباب من خلفه وإنتظر حتى خرج من باب الفيلا الصدئ وتوارى عن الأنظار ليقرأ ما كتبته شفاء فى الورقة.

(قابلنى بعد ساعة من الآن على مقهى ريزورت فى آخر الشارع على اليسار)

لم يندهش أدهم مما طلبته شفاء ، فقد كان يشعر أن لديها كلام مهم تود أن تُخبره إياه وأن شكوكه فى محلها ، ولكنها تريد فقط أن تبتعد عن أمها وجدتها لمصارحته.. فذهب سريعًا إلى ذلك المقهى وظل مُنتظرًا ..

كانت الساعة تُشير إلى السادسة مساءًا وانتظر حتى السابعة والنصف دون أى جدوى ، حتى بدأت السماء فى إرسال بعض من إنذارتها قبل حلول العاصفة الممطرة ليلاً.. وقبل أن يحتسي كوبًا رابعًا من الشاي الساخن وجد شفاء وهى تشير إليه من سيارتها ليستقلها.. فقام بمحاسبة النادل وذهب سريعًا إلى السيارة التى انطلقت مُسرعة على الكورنيش ..

- هل حجزت موعد القطار الذى سيتحرك الآن....؟

- لا..

- هل ستعود بالقطار ...؟

- نعم..

- إذن ، سأقوم بتوصيلك إلى محطة سيدي جابر...؟

- أستاذة شفاء... بعد إذنك ،أنتِ لم تطلبي مقابلتى وأنا لم أنتظرك ساعتين كاملتين حتى تقومى بتوصيلي إلى محطة القطار ، أليس كذلك..؟

لم تهتم شفاء بما قاله ..نظرت إليه وهى لا زالت تسير بسيارتها إلى محطة القطار ، فحاول أن يتحدث مرةأخرى لكنها أشارت إليه بالصمت ، وهكذا ظل واجمًا حتى وقفت السيارة بالقرب من المحطة أخيرًا ، وهو يكاد أن ينفجر غيظًا من تلك العائلة المجنونة وفتح باب السيارة ، ولكنه قبل أن يهبط منها بادرته قائلة وهى تمسك كتفه قبل النزول:

- هل يهمك أمر شفاء حقًا...؟

فوجئ أدهم بالسؤال ، ولكنه عاد مرةأخرى إلى الكرسي جوارها قائلاً:

- بالطبع يهمنى أمرها وفوق مما تتخيلي وأريد مساعدتها بأي شكل.

- وهل لو أخبرتك أن الأمر كله سيكون وبالاً عليك إن تدخلت فى هذا الموضوع هل ستجازف من أجلها ..؟

- إذن فالموضوع حقيقى، وأنتِ كنتِ تلك الفتاة التى كانت تقيم معها..كيف ..؟، ولماذا ..؟ ،إذن شفاء ليست مجنونة.

- ليس هذا شأننا الآن ، أنا أسألك سؤال محدد ، هل ستجازف أم لا..؟

صمت أدهم برهة وهو ينظر إلى شفاء بغيظ قائلاً :

- بالطبع يا سيدتى ودون أدنى شك أو تردد ، فأنا فى الحقيقةأحب شفاء من كل قلبي وأود أن أساعدها بأى شكل ، ولو كان سيصيبنى أى شئ مقابل أن تعود مرةأخرى إلى حياتها الطبيعية، فأنا على أتم إستعداد للتضحية ب.....

قاطعته شفاء قائلة:

- أنا لم أخبرك أنك ستضحى من أجلها ، كل ما قلته لك إن تدخلت فى ذلك الموضوع ، فسيصيبك أكثر مما كنت تتخيل ، ولا أضمن لك شفائها هى الأخرى.

- لا يهم ، يكفى أن أكون قد حاولت من أجلها ، وقمت بعمل ما يمليه علىّ ضميرى.

ابتسمت شفاء فى سخرية وهى تنظر إليه ، ثم تنهدت وعادت إلى نظرتها الشاردة حيث اللامكان وهى تتمتم :

- أنت تذكرنى بشخص ما كان لديه تلك الحماسة ، كان يريد مساعدة فتاته هو الآخر..ويشهد الله أنه عمل كل ما لديه قبل أن .....

- ماذا..؟

- قبل أن يختفي.....

- نعم ..؟ ، ماذا تقصدين بأنه إختفي...؟

- إختفى ، لم تعلم عنه الفتاة أى شئ منذ عشر سنوات على الأقل ، رغم بحثها عنه فى كل مكان ، كل ما علمته بعد ذلك أنه هاجر بعيدًا عن اسكندرية ، تاركًا كل أسرته وعمله وحياته وكل شئ ..كل من حوله أقسموا أنه تحول إلى شخص آخر عدوانى ، وقد أصبح الجميع لا يطيقونه ..حاول الإنتحار أكثر من مرة وبعد فشله أقسم أنه لن يمكث فى البلاد ..

- وإختفي...؟!!!

- نعم..يبدو ذلك يا صغيري ، فكل من يهرب من تلك البلاد تحل عنه تلك اللعنة..

- لا أفهم شيئًا يا سيدتى ، ولمأفهم لما طلبتى مقابلتى..؟

- حسنًا..أنت من إخترت أن تضع قدميك فى تلك الدائرة الملعونة .. هذه فرصتك للرحيل دون أن تجبر نفسك على الإقتناع بما لايمكن لبشر عادى الإقتناع به.. تمهل وفكِر ، ما زال هناك خط للعودة حتى هذه اللحظة..

- لا يا سيدتى ، أنا لن أكون سببًا فى خذلانها مُجددًا.

- حسنًا...أنت من اخترت مصيرك ، وأنا بذلك أكون قد أرضيت جزءًا من

ضميري.. انصت الى جيدا ستذهب الآن وهذا الحديث لن تُخبر به أى أحد ، حتى شفاء نفسها ..مفهوم..؟

- مفهوم..

- أسفل الكرسي الجالس عليه ستجد كشكولاً بداخله كارت لمحل كاوتشوك فى إحدى قرى محافظة القليوبية على الطريق الزراعى.

مد أدهم يده متناولاً كشكولاً قديمًا فتحه فوجد كارت باسم محل كاوتشوك على طريق مصر اسكندرية الزراعى فتناوله وأخفاه جيدًا فى جيبه قائلاً:

- حسنًا ، وماذا بعد...؟

- ستذهب بعد صلاة الجمعة القادمةإلى هناك ، وأسال صاحب المحل عن الشيخ أبو الكرامات .

- فى الغد..؟

- هل اليوم الخميس..؟!!! ، حسنًا اذهب له غدًا ، إسأل عنه وقابله..

- وما شأن أبو الكرامات هذا بموضوع شفاء...؟

- أبو الكرامات هو غفران الذى تبحث عنه يا أدهم.

فتح أدهم عينيه على اتساعهما قائلاً:

- أبوالكرامات وشيخ وهو نفسه غفران الملعون..؟

- نعم ..قابله وإستعمل كل أنواع التهديد معه أو الترغيب ، لا أدرى ، المهم لا تتركه إلا بعد أن يقوم بحل تلك المشكلة التى ستظل إلى أبد الآبدين.

- لا أفهم شيئًا يا سيدتى..؟

- إفعل فقط ما أخبرتك به يا أدهم ، ولا تسألنى أية أسئلة أخرى.. ولا تخبره أبدًا عن كيفية معرفتك لمكانه أو أنك قابلتنى أو أى من أحداث اليوم ، لا مقابلتك

معنا ولا حديثى هذا ..لا أريد أى مكروه يصيبنى أو يصيب أهلى يا أدهم.. أفهمت..؟

- سأفعل ما تريدين ، أقسم لكِ، لن يعلم أحدًا بشئ .

- وخاصة هذا الملعون..وحافظ على نفسك منه ، فدخولك فى هذا الموضوع خطر عليك وقد أخبرتك بذلك..

- لكنكِ لم تخبرينى كيف عرفتِ مكانه ، وكيف أتصرف معه ..؟

- لا أدرى ، تلك مشكلتك ، المهم ألا تذكرنا أبدًا .. هذه شروطى ، وقد أخبرتك منذ البداية ، وإن كنت لا تستطيع فعليك بالإنسحاب من الآن..

- لا بالطبع ، لن أنسحب مهما كانت العواقب ، فليكن ما يكون ، لكنى لن أترك شفاء تتعذب على هذه الحالة ، أبدًا

ابتسمت شفاء فى سخرية قائلة:

- أقسم لكِ أنى لو فى مكانك لتركت كل شئ وعدت إلى منزلى ، واللعنة على الجميع.

نظر إليها أدهم ببرود قائلاً:

- هل تريدين قول شيئًا آخر يا سيدتى..؟

- لا ، فليكن الله فى عونك.. وإن حدث يومًا وقابلت شفاء مرة أخرى.. أبلغها أن كل ما حدث كان رغمًا عنى ، إنها التضحية للنفس يا أدهم..لا أحد مكان أحد، ولا أحد يشعر بنكبة غيره إلا بعد أن يتذوق مرارة الألم ..ربما ترانى أسوأ إمرأة فى الدنيا ، لكنك لو دارت بك الأيام وكنت في موضعي ورأيت ما رأيت وشعرت بكل ما شعرت به ل.....

قاطعها أدهم وهو يهبط من السيارة وينظر إليها مودعًا قائلاً:

- حمدًا لله أنك لستِ فى موضعى ولا أنا فى موضعك يا أستاذة شفاء.

أدارت شفاء السيارة بعدما ابتسمت له بتهكم، بينما نظر هو إلى ساعته التى أشارت أنه لم يتبق سوي سبع دقائق على آخر قطار للقاهرة فى ذلك اليوم ..

بعد قليل كان يركب فى القطار السريع المتجه إلى القاهرة وفي يده الكارت الخاص بالمحل وهو يعيد كل أحداث اليوم فى ذهنه مرةأخرى.

***

كانت الساعة تقارب الثانية صباحًا عندما وصل أدهم أخيرًا إلى منزله ..وعلى غير العادة كانت الأنوار كلها مُطفأة فى مدخل العمارة ..لكنه لم يرتعب أبدًا من الظلام ، كل ما فعله هو أن أشعل ضوء هاتفه صاعدًا الخمسة أدوار ببطء..لكنه كلما صعد شعر بأنفاسه تتصاعد وقلبه يدق دونما سبب وثقل فى قدميه وكأنها مُقيدة بأثقال من رمال..

رفع رأسه فجأةإلى الطابق الأخير حيث كانت توجد شقتهم لكنه لمح ظل تلك المرأة القاطنة فى الدور الرابع وهى تنظر إليه ، لكنها إختفت بمجرد لمحتها عيناه.

وقف أدهم مذهولاً، فقد ماتت تلك السيدة مذبوحة منذ عشر سنوات على الأقل فى تلك الشقة بعد أن قام بإرتكاب الجريمةأحد عمال توصيل الطلبات بعد علمه بإقامتها وحدها..وقد حضر ابنها بعد ذلك وأغلق الشقة منذ ذلك الحين..

عاد أدهم إلى الوراء وبدأ فى ترتيل آيات القران الكريم وهو يوهم نفسه أنه ربما تهيأ له ذلك من إرهاقه الجسدى ، ولكنه عندما وصل إلى الطابق الثالث شعر أن هناك كيسًا مُلقى على آخر درجة فى السلم فوقف أمامها ، وقبل أن يجتازها شعر أن فى الكيس شيئًا يتحرك يحاول الخروج من الكيس المغلق..

توتر أدهم لشعوره ذلك ، فربما يكون حيوان ما محبوس من أحد الأطفال فى العمارة فإقترب بضوء هاتفه وقد وجهه إلى فتحة الكيس التى فتحها ، لكنه جفل

فجأة وكاد أن يسقط على بقية الدرجات عندما خرج من الكيس شيئًا ما بحجم القط ، أسود بشعر كثيف جدًا يخرج من الكيس مُسرعًا بعدما فكه..

لكنه لم يكن قِطاً أبدًا ، لقد كان جسد صغير لطفل لا يزيد عن سنة فقط يجري على قدمين ممتلئتين بالشعر بذنب طويل وهو ينظر إلى أدهم نظرة لن ينساها أبدًا وقبل أن يهرب أدهم لأسفل صعد المشوه إلى أعلى دون أن يعلم أدهم إلى أين..؟، لم يعلم هل يكمل صعوده إلى شقته أم يهبط مرةأخرى إلى أسفل مُنتظرًا سطوع ضوء الشمس ، ويقضي بقية الساعات المتبقية على آذان الفجر ..لكنه لم يتصور فى يوم من الأيام أن يشعر بالخوف لهذه الدرجة ..وخوفًا من أن يراه أحدًا نائمًا فى سيارته من الجيران أوخوفًا من شقيقه الأصغر ذو التسع سنوات ، فإذا علم بما حدث له فسيظل مضحكة لما تبقى له من عمر..

استمر فى ترديد آيات القران الكريم ، وصعد ببطء درجة درجة حتى وصل أخيراً إلى شقته التى دخلها مُسرعًا إلى غرفته ..وجد أمه فى الصالة تنتظر حضوره حتى تُحضّر له طعام العشاء ، وعندما لمحت وجهه مُصفرًا آثر ألا يخبرها بأى شئ.. كل ما ذكره أنه كان فى زيارة لأهل شفاء فى الاسكندرية للإطمئنان عليهم وطلب منهاأن توقظه فى التاسعة صباحًا لأنه إن نام فلن توقظه كل منبهات الأرض، فقد عزم على التوجه لمقابلة غفران وأداء صلاة الجمعة فى أحد المساجد بالقرية..

لم ينم ليلتها أبدًا على الرغم من التعب الجسدى الذى مر عليه طوال اليوم ، وعندما شعر بالنعاس أخيراً فى تمام الثامنة صباحًا شعر بوالده يدخل سريعًا إلى غرفته وهو يخبره هاتفًا:

- أدهم.. شقيقك لم يحضر حتى الآن ، وهاتفه يدق دون مجيب.

قام أدهم بنصف جسده من السرير وهو ينظر إلى أبيه بدهشة ..

- لم يحضر من أين يا والدى..؟

- من درسه الأسبوعى يا أدهم ، هيا سننزل سويًا للبحث عنه..استر يارب.

نظر أدهم حوله فقد كان الظلام يحل على المكان بالخارج كما بدا من خلال نافذة غرفته ، فأمسك ساعته فإذا هى التاسعة مساءًا.. فقفز من السرير مرتديًا ملابسه ، وعندما دخلت أمه فجأة و هى تبكي سألها بغضب:

- لماذا لم توقظينى يا أمى ..؟، ألم أُخبرك أن تو.....

قاطعته أمه صائحة:

- وهل هذا وقته ..؟أنسيت أيها الغبي ..؟، لقد أيقظتك قبل صلاة الجمعة ونزلت أنت مصطحبًا معاذ شقيقك لصلاة الجمعة قبل أن يذهب بعدها إلى الدرس، وأتيت من بعد الصلاة، وقد أُغشى عليك ، وظللت نائمًا ولم تجيبنى أبدًا طوال النهار ، ونكاد نموت من القلق بسبب شقيقك الذى لم يأت حتى الآن ، وقد ذهب والدك للمدرس الذى أخبره أنه لم يراه اليوم ، أين تركته يا أدهم بالله عليك..أخبرنى..؟

وقف أدهم مذهولاً من حديث أمه ، فهو لا يذكرأى شئ مما تقوله ، كل ما يذكره فقط هو نومه فى الثامنة صباحًا رغم عزمه على السفر لمقابلة غفران اليوم بأى شكل، لكنه لم يتذكر إستيقاظه أو حتى نزوله لصلاة الجمعة ، كان كل ما يشعر به هو صداع يكاد يشق رأسه نصفين ، وكدمة على جبهته لا يتذكر متى حدثت له وكانت السبب فى ذلك الصداع القاتل ، حاول لمسها لكنها بدأت تؤلمه بشدة.

دخل والده صارخًا وقد قطع حبل أفكاره:

- ألم ترتدى ملابسك بعد ...؟، هيا بالله عليك..

نظر أدهم إلى أمه مُتلعثمًا وهو يقول فى توتر ملحوظ:

- تركته فى الشارع من بعد الصلاة يا أمى ، أخبرنى كما أخبرتنى أنه ذاهب إلى درسه ولا أعلم عنه أى شئ.

هبطا أدهم ووالده سريعًا ، وطوال الطريق للمستشفيات القريبة وأقسام الشرطة الذى دارا عليها طوال الليل كان والد أدهم يبكى بجانبه وهو يتصل برقم ابنه الذى لا يجيب أبدًا ، بينما ظل أدهم واجمًا من أحداث اليوم ، فكيف لم يتذكر أى شئ ومر اليوم وكأنه كان منومًا مغناطيسيًا ، وخصوصًا أن امه تقول أن معاذ كان بصحبته ..وتركه من بعد الصلاة ليذهب إلى درسه لكنه لم يعد.

بينما هو عاد واستمر فى النوم حتى ايقظته..ولكن كيف..؟ ، كاد أن يُجن ولا يدرى أبدًا هل كان غفران العجوز يلعب فى عقله أم ما الذى يحدث أم أن هذا كله مجرد إنذار لتحذيره من إكمال ما كان ينتويه..؟

وصلا إلى المنزل فاعتذر أدهم بعدم قدرته على الصعود ومقابله أمه فى هذا الحالة، وأخبر والده أنه سيمر على منازل كل أصحابه لسؤالهم ، وسيسأل عليه فى المدرسة فى الصباح والذى سيحل بعد أربع ساعات فقط ، وأخبره أنه لن يهدأ له بال حتى يعلم أين ذهب معاذ..؟

كان هناك وسواسًا فى داخله يُشعره أنه لن يري شقيقه أبدًا ولم ولن يعلم أبدًا هل كان سببًا فى إختفائه أم أن الموضوع له دخل بما رآه ليلة أمس أثناء صعوده على السلم..كان من داخله يريد مصارحه والديه بكل شئ، لكن الخوف من عدم تصديقه كان هو الغالب فإقتصر على الصمت والبحث فى كل مكان ..

ومرت ساعة تلو الساعة، وللأسف مر النهار كله ولا من أثر لمعاذ لا فى المدرسة ولا عند أصحابه ولا فى المستشفيات ولا أى مكان كان من المتوقع أن يتواجد فيه ..أما والديه فلم يتوقفا عن البكاء لحظة، بينما كان أدهم يواسيهم بكل ما يملك فى حين كان هو أول من يحتاج إلى ا لمواساة..

دخل غرفته ليحاول تذكر أى شئ، ولكن نحيب النسوة اللاتى جئن لمواساة أمه كاد أن يصيبه بالجنون والذى شعر بالفعل أنه فى طريقه إليه.

***

ثلاثة أيام كاملة وإرتدى البيت كله السواد بعدما فقد الجميع الأمل فى العثور على معاذ أو حتى الحصول على جثته ، كأن الأرض قد ابتلعته ، فلم يكن له أى أثر ..وقد أصبح منزلهم لا يخلوا من الأقرباء أو المواسيين لأمه التى أصبحت لا تدرى أى شئ من حولها ، ووالده الذى ترك عمله وأصبح يدعو الله ليل نهار للعثور ولو حتى على جثة ابنه..

أما أدهم فقد ترك عمله وظل يبحث فى كل مكان عن شقيقه الوحيد دون أى جدوى وفى وسط انشغاله تذكر غفران العجوز وشفاء التى نسى حتى الإطمئنان عليها أو إخبارها بما حدث فى لقائه مع أهل شفاء الأخرى فى فيلتهم الملعونة فى الاسكندرية..

خطر فى باله فكرة مجنونة أراد تنفيذها على الفور ، فنظر فى ساعته التى كانت تقارب الرابعة عصرًا وقد فكر فى الذهاب على غفران فى تلك القرية .. لم يُضع دقيقة واحدة حتى كان مستقلاً لسيارته العجوز فى طريقه إليه ..كانت نصيحة شفاء أن يذهب إليه يوم الجمعة فقط ، لكن ما يحدث له الآن لن يجعله يستطيع الإنتظار حتى الجمعة القادمة، ولم يمر عليه الكثير من الوقت حتى كان قد وصل إلى تلك القرية ..

لم يضع وقتًا وظل يسأل عن محل الكاوتشوك ، لكن أهل القريةأخبروه أن المحل أُغلق منذ عام تقريبًا وذلك لوفاة صاحبه..

أُسقط فى يده ، ولكنه ظل يسأل المارة عن منزل الشيخ أبو الكرامات ، لكن لم يجيبه أحد ، بل كان الجميع يبدون وكأنهم يتجنبون الإجابة عن ذلك السؤال ،

حتى تعب وشعر أنه لا أحد فى تلك القرية المجنونة سيدله على شئ..حتى أخبره أحد المارة على مضض أن منزله يقع فى آخر القرية بجوار مقابر الصدقة.

ترك سيارته بعيدًا عن تلك الحارات الضيقة ، وظل يسأل أخيرًا حتى اهتدى إلى المكان المنعزل..كان منزله عبارة عن طابقين ويقع بمفرده بالقرب من عدة مقابر تراصت بجوار بعضها فى مشهد مُقبض خاصةً بسبب تلك الإضاءة الخافتة التى تصدر من مصباح قديم كان قد وضعه الملعون على باب بيته ، فلم يقدر على إزاحة الظلام الذى كان قد بدأ فى الحلول على المكان كله ، مما أضفي جوًا من الرعب الذى تسلل إلى قلب أدهم الذى كان فى تلك الأثناء يضع خنجرًا صغيرًا فى جيبه تحسبًا لأى خطر من العجوز.

قرع أدهم جرس الباب عدة مرات ، ولكن دون مجيب، وظل على هذه الحالة قرابة الخمسة عشر دقيقة دون جدوي ، حتى أنه أمسك حجرًا وألقي به على زجاج نافذة الطابق العلوي لمجرد لفت نظر العجوز إن كان نائمًا..

وأثناء إنتظاره لمح رجلاً يُغلق حانوته على بُعد حوالى مائتى متر ، فذهب مُسرعًا إليه قبل أن يُغلق محله ليسأله عن غفران ، إلا أن العجوز نظر إليه بضيق ولم يُجب..كان أدهم على وشك الإنفجار من سوء معاملةأهل القرية معه ، فأمسك الرجل من يده مُكررًا سؤاله بغضب تلك المرة صارخًا:

- سألتك هل هذا منزل الشيخ أبو الكرامات أم لا...؟ ، لماذا كلما سألت أحدًا فى قريتكم الملعونة تلك ينظر إلى شذرًا ولا يتحدث..؟

جذب الرجل يده بشدة من يد أدهم دافعًا يده بشدة وهو يقول بغضب:

- أبو الكرامات ..؟ الازلتم تسمون ذلك الملعون.. الشيخ أبو الكرامات...؟، اللعنة..ألن يترك ذلك الرجل أعمال السحر أبدًا ..؟، منذ عدة سنوات كان قد أقسم للكل أنه بعد كل البعد عن تلك الأفاعيل السوداء ، ولكنى أرى أنه لا زال لديه

زبائن مثلك.. وأنت.. أراك رجلاً مثقفًا، لماذا تلجأ إلى إغضاب ربك والإستعانة بشيطان الإنس ذلك.

تأفف أدهم من رد الرجل ، لكنه خفض من صوته وتحدث بهدوء:

- يا سيدى بالله عليك لا تُصدر أحكامًا قبل أن تعرف أى شئ، فقد أتيت له من القاهرة فى مهمة محددة، فقط علموا مكان إبنته المختفية وعليه أن يحضر لمقابلتها.

برقت تلك الفكرة فى ذهن أدهم على الفور ، حتى لمجرد تحسين صورته أمام الرجل الغريب وحتى إن كان على علم بأى شئ فقد يستطيع إخباره به ..وهذا ما حدث بالفعل، فقد وجم الرجل لحظة واضعًا يده على رأسه وكأنه تذكر أمرًا ما قائلاً بدهشة:

- إبنته..؟، يااااه... لقد نسيناها يا ولدى، فنحن لم نرها منذ عشرون عامًا على الأقل، وقد ظننا أنها توفت نتيجة غضب الله عليه، لكنه كان يُقسم أنها اختفت فجأة.. إلا أن كثيرًا من أهل القرية لم يتعاطفوا معه ، وظننا فى بعض الأحيان أنه تم قتلها من أحدهم..

- حسنًا أعذرنى على طريقتى معك فى الحديث يا سيدى ، لكن أخبرنى بالله عليك ، هل هو موجود بالداخل.؟

- هو لا يبرح منزله أبدًا فى الأوقات العادية.

- لكنى دققت هذا الجرس عدة مرات ولكن دون جدوى .

- هو لا يخرج إلا ليلاً ، ولن يفتح لك، عليك إنتظاره أثناء خروجه وستقابله، فهو يخاف من رؤية الشمس من شدة غضب الله عليه..

- يخاف من رؤية الشمس..!!!! ، حسنًا..ومتى يخرج إذن ..؟

نظر الرجل إلى ساعته وأجابه ضاحكًا..

- فى صلاة العشاء.

اندهش أدهم بدوره قائلاً :

- صلاة العشاء..؟!!، هل يخرج هذا الملعون للصلاة..؟

- نحن لا نعلم بما يدور بقلبه يا ولدى ، فعلى الرغم من عيوبه فالله أعلم هل فعلاً تاب الرجل بعدما أعلن توبته أمام الجميع ، أم ما زال يمارس طقوسه الملعونة فى السر ..؟، فالحق يُقال الرجل لا تفوته صلاة فى هذا الجامع القريب من المقابر .

وأشار الرجل إلى جامع لم ينتبه لوجوده أدهم بسبب الظلام الدامس فى المكان والرجل يردف:

- يا ولدى ربك يقول "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" ومن يعلم..؟، فربما كان الرجل أقرب إلى الله منا جميعًا ، فهو يُحسن خاتمته إن صدق.

نظر أدهم إلى الرجل الذى يناقض نفسه دون أن يتحدث ، فشكر الرجل الذى أصر على ذهابه معه لتناول الشاى الساخن فى هذا البرد ، لكن أدهم اعتذر وتحجج بضرورة مقابلة الشيخ أبو الكرامات قبل أن يعود إلى القاهرة فورًا..

عاد أدهم للجلوس بالقرب من المقابر والمنزل ، وقد قاده التفكير مرةأخرى فى معاذ ومصيره المجهول ..

ولكنه أثناء جلوسه شعر بصوت مثل صوت شقيقه يصيح عليه .. كان من داخله يعلم أن الصوت كاذب ، وما هى إلا مجرد تهيؤات ، لكنه قام مُسرعًا نحو الصوت رغمًا عنه كالمسحور ، وكلما إقترب من الصوت سمع اسمه مرة أخرى ، مرة من يمينه ومرة من يساره ، ولم يشعر أدهم إلا وهو داخل المقابر ..

وأخيراً وجد الطفل الذى ينادى عليه يجلس بالقرب من إحدى المقابر مُرتديًا القميص الخاص بمعاذ ، فسلط ضوء هاتفه ناحيته ، إلا أن الطفل هرب ، لكنه كان صورة طبق الأصل من شقيقه ، فجري وراءه أدهم فوجده يطل برأسه من أحد المقابر وهو يمد يده لأدهم ويضحك قائلاً:

- اقترب ..هيا لماذا تخاف..؟، ألم نتفق على اللعب سويًا..؟هل تخاف يا شقيقى..؟، هيا ادخل ادخل .. ألم تصبح رجلاً بعد..؟، هل هناك رجلاً يخاف..؟

ثم نظر إلى شيئًا ما خلف أدهم وهو يشير إليه بعلامة التعجب ويكرر جملته مرةأخرى:

- هل رأيت أنت من قبل رجلاً يخاف يا سيدى..؟

قالها وأطلق الطفل ضحكة مرعبة ، نظر أدهم خلفه برعب عندما شعر أنهما ليسا الوحيدان فى هذا المكان ، فوجد ظلاً لشئ ما غير محدد الملامح نهائيًا ، بل ظلا ممدودًا وكأنه يجلس على أحد المقابر خلف أدهم ، الذى إقترب مذعورًا ناحية شقيقه لكنه كان كما المسحور ، بينما كان معاذ لا يزال يكرر جملته ،

لوهلة شعر أدهم أنه سمع تلك الجملة فى وقت ما ، ولكنه لا يدرى متى أو أين..؟، ومد يده بتلقائية نحو شقيقه معاذ وهو يكرر ما قاله معاذ منذ دقيقة وكأنه حفظه عن ظهر قلب:

- اقترب ..هيا لماذا تخاف ..؟ ، ألم نتفق على اللعب سويًا ..؟ ،هل تخاف يا شقيقى ..؟، هيا ، ادخل ادخل .. ألم تصبح رجلاً بعد..؟ ، هل هناك رجلاً يخاف..؟

وبمجرد أن أمسك معاذ بيد أدهم جذبه بشدةإلى داخل المقبرة ، وقتها لمح تلك العيون البيضاء لدى شقيقه ووجهه الأزرق ، وكأنها جثة معاذ التى تُحدثه ، كما لاحظ نبوت قرنين صغيرين على رأسه ، لكنه لم ينتبه إلى كل ذلك إذ دفعه إلى الداخل حيث الظلام الحالك والرائحة العفنة..

و بعد أن أصبح أدهم بداخلها سمع صوت باب المقبرة يُقفل من الخارج بذلك الصوت المعدنى المرعب .. إلتفت أدهم ناحية باب الخروج ، ولكنه لم يلمح أى شئ إلا الظلام الدامس .. بحث مُسرعًا عن هاتفه فلم يجده ، حاول أدهم الصراخ وقبل أن يصرخ دوى صوت هائل بداخل أذنيه.

الله اكبر .. الله اكبر ..

فتح أدهم عينيه على آخرهما فإذا هو لا زال جالسًا على تلك الصخرة المطلة على بيت غفران العجوز ، ولولا آذان العشاء لكان قد استمر بداخل ذلك الكابوس الملعون ، وبعد أن انتهى آذان العشاء ، تنامى إلى أذنيه صرير الباب الحديدى الخاص بغفران ، وأخيراً لمح الرجل يخرج إلى الجامع..!!!

اندهش أدهم من سلوك الرجل الذى لا يخرج إلا للصلوات وكيف ذلك..؟، وهو الذى كان سببًا فى شلل حبيبته الوحيدة وأخريات من قبلها والله أعلم كم من ضحايا ذلك المخبول..سار يحدث نفسه حتى دخل الجامع من خلفه:

- ياربى ، كيف يكون الرجل شيطانًا كما علمت عنه ويذهب ليؤدى فريضة الله وفى المسجد ..؟

توضأ الرجل ثم صلى العشاء ثم النوافل ثم الشفع فالوتر ، وكل ذلك وأدهم يود أن يحطم رأسه حتى ولو بداخل الجامع..حتى فرغ أخيراً وأمسك مصحفًا وبدأ فى القراءة منه ، لكن أدهم كان متململاً، فقد كان عليه العودةإلى القاهرة ، فإقترب منه ووقف إلى جواره ونادى عليه غاضبًا:

- عم غفران.

إلتفت الرجل فى هدوء ، وقبل أن يجيب أدهم نظر إليه عدة ثوان قبل أن يردف بعد تنهيدة طويلة قائلاً:

- يااااااااااااه يا ولدى .. أين أنت طوال هذه المدة ، لقد كنت فى انتظارك.

اندهش أدهم من طريقة مقابلة العجوز له ، فهدأ قليلاً ليجيبه :

- تنتظرنى..؟!!، أتعلم من أنا أصلاً..؟

- بالطبع.. فأنا أعلم أنك قد أتيت إلىّ من طرف شفاء..

تلعثم أدهم بوضوح مُردفًا:

- شفاء..؟!!، أى شفاء تقصد يا عم غفران..؟

ضحك العجوز بإبتسامة خبيثة قائلاً:

- شفاء يا ولدى، أيوجد غيرها..؟ ،أنسيت أنى رأيتك مع شفاء أثناء تسلمها لسكنها فى القاهرة..؟

تنهد أدهم فى ارتياح ، فهو لا يريده أن يعلم أن شفاء الأخرى هى من أرسلته، فأردف فى غضب بعد أن جلس قبالته:

- حسنًا جدًا ، لقد وفرت علىّ نصف ما كان علىّ أن أقوله لك يا عم غفران..هل تعلم الآن أين شفاء..؟هل تعلم كيف ألقيت بها فى تلك النهاية السوداء..؟،هل تلك الأفعال التى تقوم بها والتى قضت على مستقبلها وجعلتها كسيحة ما تبقي لها من عمرها ، هل ذلك يرضى الله الذى أنت فى بيته الآن..؟ إن ما أعرفها هى حالة وحيدة هى شفاء ، والله يعلم كم شفاء فى حياتك قضيت عليها أيها العجوز الخرف..

وضع العجوز المصحف فى مكتبته الخشبية إلى جواره وأمسك عكازه الخشبي وبدأ يتحدث بصوت متهدج أمام أدهم قائلاً:

- أنصت إلىّ يا ولدى ، إن الأمر ليس بالصورة التى تراها من بعيد .. أنا بالفعل لا أدرى ما أقوله لك ..أو حتى ما هومصرح لى أن أخبرك به ، لكنى سأقول لك شيئًا واحدًا يا أدهم ...لقد فُرض علينا جميعًا عمل أشياء لا قِبَل لنا بها .. فُرضت علينا يا ولدى ، ونحن فقط مجرد أدوات.

- لا تعيش دور الواعظ يا عم غفران، فأنت تعلم أنك قد آذيت الفتاة ..أتعلم أنها شُلت الآن، وتعلم أن ....

قاطعه غفران بإشارة من يده:

- أنا لا أعظ ولا أحاول إثبات أنى تقي، كل ما هنالك أنه مفروض عليّ القيام بذلك.. فأنا أعلم أنها قد أخبرتك وأعلم أنك ستأتى وأعلم أيضًا أنه مهما فعلنا فليس بأيدينا أى شئ.. ولا أنت فى يدك أى شئ، ولو كنت مكانك لاعتزلت الجميع فورًا ..وليكن الله بعونك ..لقد دخلت أنت تلك الدائرة السوداء دون أن تدرى بمجرد زيارتها أيها الساذج ... أنت تشعر أنه يمكنك الإفلات فى أى وقت ، لكنك لا تشعر أن القيد الذى فى قدمك الآن سيهبط بك إلى أسفل سافلين.. اهرب خارج البلاد يا ولدى وتذكر كلمتى تلك ..اهرب ..انس كل شئ حتى أهلك ، اهرب..اما شفاء سأذهب إليها فى القريب ، وسأحاول أن أشرح لها ما حدث، وكيف ستخرج من هذا المأزق.

توتر أدهم بشكل ملحوظ عندما حدثه أنه بداخل تلك الدائرة الملعونة فأردف:

- لا أفهمك يا عم غفران ، ما الذى تقصده أنى دخلت الدائرة بمجرد زيارتها..؟ ، من تقصد..؟

وقبل أن يتحدث غفران اقترب منهم خادم الجامع طالبًا منهم الخروج من الجامع لإغلاقه وهو ينظر إليهم شذرًا، وبالطبع كان أدهم يعرف السبب..

خرجا من الجامع وقد إستند الرجل على عكازه ، وهو يتحرك فى هدوء ، فسار معه أدهم وبدأ بإخباره بما هو مسموح له أن يخبره به ، اقتربا كثيراً من منزله وجلسا على أحد المقاعد الحجرية هناك وبدأ فى الحديث بوهن :

- أنت تعلم ما الذى أصابك وسيصيبك ، إن حبك لشفاء سيصيبك بأضرار لم تكن تتخيلها فى يوم من الأيام ..هى أصبحت ملكًا له يا ولدى ، ولا تقاطعنى أو

تسألنى أين ومتى وكيف ولماذا.. هو لن يسمح لأى أحد بالإقتراب منها الآن ، ولن يسمح لأى أحد بمساعدتها غيره .. وبدخولك فى تلك الدائرة قد أثرت غضبه ، كان الله فى عونك ..عليك التضحية الان إما بحبك أو بما تبقي لك من أهل أو أحبة أو عالم خاص بك..

قفز أدهم من مقعده الحجرى صائحًا على غفران:

- ألف لعنة عليك أيها العجوز... إذن كل ما أصابنى هو بمساعدتك له أيها الحقير..لعنة الله عليك أيها الشيطان ..لولاك ما كان سيصل إلى ما وصل إليه لكل ضحاياه..لعنة الله عليك.. أين أخى عليك اللعنة، أخبرنى وإلا قتلتك هنا الآن.

- أنا لست شيطانًا يا ولدى .. ستعلم كل شئ فى حينه ..أنا لا دخل لى بشقيقك ولا أعلم ما الذى تقصده .. أنصت إلىّ...أنت لا تفهم أى شئ، أنت مجبر فى وقت ما على أن تفعل ما لا يمكن أن تفعله فى قواك العقلية ..فى وقت ما أنت مجبر أن تصبح مأمورًا بما هو يفكر فى القيام به..هو سيجبرك على ما لم تكن تتخيل القيام به يا ولدي.

- لن يستطيع أى شيطان أيًا كان أن يدخل عقلى كما دخل عقلك أو يأمرنى لأصبح من أتباعه مثلك.

ضحك العجوز بسخرية حتى دمعت عيناه قائلاً :

- أنت غبى يا ولدى للأسف..يا ولدى إن انتقامه معك أشد مما فعله معنا جميعًا ،أتعلم لماذا..؟ ، لأنها تحبك..اهرب يا ولدى بالله عليك ، وتذكر كلمتى تلك.

- لن أهرب أيها الشيطان .

- حسنًا ، سأسرد عليك قصة قصيرة ، لك أن تصدقها أو لا..فى بداية حياتى منذ عشرات وعشرات السنوات كنت والعياذ بالله من أمهرالناس فى إستخدام الأعمال وفك الرصد والأعمال السفلية.. ذاع إسمى فى قريتى وفى كل القرى المجاورة

..لعبت على الوهم يا ولدى ..الناس بسطاء بدأوا فى تصديقى وآمنوا بكل ما أقوم به.. كنت أعالج بالقرآن.. كنت أشفي المرضي..كنت أكتشف الدفائن والكنوز.. حتى أتى ذلك اليوم الأسود الذى قررت فيه أن أدخل عالم الجن حرفيًا.. فأحضرت كل كتب السحر العلوية والسفلية التى أعلمها وما لا أعلمها ، وبدأت فى تعلم التعاويذ والطلاسم السحرية ، وللأسف كانت كُفر والعياذ بالله، وبالفعل إستعنت بمن حضر وبدأ الأمر يتطور،كنت أقوم بعمل عهود مع الجن لاستخراج الدفائن وفك الأعمال السفلية .. كنت هنا فى مقام نبى.. أترى هذه الساحة الواسعة التى تراها أمام منزلى..؟، كانت تمتلئ كل يوم جمعة بالنساء والرجال والأطفال .. كلٌ يأتى لنيل البركات والشفاء من الأمراض وتيسير الزواج والحمل ، وكل ما تتخيله من تلك الأفعال السوداء وكيف لا..؟، وأنا معبود هذه القرية والعياذ بالله..أطلق الجميع علىّ الشيخ أبوالكرامات..كنت أستعين بالجن فى تيسير كل تلك الأمور والتسلط على قرين الشخص الذى أمامى فأعلم كل ما يقوم به ..ياولدى فى القرى البسيطة يكون الإعتقاد النفسى له الدور الأكبر من الحالات المرضية، لذلك كان الشفاء يتم بمجرد وضع يدى وإيهامهم بأنى أتحدث بطقوس سحرية .. فعلت كل ما تتخيله ولا يمكن أن تتخيله.. كنت أنبش القبور وأضع السحر فى فم الموتى ، كنت أبقر بطون الجثث لاستخراج أمعاء طفل مثلاً أو أم لا زالت حامل وماتت هى وابنها.. إله..كنت إله بالنسبة لهم ..

أصبحت بإشارة من يدى أتحكم فى مصائر الناس وعقولهم .. كسبت ما لايمكنك أن تتخيله وقتها، شعرت أننى قد وصلت للقمة .. ولكن فى داخلى كنت أعلم أن الحساب قادم لا محالة، وبالفعل كان علىّ أن أدفع ثمن أخطائي بمجرد حضوره..

- حضور من..؟

- لا أستطيع التحدث حتى عن اسمه ، ولكن منذ ذلك الوقت وبدأ كل شئ فى الإنهيار من حولى ..دفعت كل ما تحصّلت عليه فى علاج إبنتى و.....

تذكر أدهم موضوع ابنته فباغته بالسؤال عنها :

- أين إبنتك الآن يا عم غفران..؟

توتر الرجل فجأة لمجرد ذكر إبنته وبدا كأنه ندم على قول ذلك ، ورفع رأسه تجاه النافذة المطلة عليهم وهو يلمح تلك الستارة البيضاء تتحرك فهب واقفًا من أمام تلك المصطبة الرخامية قائلاً بغضب:

- إلى هنا ولن أستطيع البوح أكثر.. غير مسموح لى بإخبارك بأى شئ.. إذهب إلى شفاء ولتخبرها أنى فى طريقي إليها، وسأصل إليها بناء على العهد، أما أنت فإعذرنى، لا مكان لوجودك بيننا .. لكل منا دوره يا ولدى ، ودورك قد إنتهى ، فكل شخص منا له دور محدد بالحياة مرسوم له حتى من قبل أن يولد،إنه يُكمل طريقًا بدأه الآخرون ليُسلمه لغيره، وماهى إلاأقدار تتلاقى ..

- إنتظر.. وما يضمن لى أنك لن تختفي مرة أخرى كما إختفيت من قبل..؟

- لا شئ سيضمن لك .. هى فقط تحتاج إلىّ كما أحتاج إليها، كان الله فى عونى وعونها على ما قُدر علينا، فى القريب سأحصل على إذن وسأقابلها وسترى.. ليست المشكلة الآن فينا نحن ، المشكلة فيك أنت يا ولدى..

قاطعه أدهم مندهشًا:

- أنا..؟!!! ، ما الذي سيحدث لي ..؟

- اهرب يا ولدى ، اترك البلاد وأهلك وشفاء وعالمك واهرب..تلك نصيحتى الأخيرة واعلم أنى سأُلام عليها..اهرب وإلا.....

- سأتركك الآن يا عم غفران ، وزيارتى تلك لن تكون الأخيرة ، وسأذهب إلى شفاء لأخبرها أنى قابلتك وأنك ستقوم بزيارتها فى القريب ، لكن أقسم بالله إن لم يحدث ذلك فسوف...

قاطعه العجوز بأن دخل إلى منزله وأغلق الباب بشدة خلفه بعد أن صاح فى وجه أدهم بصوت لا يتناسب أبدًا مع سنه :

- أخبرها أنى سأزورها فى القريب ولترحل الآن.

فوجئ أدهم من رد فعله فرفع نظره بعفوية إلى تلك النافذة التى كانت ستائرها تتطاير خارجها بسبب الريح فى هذا الوقت ، ولكنه لم يعلم هل ما رآه حقيقي أم لا..؟ فقد رأى قردًا ينظر إليه من خلالها بتلك العيون الحمراء النارية.

***

الفصل الثامن

العقاب

***

الشعور بالذنب شعور قاتل، يكسر النفس ويحطمها ويسجن الروح فى سجون حصينة يحرسها ذلك الضمير الذى ينصب نفسه قاضيًا فى محكمة الحياة التى لاترحم، ليصبح الموت أرحم من ذلك الألم الذى تعانيه تلك الروح المُعذبة..

***

وصل أدهم لبيته بعد منتصف الليل بقليل وكان خائفًا من مجرد فكرة صعوده على السلم مرة اخرى ، لكنه حمد الله كثيراً عندما وجد مصابيح السلم مضاءة ، فعدي سريعًا على الدرج حتى وصل إلى شقته..

كان يتناهى إلى سمعه ضحكات معاذ وهى تلاحقه عندما كانا يتسابقان على السلم ، فتوقف قليلاً ليمسح دمعتين تسللتا إلى عينيه قبل أن تراهم والدته ، فربما كانت لا تزال مستيقظة، ولكنه عندما دخل وجد الكل يغط فى سبات عميق ، والقران الكريم لايزال يصدح فى ذلك المذياع الموجود بجوار المنضدة فى مدخل الشقة ، فدخل سريعًا إلى غرفته ، وما هى إلا دقائق وكان يجاهد النوم فأحداث اليوم بدأت تطل سريعًا فى رأسه..

***

- أدهم ..أدهم .. هيا انهض ، هيا وإلا سأخرج ولن تلحق حتى صلاة الجمعة.

- ماذا يا امى..؟

- ألم تخبرنى أن أوقظك قبل الصلاة..؟

- نعم كم الساعة الآن....؟

- إنها تقارب الثانية عشر .

- اللعنة، ألم أُخبرك أن لدىّ موعد وأريد أن.....

قاطعته أمه فى حدة:

- إنى أوقظك منذ ثلاث ساعات أيها الغبي ولم تستيقظ بعد ، ولا أحد يعلم أين كنت مساءًا، لقد أخبرتنى فقط أنك كنت فى الاسكندرية لمقابلة أهل شفاء وأخبرتك ألف مرة ألا تسهر لتلك الأوقات المتأخرة ، ولكنك لم تلتفت لحديثي بالطبع ..وأخبرتك ان تبتعد عن تلك الفتاه الملبوسة يا ادهم لكنك كعادتك سترفض..المهم الآن هيا اذهب وتوضأ لتلحق بصلاة الجمعة، ولا تنس إصطحاب معاذ إلى درسه القريب .

كان أدهم فى تلك الأثناء واقفًا مشدوهًا أمام الجدار الملاصق لمرآته وكأنه منوم تنويمًا مغناطيسيًا ، مما دعى أمه أن تصيح عليه بغضب مرة أخرى.

- ألم تسمع ما قلته لك ..؟، لما تقف مثل النائم...؟، هيا وإلا..

- ماذا قلتى يا أمى ...؟

- اذهب للصلاة واصطحب شقيقك معك.

ابتسم أدهم إبتسامة صفراء قائلاً :

- معاذ..نعم هو بالطبع ، من سيكون غيره..؟!!

نظرت اليه امه فى قلق عندما رات تلك اللمعة الغريبة فى عينى أدهم قائله بأندهاش:

- مابك يا ولدى..؟،أشعر أنك فيك تغييراً ما .

- لا شئ يا أمى ، لا شئ ..سأذهب حالاً، هل هو استيقظ الآن...؟

- نعم ، لقد إستيقظ منذ مدة.

خرج أدهم من غرفته بعد أن إرتدى ملابسه ، بينما كان اذان الجمعة قد بدأ وبدأ الإمام فى الخطبة ، مما دعا والدته للصياح مجددًا ، دخل أدهم إلى المطبخ ثم تناول شيئًا واضعًا إياه فى ملابسه ، وما هى إلا لحظات حتى هبطا للصلاه لكن توقف أدهم الممسك بيد شقيقه أمام الطابق الرابع والموجود به شقة السيدة التى قُتلت منذ سنوات قائلاً:

- هل تخاف يا معاذ..؟

- لا طبعًا ، وما الذى سيخيفنى ..؟

- هل تتذكر تلك القصص التى رويناها سويًا عن تلك الشقة المهجورة..؟

تراجع معاذ مذعورا بينما بدأ ادهم فى الضحك وشقيقه يتحدث بخوف قائلاً:

- نعم يا أدهم ، ولكن هذا ليس وقته، هيا بنا للصلاة..

- لم أكن أعلم أنك بهذا الجبن يا صديقى .

قالها أدهم وقد أخرج مفك حديد من جيبه وعالج به رزة القفل الموجود على الباب..كان الصدأ يملأها، ولكن ما لبث أن فتح الباب بعد عدة محاولات من أدهم ، بينما وقف معاذ مذهولاً مما يقوم به شقيقه الذى بادره قائلاً:

- أدهم أيها المجنون ، ماذا تفعل إن رآنا أحد ..؟، سيظن أننا نسرق الشقة.

- إنها مهجورة أيها الغبى، وسوف ندخلها ونقوم بتلك المغامرة سويًا.

- سيرانا أحدهم الآن.

- لا تقلق ، إن الجميع فى صلاة الجمعة ، سوف نستكشف الشقة ونعرف هل كانت السبب فى رعبنا السنوات الماضيةأم لا ..؟،هيا تقدم معى.

دخل أدهم إلى الشقة مادًا يده إلى معاذ قائلاً بسخرية:

- إقترب ..هيا ، لماذا تخاف ..؟، ألم نتفق على اللعب سويًا ..هل تخاف يا شقيقى..؟، هيا ، ادخل ادخل ..ألم تصبح رجلاً بعد..؟، هل هناك رجلاً يخاف..؟

سمع أدهم ضحكات ساخرة تملأ المكان من حوله ونفس الجمله تتردد فى رأسه مرات ومرات ..

قفز ادهم مرة واحدة، لكنه وجد نفسه لا يزال في سريره ، والظلام محيطًا به .. فإرتعب من ذلك الكابوس الذى ألم به منذ دقائق ، وخاصة عندما تكررت الجملة التى رآها فى كابوس المقابر على لسان شقيقه وقد شعر أنه سمعها قبل ذلك ، وها هى الآن تتكرر على لسانه ، فحمد الله كثيراً على أنه كان مجرد كابوس ، لكن..

- ماذا وإن لم يكن كابوسًا..؟

دق قلب أدهم بشدة عندما حدث نفسه بذلك ، فقام مُسرعًا إلى المطبخ باحثًا عن ذلك المفك الحديدى الكبير فربما لو وجده لاطمئن ولو قليلاً، لكن لرعبه لم يجد المفك..كان هناك حل واحد فقط ، هو النزول إلى تلك الشقة الملعونة ورؤية قفلها الموجود على الرزة الحديدية ..

كانت الساعة تقارب الثانية صباحًا عندما هبط ببطء حتى وقف أمام الباب.. وسلط ضوء هاتفه ، ولرعبه وجد أن القفل مكسور ، وبالطبع كالمسحور فتح القفل ودخل الشقة المظلمة ..كان يشعر أن هناك رائحة ما فى الجوار لا تُطاق ، فبدأ بالبحث فى الغرف الفارغة إلا من أكياس قديمة وحبال من تلك المستخدمة فى نشر الغسيل وكراتين..دق قلبه بشدة عندما وجد شيئًا ما مكومًا بجوار أحد الأركان فى إحدى الغرف..قادته قدماه رغمًا عنه إلى ذلك الجسد الملفوف بداخل كيس كبير وهو يدعو الله ألا يكون ما في عقله صحيحًا ، وضع هاتفه إلى جواره وهبط بجوار الكيس وفتحه..لكنه لم يقو على المنظر فهوى أمام جثة معاذ الذى شقت

بطنه لتخرج أمعائه في مشهد مرعب وقد قيدت قدماه ويديه خلف ظهره، بينما تدحرجت رأسه بعد ذبحه منها ..

إنهار أدهم صارخًا على شقيقه الذى يبدو أنه ذبح منذ عدة أيام ..لم يعلم ما يفعله..جلس واضعًا رأسه بين يديه وهو يبكى بكاءًا حارًا ..لم يعلم ما الذى حدث بعد ما شاهد نفسه هو وشقيقه وهما يدخلان لتلك الشقة الملعونة.

أغمض عينيه وبدأت الأحداث تتصارع بداخل رأسه وكأنها كانت تنتظر مجيئه إلى مسرح الجريمة هنا....

- اقترب ..هيا لماذا تخاف..؟، ألم نتفق على اللعب سويًا..؟ ،هل تخاف يا شقيقى..؟، هيا ، ادخل ادخل .. ألم تصبح رجلاً بعد..؟، هل هناك رجلاً يخاف..؟

ومد أدهم يده جاذبًا شقيقه الذى كان مذعورًا مما يقوم به إلى الداخل ..بينما دخل أدهم إلى أحد الغرف وهو يصيح على معاذ ليقترب منه وهو يرتعش..

- أدهم ، هيا بنا ، أنا مرعوب.

- لماذا أيها الغبى..؟، سوف نخرج الآن بعد أن نبحث عن أى شئ هنا ، ربما وجدنا شيئًا ما نحتفظ به لمغامرتنا تلك.

وخرج مُسرعًا من الغرفة، بينما وقف معاذ يشاهد أحد الصور المعلقة على الحائط وهو يقول:

- أدهم ، إن تلك تسمى سرقة وليس مغامرة ..أدهم أين أنت..؟

وخرج مُسرعًا فى أعقاب أخيه ، لكنه لم يجد أدهم الذى كان مختفيًا خلف أحد الأبواب ، وبمجرد أن دخل معاذ إليه هوى على رأسه بتمثال حديدى ، فسقط مغشيًا عليه على الفور..

رأى أدهم كل ذلك وكان شريط الأحداث يمر أمامه وكأنه يشاهد فيلمًا ما

غير مُصدق أنه يقوم بتلك الأفعال..رأى نفسه بعد أن قيد معاذ من يديه وقدميه وقد قام بعمل دائرة على الأرض وقيد قدمى شقيقه بحبل متين ثم علقه فى الجزء الحديدى الخارج من السقف والمستخدم لتعليق النجف، ثم رفع شقيقه كالذبيحة للأعلى وقيد الحبل فى الدولاب الخشبي الكبير .

بدأ أدهم بالدوران حول جسد شقيقة المعلق والذى بدأت الدماء تسيل من الجرح أعلى رأسه بغزارة، بينما بدأ أدهم يرسم بها عدة دوائر وكلمات على الأرض وهو يمسح بعضها فى رأسه وفي ملابسه .. ثم أخرج سكينًا حادًا من بين ملابسه وبدأ يقترب من شقيقه الذى بدأ يستيقظ لكنه لم يقو إلا على الأنين .. إقترب أدهم بشدة منه ثم أمسكه من ملابسه وإقترب من صدره فتحسس عليه ثم وضع سن سكينه أسفل صدره قليلاً، ثم ضغط فجأة بحافةالسكين فى جسد معاذ ، وأمسك بشقيقه الذى بدأ يتلوى من الألم بيد وباليد الأخرى ضغط بها أكثر على السكين ليغرزها متجهًا لأسفل..برزت أمعاء شقيقه ووقعت على الأرض ، بينما نظر معاذ إلى جسده نظرة أخيرة قبل أن يفقد الحياة ،فابتسم أدهم أكثر وأكثر وهو ينظر إلى أخيه فى تشف واضح ، وظل يدور حوله ثم جلس على الأرض بداخل تلك الدائرة وأسند رأسه إلى الحائط وبدأ يتحدث بلغة غير مفهومة وهو يدق رأسه فى الجدار ببطء فى بداية الأمر ثم بدأ فى التسارع وهكذا ظل خمس دقائق على تلك الحالة..

ثم قام واقفًا واقترب مرة أخرى من معاذ ، ثم أمسك رأسه المدلاة وبدأ فى ذبحها وفصلها تمامًا عن جسده حتى سقطت إلى جواره على الأرض بداخل الدائرة ، وظل يدور مرةأخرى حول الدائرة وهو يتحدث بلغة غير مفهومة، ثم بدأ يُرخى الحبل عن جسد معاذ وقام بوضعه داخل أحد الأكياس بعد أن أخرج هاتفه المحمول وأغلق الكيس بإحكام ونظر حوله ثم أخفي السكين والهاتف بجوار أحد اللوحات المعلقة..

كل هذه الأحداث كانت تدور فى رأس أدهم وهو جالس على الأرض ينتحب بجوار جثة شقيقه وهو يشاهد ما حدث وكأنه فيلمًا سينمائيًا معروضًا أمامه وهو يدعو الله أن يكون كل ذلك مجرد كابوس أسود يمر عليه ..وعندما تذكر هاتف شقيقه هب من مكانه فزعًا يبحث عنه خلف اللوحة، ولرعبه وجد السكين والهاتف المقيد عليه عشرات الإتصالات من أبويه..ووقتها تأكد أن كل ذلك قد حدث بالفعل..فهوى على الأرض مغشيًا عليه...

***

أفاق أدهم على يد والده الذى كان ينتحب ويصرخ ويحتضن ولده معاذ ، وهو يصرخ تارة ويضرب أدهم تارةأخرى ، فهب أدهم مفزوعًا من هول المنظر ، وحاول أن يقترب من والده ، لكن حالته لم تسمح بذلك ، فاحتضنه أدهم عنوة قائلاً وهو ينتحب:

- أقسم لك يا والدى ، أنا لم أعلم كيف تم ذلك.. أنت تعلم محبتى لشقيقى.

- محبتك أيها الملعون ..تستدرجه هنا لتقضي عليه ..عليك لعنة الله ..

- لا أعلم كيف تم ذلك أقسم لك ..إن هذا الملعون دخل إلى رأسى وتملك جسدي كما تملك جسد شفاء من قبل ..وشفاء الأخرى يا والدى.

نظر والد أدهم إلى ابنه الذى كان يبدو أقرب للجنون هاتفًا :

- شفاء وشفاء.. ما الذى تتحدث عنه..؟

- نعم يا والدى ، وغفران والقرد ، لقد رأيته.

- أى غفران وأى قرد أيها الملعون..؟،أفق..أنت قتلت شقيقك.. أين الهاتف..؟، لابد من الإتصال بالشرطة حالاً..

قالها وبدأ يبحث فى ملابسه عن هاتفه ففزع أدهم من مجرد الفكرة، مما جعله يمسك بيد والده وهو يقول :

- مهلاً بالله عليك ، إن مصيري سيكون الإعدام لا محالة إن فعلت .

- و هل تظن أيها الملعون أنى سأتركك..عليك لعنة الله ..لا أدرى كيف ستتقبل أمك الخبر.

وبدأ فى النحيب مجددًا وهو يحتضن جسد معاذ ، وعاد مرة أخرى يسب فى أدهم الذى ظل واجمًا لا يدرى كيف تمكن منه الملعون نفسه ودخل إلى جسده ..؟، هل كان ذلك هو الإنتقام الذى أخبره به غفران لمجرد أنه قابل شفاء وحاول مساعدتها..؟، أم أن هناك ما هو الأسوأ..؟، ولكنه أفاق على يد والده وهو يصرخ:

- المصيبة فى والدتك ، كيف سيكون وقع الخبر عليها عندما أخبرها أن إبنها الأكبر قد قتل شقيقه ومثل بجثته ..؟، كيف يكون وقع الخبر عليها عندما تُساق إلى المشنقة ..وبيدى أنا..؟

- يا والدى....

- صه ولا تتكلم عليك لعنة الله ..لا أدرى ماذا أفعل ..

جثى أدهم على قدمى والده وهو يبكى وقد علا نحيبه الذى لم يتوقف دقيقة، فقد كان يتملكه شعور فظيع بالذنب ، فالشعور بالذنب شعور قاتل ، يكسر النفس ويحطمها ويسجن الروح فى سجون حصينة يحرسها ذلك الضمير الذى ينصب نفسه قاضيًا فى محكمة الحياة التى لا ترحم ، ليصبح الموت أرحم من ذلك الألم الذى تعانيه تلك الروح المُعذبة.

- لم يكن بيدى ، أقسم لك..هل تتخيل أنى فى يوم من الأيام أؤذى معاذ..؟ ، هل سبق وجاء إليكم بالشكوى منى..؟ ،أنت بنفسك كنت تلومنى دومًا على أنى من أُفسد أخلاقه بتدليلي الزائد له..صدقنى ، لقد تلبسنى ذلك الجنى الملعون الذى سبق وإحتل جسد شفاء وكان السبب فى إصابتها بالشلل ، فلتهدأ بالله عليك يا أبى .

توقف الرجل قليلاً ثم بدأ ينظر إلى ولده مُصدقًا لما بدأ يتفوه به..ثم ينظر إلى معاذ المسجي وسط دمائه ويعود مرة أخرى إلى أدهم وهو يهمس يائسًا:

- لم أتعرض طوال عمرى لهذا الموقف.. فبيدى أستطيع توصيلك لحبل المشنقة لكنى سأظل ألوم نفسي ما تبقي من عمرى ، وفى نفس الوقت لا أتحمل وقع الأمر على والدتك ..هى حتى الآن لديها أمل بعودة معاذ وقتًا ما ..تصور لو أخبرتها أن شقيقه هو من قام بذبحه ..ثم عندما تراك على حبل المشنقة، سوف تموت كمدًا بعدك..لاأدرى كيف أتصرف..؟

وبدأ يتحرك فى الغرفة ذهابًا وجيئة، إلى أن لاحت فى ذهنه فكرة ما ، فبادر أدهم الذى كان جالسًا بجوار معاذ وهو يربت على رأسه المنفصلة:

- أخبرنى ، كم الساعة الآن..؟

- إنها الثالثة وسبع دقائق..

- إذن هيا..

- إلى أين يا والدى..؟

- لف جسد شقيقك جيدًا بتلك الأكياس ولا تُبقى أى أثر له فى الشقة

- حسنًا.. لكن لماذا..؟

- لا تسألنى الآن ، فما سوف أفعله يعد مخالفًا لضميرى، ولكن هو لمجرد إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، أريد هذا المكان خالى فى خلال عشر دقائق..هل معك مفاتيح سيارتك..؟

- نعم يا والدى ..لكن هل سنقوم بدفن معاذ..؟

- لا يوجد أى وسيلة لإخفاء الأمر إلا ذلك.

- لن أدفنه فى الصحراء يا والدى.

نظر الرجل إلى أدهم بغيظ قائلاً:

- وهل تتصور أنى سأُلقي بجسد ولدى فى الصحراء أيها الغبي..؟، سنقوم بدفنه فى مقابر جدتى فى مقابر المماليك بالقرب من صلاح سالم.

- اللعنة.. مقابر المماليك يا والدى..!!!، إن هذا المكان أصلاً ملعون ، ولا أدرى كيف جرؤتم على دفن والدتك هناك..؟

- هل أنت أبله ..؟ ما الضرر من دفن ولدى هناك..؟ هل تظن أن أقوم بدفنه فى مقابرنا الآن ، وعند حدوث أى وفاة فى العائلة سيكتشفوا وجود جثته .. ما الذى سوف أقوله حينئذ ، هل أقول أننا شركاء فى قتل ولدى وأخيك أيها الغبي ..؟، هل ستصيب جسد ولدى المقطع منك لعنة من الجن كما أصابتك أو تدعى أنها أصابتك..؟ أنا لن أُضيع وقتى دقيقة، إما أن تساعدنى وإلا أقسم بالله أنى سأقوم بإبلاغ الشرطة فورًا.

- حسنًا ، هيا بنا ، ماذا سيضير الشاة من سلخها بعد ذبحها ..؟

- ليس هذا وقته ..ليس هذا وقت النحيب ، سننتحب سويًا عندما ننتهى من هذا الأمر الذى تسببت لنا فيه.. لن أسامحك ما تبقى من عمرى أيها الملعون.

قالها وبدأ فى النجيب مجددا رغم محاولات أدهم للسيطرة عليه دون جدوى ، فتركه وبدأ يغطى جسد شقيقه بعدة أكياس من البلاستيك المقوي ، والتى كانت موجودة إلى جواره .. وبعد نصف ساعة كانت سيارة أدهم تنهب الطريق بأقصي سرعة على الطريق الدائرى لمحاولة دفن جثة معاذ قبل بزوغ فجر اليوم..

ظل والده يبكى طوال الطريق وأدهم واجمًا ساكنًا لم يتحدث وهو يستمع إلى والده الذى كان يصف له الطريق ، وبعد فترة أخبره بركن سيارته...

- هل سننزل هنا يا والدى...؟

- إن الطريق بداخل المقابر لن تستطيع الدخول إليه بالسيارة، كما أننا لا نريد لفت أى من الأنظار ، هيا إحمل جسد شقيقك وتعال خلفى..

تقدم الإثنان ببطء وأدهم يحمل جثة شقيقه على كتفيه ووالده ينظر يمينًا ويسارًا ثم يتقدم ومن خلفه أدهم ، ظلا هكذا لمدة نصف ساعة فى السير بداخل المقابر المهجورة وأثناء الطريق اندهش أدهم من كيفية حفظ والده لمكان قبر أمه بهذا الشكل ، لكن أثناء السير قطع الصمت فجأة هاتف أدهم وهو يدق وإذا به والدته ، فلم يجبها أدهم بل نظر إلى والده فى رعب قائلاً:

- أبي إن أمى تتصل بى، ماذا أفعل...؟

- اللعنة..هل هذا وقته..؟،أغلق الهاتف بالله عليك ، لا نريد لفت الأنظار ..ماذا تريد تلك المرأة الآن...؟

- يبدو أنها إستيقظت ولم تجدك ولم تجدنى وبالتاكيد اتصلت بك..

- إتصلت..؟ ، اللعنة، أين هاتفى..؟

وقف الرجل فجأة وهو يضع يده على جيوبه ويتذكر قائلاً لأدهم:

- يبدو أنى قد نسيته مكان جثة معاذ فى الشقة..هيا ننتهى سريعًا قبل أن ينتبه أحد السكان لهذا الصوت ، فأمك لن تتوقف عن الإتصال بنا.ولو لألف مره

- حسنًا..

هرول الإثنان حتى وقفا أمام مقبرة قديمة ثم فتح الرجل القفل بسهولة ثم المزلاج الحديدى وحاول أن يدخل إلى داخل المقبرة، فقد كان هناك سلمًا متجهًا إلى أسفل.

- أضئ لى المكان يا أدهم.

أشعل أدهم ضوء هاتفه مُسلطًا إياه على الدرج الحجرى الهابط إلى أسفل،

فهبط الرجل و تناول قدمى معاذ ، بينما أمسك أدهم الكيس من أعلى وبدءا ينزلان بهدوء لأسفل..

فزع أدهم فجأة عندما رنت أمه مرة أخرى عليه وهما ينزلان السلم ، فنظر إليه والده حانقًا:

- ألم أخبرك أيها الغبي أن تغلق هذا الشئ..؟

- لقد أغلقت إتصالها فقط، عذرًا يا والدى.

- هيا حتى ننتهى قبل الفجر أيها الغبى.

هبطا لأسفل وبدأأدهم فى وضع جثة معاذ بالقرب من الحائط بعد أن حفر جزءًا من الرمال ، بينما جلس والده على الدرج ناظرًا لأدهم بغيظ وهو يقوم بالحفر ودفن شقيقه ، وأثناء ذلك دقت أمه مرة ثالثة على الهاتف،وبكل حنق وغيظ تناول الهاتف وفتحه صارخًا فى وجه أمه :

- نعم يا أمى ، خير..

- أين أنت أيها الغبي ..؟، كل هذا سهر..؟،ألم أخبرك ألا تسهر مع أصدقائك أبدًا..؟ ،ألا تعلم الظروف السوداء التى نمر بها ..؟، لماذا لا تشعر بنا..؟

ولدهشة أدهم سمع صوت والده وهو يُحدثها بصراخ هو الآخر:

- ناولينى الهاتف..

فتح أدهم عينيه على اتساعهما وهو ينظر إلى والده الجالس أمامه على الدرج الحجرى ، بينما والده أخذ الهاتف وبدأ بوصلة سب كعادته:

- أنت ليس لديك أى إحساس بالمسئولية، أنا وأمك لا ننام ، وأنت تخرج يوميًا ولا تعد إلا بعد الفجر ..لا أدرى ما أقوله لك ، إننا فى مأتم وأنت تسهر ..أخبرنى أين أنت لعنة الله عليك..؟

لم يتحدث أدهم بينما نظر إلى والده الجالس أمامه الذى بدأ يقف ويتحول طوله إلى الضعف وبدأت شعيرات كثيرة تغزو جسده وتخرج مخالب من أصابعه.. فسلط أدهم ضوء هاتفه إلى أبشع وجه جنى قد يراه فى حياته ..لم يكترث بصراخ والده ووالدته فى تلك الأثناء لعدم رده عليهما..اقترب صاحب الجسد والوجه المرعب منه ووضع وجهه أمام أدهم الذى شل تمامًا عن الحركة أو الحديث ..فهمس فى أذنه:

- عفار.. نعم..أنا عفار.. أنا من تحديتنى وأخبرت ذلك العجوز أنك لن تترك شفاء..كم أنت مسكين أيها الإنسى ..بل أنتم جميعًا مساكين أيها البشر ،إلى الآن تظنون أنكم قادرون على تسخيرنا واللعب بنا ، وبمجرد ظهورنا ترتعدون وتجبنون كما هو حالك الآن..

نعم..أنا عفار سيد الأرض ، وما تحت الأرض وما أنت إلا حشرة أستطيع سحقها بمجرد إشارة من يدى ..لا تطلب رحمتى ، لإنك لن تنالها وسأخبرك بما سيحدث فى الساعات القادمة..فأنا أ علم الغيب..صه واسمع..

تزوجت شفاء التى أصبحت محظيتى وجاريتى..سأجعلها ملكى أنا فقط.. سأنتقم من كل من يحاول الإقتراب منها أو مساعدتها..ولو وصل الأمر سأقتل أهلها جميعًا ، لا يهمنى..ولكن كلٌ فى وقته حتى لا يصبح لها إلا أنا سيدها وعشيقها الأوحد وسيكون ذلك فى القريب .. أما أنت فستموت رعبًا وجوعًا وعطشًا فى تلك المقبرة الملعونة، ومن تلك اللحظة حتى يأتيك الموت ستموت رعبًا كل دقيقة عندما يخرج لك أبناء قبيلتى وخدمى من كل ركن فى تلك المقبرة ليذيقوك من ألوان العذاب ما لم تتخيله.. ستتمنى الموت أيها الطينى ولن تتحصل عليه إلا بإذنى أنا ..

لقد أخبرك العجوز أن تهرب ، لكنك عندت وكفرت بى ..حسنًا ، سأتركك الآن.. وهل تعلم إلى أين سأذهب..؟؟

أخبرنى ما هى أسوأ أحلامك..هل عندما تجسدت على هيئة والدك الملعون أكنت تعلم أنى سيدك عفار وسيد قومك..بالطبع لا..؟

سأتلبس فى شخصيتك كما تلبستها من قبل وجعلتك تقتل أخاك بيديك ..كم كان ممتعًا بحق وأنا أراك وأنت تقتله دون أن تعى ما الذى تقوم به..؟

وهذه المرة سأتحول إلى شكلك وجسدك و سأذهب إلى أبويك...

وضحك ضحكة ساخرة هزت جنبات القبر ، بينما أدهم كان يئن ويحاول أن يتحدث أو يتحرك ولكن دون جدوي ، فقد اصابة الشلل تماما ..بينما استمر عفار فى الضحك وهو يصفق بيديه ثم عاود حديثه:

- لن أخبرك ما الذى سأفعله بهم فى صورتك.. أتعلم ربما سأذهب إلى شفاء بصورتك وأجعلها تكره مجرد ذكر اسمك هناك ..لماذا تقاوم أيها الإنسي ..؟، ستموت خلال ثلاثة أو أربعة أيام ، حاول أن تُهدئ من روعك قليلاً .. أنظر....

وفجأة تحول عفار إلى صورة طبق الأصل من أدهم الذى كان يبكى من الألم والرعب وهو يري نفسه وقد تجسد عفار الملعون فى صورة طبق الأصل منه ، حينئذ بدأت أطياف الأطفال ممسوخى الوجه تخرج من كل أرجاء القبر وهى تلتف حول أدهم صارخة، بينما اقترب منه عفار المتشبه بصورته وهو يأخد منه هاتفه ويطلق ضحكة مخيفة ..

- أعتقد أنك لن تحتاج إلى هذا الهاتف يا أدهم.. والآن سأدعك تتخيل ما هو أسوأ شئ قد أفعله في والديك..؟

قالها وبدأ يتحرك نحو الدرج الحجرى وتلك الأطفال الممسوخة تبتعد عنه وهى تقترب من أدهم صارخة ..حاول أدهم الصراخ والصراخ وهو يري الباب الحديدى يغلق عليه للأبد وكان آخر ما سمعه هو ضحكات عفار الساخرة....

***

الفصل التاسع

الفخ

***

أصعب دموع هى تلك التى نزرفها قهرًا، تلك الدموع التى تحرق القلب والروح قبل العين، حين نُظلم ونُقهر من أقرب الناس إلينا، وكأنها سيل حط من علو ليجرف معه كل المشاعر والأحاسيس ليبقى إحساس واحد يقتل فى النفس أجمل ما فيها، إحساس الظلم والعجز.

***

أما فى اسكندرية فبعد مرور شهر كامل على مقابلة شفاء وأدهم لم يردها أى خبر عنه، رغم أنها حاولت الإتصال به أو بأهله ولكن دون مجيب..شعرت أنها قد تكون تسببت فى أذى له ، وحاولت أن تعرف أى شئ عنه ولكن دون جدوى ، وطلبت من شقيقها بالسؤال عنه وعن أسرته ، فوعدها لكن مشاغل عمله أنسته كل شئ..

ولكن كان الإحتمال الأكبر الذى فكرت فيه أن يكون قد تخلى عنها هو الآخر ، فبعد مقابلته لها آخر مرة خرج ولم يعد إليها مرةأخرى ، ولا حتى الإطمئنان عليها كما عودها ، لقد ظلت تنتظر وتنتظر الفرج الذى غاب عنها كثيراً ، ولكنها رغم ذلك لم تفقد الأمل فى لقائه.

ورغم يأسها هذا فقد مرت الأيام التالية فى هدوء، فلم تعد تستيقظ على كوابيس ، والمدهش أن جنها المولع بها لم يعد يزورها فى أحلامها كما كان فى السابق .. حتى ظنت شفاء أنه قد رحل عنها أخيراً ..

حتى أقدامها أصبحت تتحرك عليها بصعوبة جدًا، ولكنها بدأت تتحرك ببطء دون مساعدة من أحد ، فقد أصبحت تستطيع الذهاب إلى دورة المياه وحدها بالإستناد على الحائط دون الكرسي المتحرك .. نعم كان ذلك بصعوبة وهى تستند بيدها اليسرى التى لم يصبها الشلل، ولكنها اعتبرت ذلك فألاً حسنًا وبداية التحسن كما أخبرها الأطباء.

ولكن ما حدث بعد ذلك كان هو العقاب الأمثل لها ولأسرتها ، لمحاولتها طلب

المساعدة من أدهم .. فقد كان السكون والطمأنينة التى تعيش فيهما الآن هو مجرد الهدوء الذى يسبق العاصفة.

***

بعد عدة أيام وتحديدًا فى يوم الثلاثاء الملعون بدأ الأمر مرة أخرى.. كانت فى غرفتها وحاولت أن تقرأ أى شئ تقع عليه عيناها أو حتى سماع المذياع ربما لقتل الوقت..بدأت مؤخرًا فى كتابة مذكراتها على جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، ربما للتخفيف عنها مرةأخرى.. كانت عبارة عن صفحة واحدة كتبتها بتلك اليد واستمرت قرابة الساعة فى كتابتها.

((أتعلم كيف يمكنك تقضية الوقت وأنت على كرسى متحرك ولا تستطيع إلا أن تقوم بصعوبة وتتحرك بصعوبة وتتحدث بصعوبة..؟

يا إلهى... ما الذنب الذى إقترفته حتى أُعاقب بمثل هذا العقاب الأبدى..؟، كنت أفكر فى هذه الوصلة اليومية من الحسرة والألم، كم أتمنى الآن لو امتلكت آلة الزمن حتى أهرب إلى أيامى القادمة وأعرف ما الذى سيجرى فيها أو حتى الرجوع ولو حتى لسنة واحدة فقط لألغى مقابلتى مع ذلك الملعون ، وألغى السنة الدراسية بأكملها ، ولأظل هنا ما حييت ، ولن أخطو للقاهرة مرة أخرى.. أو أعود إلى سابقتها وأشبع من حضن أبى كما لم أشبع منه من قبل...

يا إلهى..أرشدنى..دلنى.. كم أود لو إستطعت أن أرى المستقبل لأعلم إلى متى ستظل مأساتى..؟، ومتى ستنتهى..؟، أم سأظل إلى يوم القيامة أُعذَب على هذا الكرسي المتحرك..؟

منذ أسبوع لا أُنكر أنى فكرت جديًا فى الإنتحار والتخلص من آلامى والآلام التى أُسببها لكل من حولى، أمى وممدوح وفاتن ..وحتى أدهم الذى اختفى دون رجعة..

لكن على الرغم من كل ذلك إلا أن هذا لم يكن السبب الرئيسي.. هناك سبب ما أشعر به .. ويا إلهى لا....

إلهى...أرجو ألا يكون ما أخشاه حقيقي..

إلهى...إنها نهايتى إن كان حقًا .....))

وضعت يدها على بطنها التى بدأت تؤلمها فى الأيام الأخيرة وأغلقت جهاز الكمبيوتر وتحركت بهدوء إلى سريرها ونامت ..

كان الجميع يحاول التخفيف عنها بأى شكل حتى شقيقتها الصغرى فاتن والتى لازالت تأتى إليها كل ليلة وتحاول أن تُرفه عنها بقصصها البسيطة .. وفى تلك الليلة وقبل الفجر تقريبًا .. كانت تغط فى نوم عميق بينما كانت فاتن إلى جوارها نائمة هى الأخرى..وبدون أى مقدمات نما إلى سمعها تلك الأغنية الملعونة..

قامت مفزوعة وهى تنظر من حولها لتعرف من أين تأتيها تلك الأغنية التى لا يصحبها إلا مزيد من الرعب والكوابيس..إنقبض قلبها بشدة وحاولت النداء على والدتها فلم تستطع..حاولت الصراخ فلم يسمعها أحد.. إلتفتت نحو شقيقتها فاتن النائمة إلى جوارها فى هدوء فقرصتها فى يدها ففزعت الأخيرة وأفاقت وهى تمسح عينيها وتحدث شفاء فى خوف :

- شفاء من قام بتشغيل هذه الأغنية..؟

وقتها لم تدرى شفاء لما إنتابتها سعادة غريبة ، فقد شعرت أن الأمر بدأ يتغير عن الماضى .. ففاتن الآن تسمع تلك الأغنية مثلها، وبالتأكيد أمها وممدوح شقيقها أيضًا سيسمعان وسيأتيان، رغم أن الأختين حاولتا منادتهم كثيراً ولكن دون جدوى ، وكما بدأت الأغنية فجأة صمتت فجأة ، فربتت شفاء بيدها السليمة على كتف فاتن قائلة:

- لا تخافى يا فاتن، ربما ممدوح هو من أشعل التلفاز، والآن بما أن الأغنية صمتت لما لا تَقُصى علىّ أحد قصصك..؟

توقفت فاتن عن البكاء وإبتسمت وبدأت فى إتخاذ وضعية الأستاذ الذى سيُلقى محاضرة أمام تلاميذه حتى أن شفاء إبتسمت رغمًا عنها وقد نجحت فعلاً فى إخفاء توترها ..لكنها فجأة عادت ترى ذلك الظل الذى بدأ يتراقص فى المرآة ..بينما بدأت تلك الأغنية الملعونة فى الدوى مرةأخرى ..كان ظل أسود طويل ، رأته مرتين فى تلك المرآة الملعونة الموجودةأمام سريرها تمامًا ، وكل مرة تنوى على تغطية تلك المرآة ولكن دون جدوى..

أغمضت عيناها فى ألم وأستندت برأسها على العارضة الخشبية، وعند أقدامها جلست فاتن وهى تقف على ركبيتها لتبدأ تمثيل قصتها ، وبدأ ظهرها يلوح مره اخرى بجوار الظل الأسود فى المرآة، وكأنهما يتراقصان سويًا فى المرآة ، وما هى إلا لحظات حتى إختفت الأغنية وبدأت فاتن فى الحديث :

- قصتنا اليوم عن تلك الفتاة الحمقاء التى لا تستمع إلى النصائح..وعلى الرغم من أن أهلها يعتبروها ذات العقل الرشيد فى العائلة إلا أنها أغبى مما تتخيل.. لما غبية..؟ ، لأنها لا تستمع إلى أحد .. تلك الفتاة هى التى تظن أنها قادرة على التخلى عن من أخذ روحها وتلجأ إلى البشر العاديين .. وأهلها يستعينون بأهل التراب للنجاة من أهل النار.. أخبرينى أيتها الغبية.. هل تستجيري من الجحيم بكوب ماء..؟

إتسعت عينا شفاء فزعًا وهى تنظر برعب إلى فاتن وهمست فى بطء:

- فاتن من أين أتيتِ بهذا الحديث..؟

أوقفتها بإشارة من يدها وهى تستطرد:

- هل بلغ بكِ التكبر والتجبر يا شفاء لتظنى أنى سأتركك..؟، هل ظننتى لأنى تركتك فى أحضان أسرتك أنى سأتركك إلى الأبد..؟ ، هل ترينى اكتفيت بك فى تلك الليالى التى عاشرتك فيها فى مقامى الحصين فى كهف النار حيث سلطانى الذى

سيدوم .. اعلمى أنى تركتك فقط حتى أستردك للأبد، ولكنكِ لجأتى إلى من هم أضعف منى عشرات المرات لمساعدتك..أتظنى أن الأمر سيمر بدون عقاب.. حسنًا سترين عاقبة فعلتك الحمقاء أيتها الغبية ، لقد بدأت عقابى وسوف يستمر حتى تأتى إلىّ خاضعة ..واليوم هو أبسط إختبار لكِ ..فاهدئى وشاهدى ما سيحدث.. واستعدى للصراخ إن استطعتِ..

كانت فاتن تتكلم وقد بدأت ملامحها فى التحول لتقترب من ملامح الشياطين، فحاولت شفاء الصراخ ، ولكن صوتها خرج متحشرجًا، بينما بدأت فاتن أو ما ظهر لها على هيئة فاتن وهو يتحول إلى هيئه الأطفال الملعونة الذين رأتهم فى كهف جهنم..حاولت المسكينة التملص بجسدها المشلول أو القيام ولكن دون جدوى.. بدأت فاتن فى الإقتراب منها وهى تضحك بسخرية، وقتها أظلمت الغرفة تمامًا، وتحول السرير وكأنه جمرات من النار بدأت فى إحراق جسدها، ويد فاتن التى إلتفت على رقبة شفاء من الخلف، لتضغط بيدها على رقبتها وهى تحاول إزهاق روحها، بينما يدها الأخرى وضعتها على فمها وأنفها.. كانت فعلاً على وشك الموت، وقبل أن تختنق رفعت يديها فجأة، ثم ضحكت بجنون، أما شفاء فشهقت بقوة بقدر ما إستطاعت حتى تتنفس، ولكن تلك الملعونة أطبقت على رقبتها مرة أخرى..

طال الأمر هذه المرة، فحاولت شفاء أن تتحرك ولكن دون جدوى.. فلمحت على يسارها سكين صغير كانت تقوم بتقطيع فاكهة بجوارها به، فحاولت الوصول إليه، وشعرت أنها قد إستغرقت دهرًا لكى تصل، وبعد أن أمسكته أخيرًا لم تشعر بنفسهاإلا وهى تمرره بأقصي ما أوتيت من قوه على أصابع الملعونة .. لم تشفق عليها أبدًا فهى ليست فاتن .. وقتها قفزت إلى مكانها الأول وهى تصرخ بشدة، بينما رأت أصبعها وهى مُلقاة على السرير إلى جوارها وهى تنزف وتصرخ وتمسك بكف يدها، كانت شفاء تشهق والدماء تتسلل إلى جوفها فقد كانت تفتح فمها

على آخره .. حاولت شفاء الصراخ ولكن دون جدوى بينما الملعونة كانت تصرخ وهى تمسك بأصبعها المبتور وتبحث عنه بجوارها ..وما هى إلا لحظات حتى إقتحمت أمها الغرفة وهى تصرخ :

- ماذا حدث..؟

وما إن رأت الدماء التى تغرق جسد فاتن.. حتى إقتربت منها صارخة بينما كانت فاتن تشير إلى شفاء و قد بُتر إصبع من يدها بالكامل وتنظر إليها فى رعب وهى تصرخ:

- أمى.. تلك المجنونة إستيقظت وبدون سبب أيقظتنى وأجلستنى إلى جوارها وطلبت منى إعطائها تلك السكين، إلا أنها أمسكت يدى وقطعت إصبعى.. وألقت به أرضًا..

شهقت فاطمة من الرعب مما حدث، بينما وضعت شفاء يدها السليمة على وجهها وهى تحاول مسح الدم، ولدهشتها لم يكن هناك أى دماء على وجهها ..حاولت أن تشرح لأمها ما حدث ، لكنها كانت تصرخ فيها وهى تحاول كتم الدماء التى تنزف من إصبع فاتن المقطوع ..وصرخت فى فاتن:

- أين بقية الإصبع ..؟!! اللعنة ..

- هناك يا أمى ، تحت تلك المجنونة.

جذبت فاطمة شفاء من السرير بقوة حتى أوقعتها على الأرض وهى تبحث عن إصبع فاتن حتى تنقذ ما يمكن إنقاذه .. وقتها انتبهت شفاء انه قد بدأت الدماء تخرج مرة أخرى من فمها فقد كانت تمضغ شيئًا ما دون أن تنتبه، لقد توقعت المسكينة وقتها أنها تمضغ لسانها، ولذلك بدأت الدماء تخرج من فمها بغزارة فبصقت ما كانت تقوم بمضغة.. لكن الجميع نظر إلى ما بصقته ليفاجأوا أنها كانت تمضغ ما تبقى من الإصبع، وبالطبع لم يكن متبقي منه إلا جزءًا صغيرًا بعد أن إبتلعت ما كان فى فمها رغمًا عنها وكأن أحدًا ما يدفعها لذلك..

صرخت أمها وهى تلتقط ما تبقي منه من الأرض وتحمل فاتن وهى لازالت على صراخها .. ولازالت صرخات الأم تصم آذان شفاء:

- ستجن مثل أقربائها .. ستقتلنا واحدًا تلو الآخر ..

لكن المرعب أنها عندما حملتها أمها وخرجت نظرت شفاء فى المرآة فوجدت فاتن لازالت تنظر إليها من خلالها وهى تبتسم تلك الإبتسامة الشيطانية ..

أفاقت شفاء على صوت غلق باب غرفتها من الخارج وسط سباب أمها وصراخها ووسط صرخات الجيران الذين إستيقظوا على صوت فاتن المذعورة .. فوضعت شفاء يدها السليمة على وجهها وقد بدأت فى النحيب بدموع شعرت وكأنها جمر يحرق عينيها ، فأصعب دموع هى تلك التى نزرفها قهرًا ، تلك الدموع التى تحرق القلب والروح قبل العين ، حين نُظلم ونُقهر من أقرب الناس إلينا ، وكأنها سيل حط من علو ليجرف معه كل المشاعر والأحاسيس ليبقى إحساس واحد يقتل فى النفس أجمل ما فيها ، إحساس الظلم والعجز.

***

مرت على هذه الحادثة عدة أيام كانت فى منتهى السوء على شفاء فكانت تلوم نفسها كل ساعة، كيف تسببت فى بتر إصبع أختها الصغرى..؟!!، كانت كل ليلة تسمع تأوهاتها طوال الليل وشفاء تجلس على الأرض بالقرب من الباب المغلق عليها دائمًا، فقد كانت والدتها صاحبة ذلك الإقتراح بغلق الباب عليها بعدما رأت ما فعلته فى ابنتها..أما شفاء فكانت تصيح عليها لتأتى فقط لتحدثها ولكن دون جدوى، كانت تصرخ لتطلب منها المغفرة.. لتسامحها ولتعرف أنها لا تستطيع إيذائها أبدًا..

أما ممدوح شقيقها ، فقد كان هو فقط من يدخل عليها عدة مرات فى اليوم لإحضار الطعام أو لدفعها حتى دورة المياه إن إحتاجتها ، لأنها فى الأيام الأخيرة

أصابتها إنتكاسة وأصبحت لا تتحرك إلا بصعوبة ...وفى أغلب الأوقات كان يشفق عليها ويطالبها بالصبر، أما أمها فلم تعد تراها أبدًا..

كانت شفاء تقضى طوال الوقت فى غرفتها لا تغادرها، حتى عندما كانت تقف بجوار الباب فى طريقها لدورة المياه لم تسمح لها فاتن بالدخول إليها أبدًا، كل ما كانت تسمعه منها هو السباب فقط..حتى أمها فقد شعرت شفاء أنها بدأت تتغير فى سلوكها معها دونما سبب....

كانت تود أن يفهمها أحد ، تود أن تخبرهم أنها لم تكن مسؤلة عن تصرفاتها، بل هو ذلك الملعون الذى سكن فى جسدها كعقاب لها ولهم على محاولتهم الفكاك منه ومساعدتها وطلبهم مساعدة الغير لإخراجه منها وتخليصها من تلك اللعنة..

شعرت أن حياتها بدأت تقترب من نهايتها ، وخصوصًا عندما تأخر ميعاد عادتها الشهرية ..كانت مرتعبه من أمر ما ، وتدعو الله أن يكون ما بها مجرد أوهام..لكن أحشائها كانت تكبر وتشعر أنه يوجد شيئًا ما بداخلها..، فكرت كثيراً بالإنتحار ولكنها لم تدرى كيف سيكون وقع الصدمة عليها وعلى أهلها وعلى الجيران وعلى كل من يعرفها..هل تفعلها أخيراً للتخلص من ألمها الجسدى والنفسي و منه هو الآخر..؟

أقسمت صباح اليوم أنها ستتخلص من حياتها مهما كان ، ولكن ستبقى المشكلة أنها كانت أجبن من فعل ذلك.. وكلما إنتوت الإنتحار كانت تشعر أن هناك شيئًا ما يمنعها من إتمام تنفيذ ما نوت أن تقوم به.. ولشدة عجزها لم تدر ما الوسيلة المناسبة للتخلص منها لكنها تذكرت فجأة السم..

وسيلة سهلةإلى حد ما ، فهى لا تريد إيذائهم بمنظر دمائها إن قطعت شرايينها أو لو قفزت من النافذة مثلاً ، نعم هو السم ..تذكرت سم الفئران التى تضعه أمها دومًا فى مكان ما بالمطبخ، ولذلك كان عليها أن تأخذ القرار سريعًا للتخلص من

حياتها، سيغفر لها الله ، هى على يقين من ذلك ، فقد تحملت ما لا يطيقه بشر.. كان عليها تنفيذ خطة ما بسيطة، فبعد أن ذهبت إلى الحمام إستأذنت ممدوح لتحاول إعداد كوب من القهوة، فذهبا سويًا إلى المطبخ وبدأ يساعدها ووضع القهوة على النار وهى جالسة على كرسيها المتحرك ..إلا أنه إستأذن دقيقتين للذهاب للحمام حتى تجهز القهوة، وكانت تلك هى فرصتها التى لن تتكرر ، لقد كانت ستحجج بأى حجة، فقد تركت فنجان قهوتها فى غرفتها وعزمت على أن تطلب منه الذهاب إلى غرفتها لإحضاره لكن بإبتعاده عنها يسر خطتها..

إقتربت من الرف السفلى من المكان الذى تضع فيه أمها السم ودورق كبير ممتلئ بالجاز ووسائل مكافحة الحشرات الأخرى، دعت الله كثيراً أن تجده، وبالفعل وجدته فى ذلك الكيس الأسود ، فوضعته فى ملابسها دون أن يلاحظ ممدوح ذلك.. وبعد ساعة كانت فى غرفتها تجلس أمام ذلك الكيس الأسود وهى تنظر إليه وتتمنى أن تأتيها الشجاعة لتناوله، لكنها لم تجسر على فعل ذلك.. ليس من حبها للحياة بالطبع، لكن عندما تقرر الموت وتضع خططاً للحصول عليه ، فإنك فى كثير من الأوقات قد تجبن فى اللحظة الأخيرة عن فعل ذلك.

وضعت السم تحت وسادتها وهى تنتظر لحظة يأس قاتلة لتتجرعه مرة واحدة وليكن ما يكون..وبعد عدة ساعات سمعت حركة فى غرفتها.. وشخصًا يتحرك فى غرفتها ويقترب من مخدعها يتحسس جبينها ويجلس فى الظلام على الكرسي المجاور للدولاب الخشبى.. فإرتعدت أكثر وإنكمشت فى سريرها ومدت يدها السليمة فى هدوء لتشعل المصباح الموجود إلى جواراها ، وعندما أضاءت غرفتها وجدت آخر شخص فى العالم قد تتوقع وجوده..

وجدت والدها..

نعم هو والدها بوجهه الطيب وملامحه الهادئة وهو يقترب منها ضاحكًا ويأخذها فى أحضانه...

- يا إلهى.. لو كان كل ما حدث لى مقابل ذلك الحضن لقبلته عن طيب خاطر..

ذلك ما همست به لنفسها و هى تحتضن أباها بكل قوة خوفًا من فقدانه ..كانت تعلم أنها تحلم لكن ضغطة يديها على جسده زادت من إحساسها بالأمان ..سبع دقائق كاملة ستتذكرها ماتبقي لها من العمر ...حمدت الله كثيراً على أنها لم تنتحر حتى تشبع من ذلك الحضن التى فقدته دون أن تدرى .. هو والدها.. برائحة عطره المفضل وأنفاسه الممزوجة بالتبغ وذقنه الخشنة التى طالما كانت تقشعر خدها.. المدهش أنها متأكدة أنها بداخل حلمًا كم ودت ألا ينتهى ، فكانت تشبع من أبيها ورائحته ،والأجمل أنها كانت تقوم بتحريك يديها الإثنين لتضمه دون أى ألم أو مرض..

وكأن الزمن قد إقتص تلك الشهور المُرة التى فقدته فيها ، وعاد بها الزمن عندما كان يدخل عليها فجرًا ليحتضنها قبل رحيلهم للقاهرة.. سبع دقائق من الأحضان والقبلات والحديث عن أخباره وكيفية وصوله إلى هنا وهل تحلم أم لا..؟ ، لكنه لم يجيبها عن أى شئ، كل ما قاله أنه سوف يأتى إليها فى أحلامها كثيراً، ولكنه أخبرها بأسى أنها ستكون فى طريقها إليه فى القريب..

لكنها لاحظت شيئًا ما كان فى ملامحه كعادة والدها عندما يكون هناك شيئًا يضايقه.. لم يكن أحد يعلم ما بداخل قلب أبيها إالا هى ولذلك سألته:

- أبى.. إصدقنى القول، ما بك..؟

- كنت أود إخبارك يا بنيتى، لكن ظروف مرضك وعودتك إلى الاسكندرية للإقامة مع إخوتك، وحالتك النفسية السيئة وما جرى لفاتن ويأسك من حياتك فى الأيام الماضية وخاصة عندما علمت برغبتك فى الإنتحار..هل تجازفى حتى تموتى كافرة يا شفاء..؟

- لقد يئست من كل شئ يا والدى ، حتى من أمى بدأت تعاملنى بطريقة لم أعهدها من قبل.

- نعم ولذلك كان لابد من تحذيرك..

- تحذيري..!!!، ممن..؟

- لقد علمت كل شئ.. وعلمت أنكِ فى خطر وللأسف فى القريب سيحدث لكِ تمامًا ما حدث لى .

تراجعت شفاء فى اندهاش قائلة:

- ما حدث لك .!! لا أفهمك يا أبى .. بالله عليك إن كان لديك ما تخبرنى به فأفعل.

- إذن هيا، تعالى معى..

- إلى أين ..؟

- هيا.. لا تخافى يا إبنتى.

- ولكنى عاجزة يا أبى..

- قلت لكِ لا تخافى، فكل أمراضك قد ذهبت، أنتِ الآن تستطيعين التحرك بكامل حريتك ، أنا هنا لأخبرك عن شيئٍ ما..هيا معى ليس لدىّ وقت يا ابنتى العزيزة.

وبالفعل مد يده ليجذبها برفق فوجدت نفسها تتحرك بأقدامها من على السرير، فقامت ضاحكة وهى تحتضنه أكثر، ولكنه وضع يده على فمها لإسكاتها قائلاً:

- ألم تسألى نفسك كيف مِت يا بنيتى..؟

اندهشت شفاء من سؤال أبيها فتوقفت عن السير معه إلى الصالة :

- نعم بالطبع يا أبى .. حدث ذلك نتيجة تلك الأزمة القلبية التى كانت تعاودك فى الفترة الأخيرة.. وبسبب إهمالك فى ذهابك للطبيب كما ألححنا عليك ولذلك قام أخى بإخبار الطبيب بذلك وإستخرج لك شهادة الوفاة بناء على ذلك..

سكتت شفاء فجأة وقد تراجعت فى ذعر:

- مهلاً.. مهلاً.. إن ما يحدث غير طبيعى بالمرة، هل أتحدث إلى جثة والدى أم أن ذلك حلمًا أم ماذا..؟

تنهد والدها فى أسى وهو يمد يده إليها ليطمئنها:

- أنتِ تحلمين يا ابنتى ، أنا مجرد روح جئت لتحذيرك من أمر ما..ربما لن تفهمى كيف أتيت أو كيف سأساعدك ، ومهما شرحت لكِ فلن تفهمى، فأنا أبحث عن وسيلة للوصول إليكِ منذ فترة كبيرة لتحذيرك، والآن بعدما أصابك المرض وأصبحتِ بشكل ما تصلين ما بين عالمنا وعالمكم، الآن فقط إستطعت أخيراً الوصول إليكِ.

أمسكت شفاء يده الممدودةإليها فى حنو وقبّلتها قائلة:

- هذا يعنى أنى سأراك كثيراً يا أبى..؟

- ليس كثيراً يا إبنتى، ولكنى سأكون بجوارك دومًا، وسوف أشعر بكِ وقتما تريدينى.. والآن هل أنتِ على إستعداد لرؤية ما حدث لى فى الحقيقة...؟

- بالطبع ..

- لكن تمالكى أعصابك ولا تتوترى ولا تتدخلى فى أي شئ... ما سترينه سيكون عبارة عن مشهد أمامك وكأنك تشاهدين فيلما، ليس مسموحًا لكِأن تتدخلى مهما كان ما ستشاهدينه ... هل فهمتى..؟

- لا أفهم، ولكنى موافقة بالطبع مادمت تريد ذلك يا أبى.

فجأة تغير المشهد تمامًا ورأت شفاء نفسها فى صالة منزلهم بالقاهرة ليلاً وقد إختفى أبيها من جوارها، بينما وجدت أمها تعد الطعام فى المطبخ الضيق فى القاهرة وهى تصرخ فى فاتن شقيقتها لتخرج من المطبخ فقد كانت تعد طعام الغذاء لأبيها..

تحركت شفاء فى خفة وكأن هناك من يطير بها وكأنها روح تهيم فى الهواء حيث كانت أمها تقوم بالعمل ، لكنها لفت من حولها فخشيت أن تراها لكن نظرها مر من خلالها مما أثار دهشة شفاء عندما نظرت أمها يمينًا ويسارًا ثم ذهبت إلى باب المطبخ وأغلقته ، لكن ما قامت به بعد ذلك فسر كل شئ..

فقد إنحنت على الدرج الأسفل حيث يوجد سم الفئران.. فوضعت شفاء يديها على فمها خوفًا من أن تصدر صيحة رعب، فقد تناولته وأخرجت ملعقة خشبية بداخله لتضع القليل منه على طبق السبانخ التى كان يعشقها أبيها ، تذكرت أنه قد طلب منها قبل وفاته مباشرة ذلك الطعام الذى يرفضه أولاده جميعهم لكنه كان يحبه ..

صرخت شفاء وهى تراها تُقلب السم فى الطعام وتُلقي بالسم بعد ذلك من النافذة المطلة على أرض فضاء من خلفها..صرخت شفاء و همست لنفسها فى رعب قاتل:

- اللعنة.. أتكون أمى قد سممت أبى..؟، أيكون قد مات فجأة نتيجة للتسمم من هذا الطعام ..؟، أتذكر يومها أن أمى لم تكن فى المنزل، بل أعدت الطعام فى الصباح ثم سافرت إلى الاسكندرية تاركة السبانخ والتى لا أطيقها.. مستحيل.. إن ذلك مستحيل تمامًا..

تغير المشهد مرةأخرى إلى ظلام تام، ثم ظهر أبيها وهو يضع الطبق أمامه ويتناوله وبينما كانت شفاء تصرخ إلى جواره وتحاول إمساك يده لكن دون جدوى.. لقد تناول المسكين الطبق كاملاً ثم ذهب إلى المطبخ وقام بغسل الأطباق كى لا يجهدها عندما تعود من الكلية فى المساء .. قام المسكين بعمل شاي له ثم ذهب ليتمدد فى سريرها وفجأة بدأ فى التألم وإمساك معدته.. بدأ فى الصراخ ولا من مجيب، حاول أن يقوم ولكنه وقع مرة أخرى على الأرض ممسكًا ببطنه وهو يصارع الموت حتى لفظ أنفاسه الأخيرة دون أن ينجده أحد...

- اللعنة.. أتكون أمى قد قتلته بالفعل..؟

رد أبيها على هذا التساؤل بعد أن عاد المشهد مرة أخرى إلى منزلهم فى الاسكندرية وهو يجلس على حافة السرير بينما وضعت شفاء رأسها على كتفه وهى تبكى:

- نعم يا بنيتى، هى من قامت بسمى.. إن أمك هى السبب فيما وصلتى إليه الآن،هى السبب فى كل شئ ، نعم..غير مصرح لي بكشف الحقيقه لك لكنها السبب.. لقد تخلصت منى وفي الصباح ستسممك كما فعلتها معى.. هم لا يريدونك وسطهم.. تخلصى من تلك المرأة قبل أن تقوم بقتلك أنتِ وإخواتك.. إنقذى نفسك .

بدأ أبيها يقف و يتجه إلى منتصف الغرفة وبدأ فى التلاشى، لكن شفاء مدت يدها إليه فى محاولة للتشبث به :

- أبى... لا تذهب أرجوك.

أشار إليها مودعًا وقبل أن يختفي أثره نهائيًا كانت آخر كلماته التى ظلت تتردد فى سماء الغرفة:

- وقتى هنا معكِ إنتهى.. كان لابد من تحذيرك قبل فوات الأوان ، انقذى نفسك بالله عليك..سوف أحذر أشقائك عندما يحين وقتهم..انقذى نفسك يا شفاء.

إختفى أبيها ولكنها لا زالت تشعر بملمس يديه على وجنتيها ورائحته التى ملأت غرفتها، عادت مرة أخرى إلى أفكارها الملعونة.. وبدلاً من التخلص من نفسها بالإنتحار كان عليها أن تتخذ قرار آخر وهو كيف تتخلص من تلك المرأة..؟

- هل أقتلها قبل أن تقوم بقتلنا جميعًا..؟، ويكون الجزاء من جنس العمل..؟

قامت من على سريرها وتفاجأت أنها فعلاً كما أخبرها أبيها قد أصبحت قادرة

على الحركة وأن يديها وأقدامها حرة، حاولت فتح الباب فوجدته غير مغلق وقد نسى ممدوح غلقه من الخارج بذلك ا لقفل ..

كان عليها التريث قليلاً حتى تفكر أين تضع لها السم دون أن يتناوله أشقائها..

- نعم .. فى الدواء.

همس لها خاطر وقتها وكأنه إبليس ، أن تضع السم فى دواء قرحة المعدة الذى تتناوله ثلاثة مرات يوميًا، تلفتت يمينًا ويسارًا بسرعة وأخرجت السم الذى أخذته من قبل ووضعت ما يكفي لقتلها فى علبة الدواء وقد رجته جيدًا، ومن حظها أن الدواء كان شراب وليس حبوب ، ووضعته بجوار زجاجات المياه كما تعودت على وضعه..لم تندم على أى شئ، وبعد أن أغلقت الثلاجة همست لنفسها:

- حسنًا... كما فعلت أمى تمامًا.

وفتحت نافذة المطبخ ثم ألقت بالسم خارجه..وابتسمت فى تشف واضح وهى تُطفئ المصباح متجهه إلى غرفتها فى عجل .

***

فى صباح اليوم التالى سمعت شفاء والدتها وهى تصيح على شقيقها لإحضار زجاجة الدواء الخاصة بالقرحة التى أَلّمت بها مؤخرًا ..وقد ذهب ممدوح إلى الثلاجة ليحضر لها الدواء.. كانت تسمع كل ذلك وهى تلصق أذنها خلف الباب..

كانت مُغيبة تمامًا ولا تدرى سر ذلك الشعور بالسعادة التى إنتابتها أخيراً لتخلصها من أمها..عادت مرةأخرى إلى سريرها قافزة عليه وأرهفت سمعها فى إنتظار سماع صوت صرخات والدتها..

كان مبررها الوحيد كما تدين تدان.. تذكرت أوقاتًا كثيرة كانت تسمع خلافاتهم وتأفف والدها المستمر منها، لكن المسكين كان يتحملها بكل الطرق.. دومًا كانت

تشكو من الحياة وتشكو من ظروفهم الصعبة مما جعله يعمل جاهدًا على توفير لقمة عيش هنيئة لأسرته الصغيرة على حساب صحته.. صحته التى طالما ألحت شفاء عليه أن يهتم بها ، لكنه كان كعادته يوفر من قوت يومه، وبدلاً من الذهاب حتى إلى طبيب قلب لإستشارته بعد الأزمة القلبية التى أصابته من قبل... إلا أنه رفض ذلك متعللاً أنه أصبح بخير.

- لعنة الله على تلك الأزمات القلبية..فقد حرمتنى من أعز ما أملك.

عندما تفوهت شفاء بهذه الجملة دق قلبها فجأة وكأنها قد تذكرت شيئًا ما..

- ياربى .. يالغبائى..إن أبى مات نتيجة أزمة قلبية وليس مُسممًا كما رأيت بالأمس أو كما هُئ لى أن أرى أو خُدعت لأرى، يا إلهى.. هل وصلت بى الحماقة ألا أعلم الفرق بين السببين ..؟، إن أبى قد مات على سريرى وهو نائم ، ولم يمت وهو يتلوى من السم على أرضية غرفتى..

اللعنة.. أيكون ذلك الشيطان قد صُور لى على شكل أبى وأتى إليّ مرة أخرى ليصيبنى بالجنون.. ولم لا...؟، وقد تصور فى شكل فاتن من قبل مما جعلنى أحاول قتلها..

- أمممى .....

صرخت شفاء بكل ما تملك من قوة.. وحاولت القيام من السرير فلم تستطع ، فقد عاد الشلل تمامًا فى جسدها مرة أخرى.. صرخت على ممدوح بأعلى صوت ولكن فى المرة التالية خرج صوتها متحشرجًا كإحتضار الموتى ، ومن أمامها بدأت الظلال تتراقص فى المرآة ومعها تلك الأصوات الهيستيرية لضحكات ذلك الشيطان..

وضعت يدها على أذنها والتى كادت أن تصاب بالصمم من تلك الأصوات ، أما يدها الأخرى فقد عادت إلى تيبسها.. برقت فى ذهنها فجأة فكرة ، فتناولت تمثال

رخامى صغير على شكل قطة كان موضوعًا على الكومود القريب منها وألقت به بشدة نحو المرآة التى تهشمت إلى عشرات القطع..

وفجأة دخل ممدوح إلى الغرفة صارخًا وهو يتساءل عما حدث وقد تبعته فاطمه أيضًا من خلفه ، ولكن شفاء شعرت أن أمها ليت بخير فقد بدا عليها أنها تشعر بشئ ما، فقد كانت تضع يدها على بطنها.. لم يكن قد مر وقت كافى لإنتشار السم فى جسدها والذى سيبدأ مفعوله خلال نصف ساعة من تناوله، شعرت شفاء أنه لا زال هناك بصيص من الأمل.. فخرج منها صوتًا متعبًا وهى تصرخ فى شقيقها :

- ممدوح..أنقذ..أمى.. فورًا..لقد.. دسست..لها سم.. فى..علبة دواء قرحة.. المعدة.. أسرع بالله عليك.. أسرع وإلا ستموت خلال دقائق..

لم ينتظر ممدوح إعادة الجملة مرة أخرى، وكأنه كان يتوقع أنها ستفعل مصيبة ما ، فحمل أمه حافيًا وفتح الباب ليهبط سريعًا حتى دون أن ترتدى شالاً على شعر رأسها وسط صراخ فاتن التى هرعت من خلفهم..

***

- مجنونة... نعم أنا مجنونة.. ثلاثة أيام كاملة لم أنم.. كل لحظه كانت تمر علىّ كنت أدعو الله ألا تصاب أمى بمكروه، وخاصة أنى لم أعلم عنها أى شئ، كل ما علمته أنه تم إنقاذها فى آخر وقت ، وظلت بالمستشفي طوال هذه الفترة للعلاج من آثار السم الذى أخذ وقتًا طويلاً للعلاج من مضاعفاته حتى إطمأنت المشفى أخيرًا ، وعلمت من شقيقى أنهم قد أبلغوا الشرطة بالطبع ، لكن أمى المسكينة إعترفت أمام الشرطة أنها كانت تضع سم للفئران ويبدو أنها نسيت أن تغسل يديها وتناولت طعام ملوث به، وعندما شعرت بالألم ذهبت سريعًا إلى المستوصف القريب الموجود فى كنيسة العذراء مريم، فقاموا بالإسعافات اللازمة ونقلت على المستشفي العام القريب..

لم أعلم بحالتها إلا من أخى الذى صار مُتجهمًا كلما رآنى.. ورغمًا عنه قام بتقييد قدمى فى السرير بقيد محكم حتى لا أرتكب أى حماقةأخرى فى القريب ، ولم تفلح إعتذاراتى ولا توسلاتى لجعله فقط يُسمعنى صوت أمى فى الهاتف لكى أعتذر لها دون جدوى..

إنى أترك لكم هذه المذكرات عندما أغيب عنكم وأنا على ثقةأن ذلك سيحدث فى القريب العاجل ، لتعلموا أن كل ذلك يحدث رغمًا عنى ..أقسم لكم أنى لم أكن أقصد ..أقسم لكم أنه تصور على هيئة فاتن وحاول قتلى وكل ما فعلته هو الدفاع عن نفسى فقط ، أقسم لكم أنى قد رأيت أبى ليلتها ورأيت كذبًا ما كانت أمى تقوم به ..أعلم أنه ذلك الشيطان بداخلى هو من صور لى ذلك وجعلنى أحاول قتل أسرتى..

أصبحت أخاف من نومى أو حتى صحوتى فهو قد أصبح قادرًا على الوصول إلى مخى وتشكيل ذاكرتى من جديد.. هذا كله شئ وما بداخلى شيئًا آخر..

بدأ الجنين يتحرك بأحشائي ، وبدأت بطنى فى الظهور..لعنة الله على تلك الظروف التى جعلتنى ضحية لشيطان..أهملت علاجى وأهملت طعامى وشرابى خلال الأيام الماضية، فقد تيقنت أن ذلك سيكون طريقى إلى الراحة الأبدية بعدما عجزت عن الإنتحار.. ثلاثة أيام وأنا أرفض تناول أى طعام أو علاج حتى عادت أمى مساء اليوم.. حاولت أن أصيح عليها أو أتوسل إليها فقط لتسمعنى ، لكن بمجرد دخولها فتحت باب غرفتى ونظرت إلىّ بنظرة لن أنساها ما حييت قائلة فى إشمئزاز واضح:

- كم أتمنى أن تموتى الآن قبل أن تقتلينا أيتها المجنونة.. لا أدرى لما لم أُخبر الشرطة بمحاولاتك لقتلنا.. لعنة الله على قلبى الذى لا يزال يحمل لكِ بعضًا من الحب.

أعلم أنكِ قلتيها رغمًا عنكِ يا أمى ، وأعلم أن منزلتى فى قلبك لم تتغير ، لكنها الظروف يا أمى التى تجبرك على الدفاع عن أشقائى من الضياع بعد أن ضعت بالفعل ، عندما غادرتى غرفتى يا أمى وأنتِ تصفعين الباب خلفك علمت أن ما بيننا لا يمكن إصلاحه أبدًا ، لقد تركتينى مرغمة، وظللت أبكى حتى الفجر وقت كتابة رسالتى تلك إليكم ، أبكى بكل جوارحى لتفهموا فقط ما الذى حدث.

أعلم أنكِ معذورة.. بالطبع معذورة.. فإبنتك حاولت قتل شقيقتها الصغرى وبعد أيام تحاول قتلك.. نعم لقد أصبحت مجنونة تمامًا، وفى الحقيقة أصبحت لا أدرى هل كل ما مر بى كان محض خيالى المريض أم لا..؟، ولم لا..؟، هل ثبت أى شئ مما توهمته إلى الآن..؟، بالطبع لم يثبت أى شئ ..وتلك الأوراق التى ستكون

بين أيديكم لن تثبت أى شئ ، إلا شئ واحد ..ذلك الملعون الذى يتحرك فى أحشائي ولا أدرى كيف سيستمر بى الوضع هكذا..

لقد تعبت من الكتابة.. سأكمل لكم فى وقت آخر حكايتى منذ بدايتها ، فتلك الصفحات كتبتها فى عدة ساعات ، ورغم إرهاقى إلا أنى صممت على كتابتها على الكمبيوتر ربما تروها فى يوم ما ..

***

نامت شفاء في سريرها بعدما أنهت كتابة تلك السطور بمشقة بالغة وقد غلبها النوم من كثرة البكاء ، ولكن بعد إستغراقها عدة ساعات فى النوم أفاقت على تلك الأغنية الملعونة مرة أخرى.. مما يعنى أنها ستمر بمصيبة ما فى القريب.. لم تعد تدهشها أو تخيفها، لذلك قامت وإنتظرت ما سيحدث، لكن لم يحدث أى شئ..

قامت بنصف جسدها لرؤية أى شئ حولها ولدهشتها وجدت قدمها وقد تحررت من القيد وأصبحت حرة تستطيع الحركة، وكانت تلك إشارة إلى أن شيئًا ما ربما يحدث بالخارج..فقد كانت الأغنيه تشدو بنفس الصوت الممل المرعب الكئيب والذى لا يتغير عن أول مرة سمعتها فيها فى حانوت غفران الملعون.

شعرت أنها سليمة تمامًا عندما حركت يديها وقدميها فقامت من سريرها وسارت على أطراف أقدامها وهى تحاول أن تعلم مصدر تلك الأغنية ..لكنها توقفت مشدوهة عندما وجدتها تخرج من غرفة ممدوح شقيقها .. فتحت عليه الباب بمنتهى الهدوء وإذا بالأغنية تصدح من جهاز الكاسيت الموجود إلى جواره فإقتربت ببطء وأغلقته وهى تنظر إلى المكتب..

ولكن فجأة تيبست قدماها فى رعب عندما رأت عليه كتب رحمة وهاتفها المحمول والذين اختفوا تمامًا من بعد اختفائها فى سكنهم بالقاهر....

- اللعنة.. ما علاقة أخى برحمة..؟، أيكون كل ذلك من نسج أفكاره..؟

إقتربت أكثر من المكتب و هى تمد يدها على شريط طبى من عقار تعلم جيدًا أنه يسبب الهلوسة ويشبه إلى حد كبير تلك الأدوية التى تتناولها يوميًا من يد ممدوح فقط.. تصارعت الأفكار السوداء داخل رأسها كعادتها..لكنها رجعت إلى الخلف وهى تهز رأسها نفيًا وتهمس لنفسها:

- بالطبع كل ذلك ليس من أفعال أخى.. لن أسمح لذلك الملعون بأن يسيطر على عقلى مرة أخرى.

صاحت عليه لتوقظه وتسأله عن السبب فى وجود تلك الأشياء على مكتبه وكيف وصلت إليه لكنه كان غارقًا فى النوم.. حاولت إيقاظه وتحريكه دون جدوى..

كانت تقاوم نفسها بتلك الإستنتاجات الغبية التى تراودها من وقت إلى آخر.. لكن وجود كتب رحمة وإسمها الموجود عليها وكذلك هاتفها ووجود ممدوح أصلاً فى وقت إجرائهم لتعويذتهم الملعونة ..نعم هى تتذكر عندما أفاقت كان بجوارها وهناك من كان خلفها وقت ترديدهم الطقوس السحرية لكنها لم تلتفت جيدًا إلى هذا ، كما أنه تغير من ناحيتها هو الآخر فى الفترة الأخيرة.

وضعت يديها على رأسها وكأنها تقاوم ذلك الشيطان الذى كان يصارع عقلها ، كانت بين رأيين بداخل عقلها أحداهم يُكذب كل ما تراه ويقسم لها أن ذلك من وحى أفكارها السوداء وتأثير ذلك الملعون عليها، والآخر يؤكد لها أنها كانت مجرد لعبة منذ البداية..

حاولت شفاء الصراخ والهروب دون جدوى.. ورغمًا عنها وجدت نفسها تسير بهدوء إلى المطبخ.. كانت ترى نفسها وكأنها بداخل كابوسًا ما ، لكنها غير متحكمة كليًا فى أفعالها..توقفت فى المطبخ واتجهت إلى الرف السفلى الذى كان موضوعًا به السم فتحت عيناها على اتساعهما وهى ترى يديها تمسك بجركن الجاز..ثم تتجه

إلى البوتاجاز وتمد يدها بتلقائية لتأخذ علبة الثقاب وتضعها فى ملابسها..حاولت أن تصرخ من داخلها حتى تفيق دون جدوى ..

كانت على علم أنها بداخل كابوس حقيقي يسير على قدمين ، لذا كان عليها أن تستيقظ منه الآن.. كانت مجبرة لم تكن تشعر بأقدامها ولا بيديها ولا حتى بعقلها .. كان ذلك الشيطان مسيطرًا عليها بالكامل.. بدأت فى الصراخ والحشرجة وهى تحاول أن تلفت نظر أمها أو فاتن أو حتى ممدوح المستغرق فى النوم بشدة .. أغمضت عيناها فى ألم وكان آخر ما رأته وهى تقوم بإلقاء الجاز على سرير شقيقها وكتبه ودولابه وأرضية غرفته والحوائط..تحركت وهى مغمضة عيناها وهى تبكى وتنتحب ويخرج منها حشرجة كحشرجة الموتى ، ووصلت إلى مدخل الغرفة وبدأت فى الضحك الهيستيري رغمًا عن دموعها التى بدأت تسيل .. فتحت عيناها مرةأخرى عندما سمعت سعال أخيها فقد كان قد بدأ يتململ من صوتها المتحشرج..حاولت شفاء النداء فخرج صوتها متحشرجًا مرةأخرى مع الضحكات الشيطانية، وكأن هناك صوتين فى جوفها، أحدهما يضحك بجنون والآخر يصرخ بهيستريا، وقبل أن تخرج قام ممدوح فجأة على رائحة الجاز،فنظر مرعوبًا إلى شفاء التى كانت واقفة بجوار باب الغرفة وهى تضحك بهيستريا وتُخرج علبة الثقاب من بين ملابسها وتلتقط عودًا لتبدأ فى إشعاله وهى تهمس بكلماتها الملعونة...

أغمض ممدوح عينيه وفتحهما مرةأخرى على اتساعهما، فربما كان هو الآخر بداخل كابوس، ولكنه لم يستوعب الأمر إلا بعد أن ألقت شفاء عود الثقاب المشتعل بداخل الغرفة وخرجت مسرعة بعد أن أغلقت الباب خلفها.

***

لحظات مرت كالدهر ، كانت تشاهد كل ذلك وكأنه فيلم سينيمائى وهى تقف على باب غرفتها ..وبدأ الصراخ..

عويل أمها.. ذهول فاتن وتجمدها مكانها من شكل النيران..صراخ الجيران من خارج باب الشقة ليفتحوا الباب.. نحيب ممدوح وصراخه بعد أن طالته النيران فأمسكت برجليه فأحرقتها بالكامل..وشكله وهو يجرى فى الشقة محاوله إطفائهما حتى وقع على أرضية الصالة مُلتاعًا.. محاولة الجيران كسر باب الشقة بعدما أُغشي على أمها من منظر ابنها وهو يحترق أمامها.. فاتن التى أُصيبت بإنهيار عصبي بعد رأت أمها تسقط على الأرض فظنتها ماتت مع ممدوح فكادت أن تُلقي بنفسها من النافذة، لولا أن لحقها بعض الجيران الذين نجحوا فى كسر الزجاج فى شراعة الباب وأدخل أحدهم يده ليفتح الباب من الداخل.. فدخل الجميع بسرعة وكل واحد ذهب فى اتجاه ، وبعد دقيقتين نجحوا فى إخماد النيران وسط دهشتهم من مشاهدتهم شفاء وهى تضحك وتشير إلى أمها وفاتن وممدوح الساقطين أمامها ..

اقتربت منها أحد الجارات وهوت بلطمة شديدة على وجهها لتُسكت تلك الضحكات الهيستيرية بعدما طلبت منها أن تصمت دون جدوى فهوت على الأرض وقد عاد إليها رشدها وتحكمت مره أخرى فى جسدها..وقتها علمت قدر المأساة التى تسببت بها منذ دقائق.. ووقتها فقط أدركت أنها لم تكن تحلم وسيتكرر هذا الكابوس عشرات المرات..وأدركت أن مجرد وجودها خطر عليهم وعلى نفسها..

وقتها واتتها الشجاعة أخيراً للتخلص من حياتها ..

للأبد....

فأمسكت قطعة من الزجاج المكسور من باب الشقة وقطعت شرايين يدها..

***

لم تدر شفاء كيف مر الوقت عليها ولا متى أو ماذا حدث..؟، كل ما تتذكره مجرد صور لوجوه تطوف من حولها ممزوجة بصراخ الجيران، وأحدهم يجري بها مسرعًا إلى المستوصف القريب.. وبمجرد دخولها دخلت فى غيبوبة عميقة لم تفق منها إلا بعد عشرة أيام كاملة..وبعد إفاقتها بدأ الجزءالثانى من حياتها حرفيًا وفيه علمت كل شئ.. علمت كيف كانت ضحية منذ اللحظة الأولى..

بمجرد أن فاقت وجدت يدها السليمة مقيدة إلى جانب السرير المعدنى مما أصابها بالتوتر ويدها الأخرى عليها رباط شاش طبي ملتف حول معصمها الذى حاولت قطع شريانه من قبل.. نظرت حولها فكان من الواضح أنها بداخل عنبر به عدد من الأَسرة البيضاء الفارغة، فعلمت أنها فى مستشفي ما ، لكن ما أقلقها تلك القضبان الحديدية الموجودة على كل نوافذ العنبر ، وأصبحت لا تعلم هل هى بداخل مشفى أم سجن ..؟

بدأت بالنداء دون أن يرد عليها أحد، وحاولت الصراخ على من بالخارج.... وسمعت صوت نداء فتاة ترتدى الملابس البيضاء فى مثل عمرها تقترب منها وهى تنظر إليها بشفقة قائلة:

- إهدئى يا شفاء بالله عليكِ، أنتِ دومًا فى غيبوبة ،صراخك بهذا الشكل سيعرضك لنوبة قلبية، إهدئى بالله عليك .

عاندت شفاء أكثر فى الصراخ بعد فشلها فى محاولة نزع القيود الحديدية المكبلة بها فى عارضة السرير المعدنى وصرخت فى الفتاة المذعورة قائلة:

- لما تعاملونى هكذا..؟ ، لما أنا مقيدة.. ؟فكى لى هذاالقيد بالله عليك ، أكاد أُجن.

تراجعت الفتاة مرتعبة من شفاء ، ولكنها حاولت أن تبدو قاسية أمامها ، فتحدثت بكل جدية:

- إهدئى يا فتاة وإلا سأعطيك حقنة الآن فى وريدك لتصبحى عاقلة رغمًا عنكِ، لقد قمنا بتقييدك لمحاولتك الإنتحار، وخطورتك على من حولك فى المستشفى.

حاولت شفاء القيام مرةأخرى لكنها عجزت فأقتربت الممرضة مسرعة وهى تسند نصفها العلوى على عارضة السرير المعدنى ووضعت وسادة قطنية خلفها، فأجابتها شفاء ولا زالت مندهشة من حديثها:

- إنتحار ..نعم تذكرت فى منزلنا .. ولا أدرى لماذا أنقذنى الجيران ..؟، لكن ما هى خطورتى على من حولى فى المستشفي ..؟، هل تأذى أحدًا ما هنا بسببى هو الآخر..؟

هدأت الفتاة هى الأخرى واقتربت من شفاء وهى تضع ترمومتر فى فمها لقياس حرارتها وهى تحدثها بمودة:

- فى بداية الأمر وبعد محاولات إنقاذك بعدما قمتى بقطع شريانك بقوة كنتي فى غيبوبة بعد إنقاذك مباشرة، ولكن ليلتها الممرضة التى كانت فى النوبتجية المسائية أقسمت أنها قد رأتكِ تزحفين على أربع فى آخر الممر ، وقبيل الفجر مباشرة، وأنتِ تمسكين مشرط طبى فى فمك وتحاولين الدخول إلى أحد العنابر المغلقة، وعندما إقتربت منك للإمساك بكِ قمتِ بإصابتها فى بطنها بالمشرط، وكانت فى حالة حرجة بالمستشفي ..لكنها تخطت مرحلة الخطورة، الحمد لله .

لم تندهش شفاء من الحديث لكنها أردفت :

- ثم أمسكتم بى وقيدتمونى فى هذا السرير.

- نحن نعلم ظروفك المرضية ،وكل ما حدث لكِ من حديث أحد الجيران إلى مدير المصحة النفسية...التى نُقلتى إليها بعد محاولةإنتحارك.

فتحت شفاء عيناها على إتساعهما وهى تصرخ:

- مصحة نفسية..؟

- ليس معنى وجودك فى مصحة نفسية أنكِ مصابة بالجنون يا شفاء.. فكلنا نمر بحالات نفسية سيئة، وجيرانك أخبرونا عن الهلاوس السمعية والبصرية التى تأتيكِ ليلاً وعن بعض محاولاتك العداونية مع أشقائك، وسوف نقوم بعلاجك على الوجه الأكمل، فلا تخافي.

قاطعتها شفاء صارخة:

- فكى قيدى، إننى أختنق..

- لا أستطيع، وإهدئى من فضلك على الأقل عليكِ أن تخافى على الجنين الذى لا حول له ولا قوة، إن عصبيتك ستصيبه بأضرار ، إهدئى بالله عليكِ، وإلا وصل صياح..

صرخت شفاء أكثر فأكثر بعدما سمعت موضوع جنينها..فحاولت جذب القيد المعدنى الذى يقيد يدها السليمة إلى العارضة الحديدية ، فكانت تشعر أنها تختنق بالفعل ولذا بدأت فى الصراخ، الصراخ فقط هو كل ما كانت تستطيع فعله بجسدهاالنصف مشلول، وما هى إلا لحظات حتى كان بالغرفة الطبيب ومساعده الذى غرس إبرة فى يدها بناء على أوامر الطبيب.. فغابت عن الوعى مرة أخرى..

***

وفى المصحة حيث كانت تعالج شفاء دون جدوى ، فحالتها النفسية كانت تمر من سئ إلى أسوأ ودومًا مقيدة فى السرير لمحاولتها الإنتحار مرة أخرى بعدما غرزت مشرط طبى فى بطنها دونما سبب أمام الاخرين ..

مرت عليها الأيام كأنها أسابيع، والأسابيع كأنها سنوات، وسنوات عمرها تتسارع لتلقي بها فى كهف النار ..شعرت وكأنها ستظل فى هذه المصحة إلى أبد الآبدين..علمت أنها مصحة إلى حد ما مجانية وبها جناح خاص بالأجر ، وعلمت

منهم أن عمها هو من يأتى إسبوعيًا ويترك لها مبلغًا باهظًا من المال لتكاليف العلاج ، ويقابل الأطباء ويقوم بتوصيتهم عليها..

سألت كثيرًا على أهلها فأخبروها أن لا أحد يزورها ..حاولت الإتصال للإطمئنان على ممدوح ، فأغلق الهاتف فى وجهها،حاولت تعرف مَن عمها هذا ، لكنها كانت على يقين أنه ربما كان والد أدهم بالطبع ..

أصبحت تتحرك بالكرسى الخاص بها بصعوبة،حتى تتكرم إحدى الممرضات بإصطحابها للتنزه قليلاً فى حديقة المصحة..بعدما يفكوا ذلك القيد الحديدى المربوط دائمًا فى جانب السرير.. وعندما كانت تجلس بجوار تلك الشجرة العتيقة هناك حيث كانوا يتركوها للإستجمام ، كانت تتخيل حياتها قبل دخول ذلك المسخ وبعدها..

وضعت يدها على بطنها فشعرت بتحرك الجنين وكأنه يمد يده ليحييها هو الآخر ..لم تعلم ما ذنبه أو ذنبها أو هل يكون بشر أو جني أو شيطان، لا تعلم.. بدأت فى الحديث مع نفسها بعدما بدأت فى البكاء عندما شعرت أنها قد إشتاقت جدًا إلى أهلها ، لكنها ردت على نفسها فى أسى:

- لن أندهش من عدم قيام أحد من أهلى بزيارتى.. سألت عليهم عشرات المرات فأخبرونى أن شقيقى إتصل بالطبيب المعالج لى مرة واحدة، وسأل عن حالتى ثم اختفى.. لم يأتى لزيارتى مدة إقامتى التى وصلت اليوم إلى شهرين ونصف.. أريد فقط الإطمئنان عليه وعلى مدى سوء حالته .. حاولت مهاتفتهم لكن دون جدوى.. لم تسمح لى أمى حتى بالإعتذار إليها.. فهى دائمًا تغلق الهاتف فى وجهى بمجرد سماع صوتى ، أخبرتنى فقط أن ممدوح أصبح مشوه طيلة عمره بسببى.. عادت إلىّ فكرة الإنتحار، وكلما نويت أفشل .. الموت البطئ هو أنسب ما قد يحدث لى خلال أيامى القادمة، الجميع هنا يعاملنى بشفقة وخصوصًا

المرضات الذين يساعدونى دومًا،وكم حاولوا التدخل للصلح بينى وبين أهلى، لكن دون جدوى..

لم أعد أعرف وجهى فى المرآة.. إنتشر البياض فى نصف شعرى وتحولت وجنتى إلى اللون الرمادى ..أما هو فلم يراودنى طيلة الشهرين إلا ثلاث مرات فقط.. وقتها أشعر بالفعل أنى أسير مقتادة إلى ذلك الكهف الملعون بداخل المقابر.. أشعر وقتها أنى حبيسة فى أحد تلك الكهوف، وحارسى هو مخلوق مشوه يمسك عصى مدببة بآلة حادة، يحرقنى كلما حاولت الخروج، حتى بعد أن ينتهى منى ذلك المسخ..

***

كانت الأيام تمر عليها بصورة روتينيه مكررة حتى أتى اليوم الموعود..فأخيراً أخبرتها إحدى المرضات أن عمها فى إنتظارها فى حديقة المصحة وبَشرتها أنه فى خلال أسابيع قليلة سوف تتركهم لأنه توصل إلى إتفاق لعودتها إلى المنزل معه بشرط أن تكون قد تحسنت ولو قليلا.. لم تعلم من داخلها هل تفرح أم تحزن ، ثم إلى أين تذهب لو رفضها أهلها.. وبالتأكيد فرفضهم سيكون هو الأغلب.

ودفعتها إلى الحديقة وهى تتوقع رؤية والد أدهم ، حتى أنها قلبها دق كثيراً عندما ظنت ذلك ، وشعرت أن أدهم سيكون معه بالتأكيد..لكن عندما ذهبت إلى الحديقة وجدت آخر شخص فى العالم تتوقع أن تقابله ... فقد كان العجوز غفران الذى وجدته يجلس على أحد المقاعد الخشبية فى إنتظارها، وما إن رآها حتى إبتسم ولوح لها من بعيد و قام مستنداً على عكازه الخشبى وهو يقترب منها وعلى شفتيه تلك الإبتسامة المتسامحة مع نفسه ، لكنه صعق عندما نظر إلى بطنها الممتلئة..

لقد صعقا كل منهما من روية الآخر

الفصل العاشر

الاعتراف

***

حينما تفارق جزء من روحك وتضطر للتخلي عما يشق عليك التخلي عنه.. يكون أحيانًا كل ما تستطيعه أن تومئ برأسك وتمضي بخطوات متثاقلة في طريق لا تتبين ملامحه من عيون أغشتها دموع قد تجمدت في محاجرها.. فلم تعد ترى سوى ظلال لذكريات لا زالت تنبض بالحياة ..وقلبك مُنهك يعتصره الألم وكأنه هارب من عاصفة قد إقتطعت جزء منه وقد توقف نبضه ليهمس لك:

الآن فقط يا صديقي .. لم يعد لدينا ما نخشى عليه.

***

بذلت شفاء مجهودًا جبارًا حتى تستطيع التحكم فى مشاعرها وأعصابها، فكانت تُمنى نفسها برؤيةأدهم ووالده فإذا بها ترى الشخص الذى تسبب فى حدوث كل تلك المآسى لها ولأسرتها ..

فكرت فى محاولة الصراخ ، لكن إن فعلتها فسيعودون بها إلى الداخل ، ووقتها فربما هرب العجوز إلى الأبد ولن تراه مرةأخرى ..كانت الرغبة فى معرفة الموضوع بأكمله هى ما جعلتها تكظم غيظها وتجلس بهدوء وهى تتطلع إليه فى غلٍ واضح .. وهو يتكلم فى وهن وهو مطأطئ الرأس :

- قبل أن أخبرك بكل شئ أنا أعتذر لكِ .. أعلم أنه حتى اعتذارى غير مقبول وسيبدو سخيفًا بالنسبة لحجم الآلام التى تسببت لكِ فيها ، لكنها إرادة الله ..كل منا مجبر على فعل أشياء مستحيل يفعلها بإرادته الطبيعية .. أنا لست بهذا السوء كما تظنون ، لقد أتيت فقط لأشرح لكِ كل ما أردتى معرفته وطريقك للخلاص.. كل ما أريده منكِ هو أن تنصتى إلىّ جيدًا يا ابنتى.

وبدأ يتحدث ويتحدث كثيرًا فى الإعتذرات وكيف أنه أُجبر على ذلك تمهيدًا لما يريد أن يخبرها به..وقتها كانت شفاء تضغط على أسنانها غيظًا فلم تنطق بكلمة وظلت تنصت إليه ، وكم ودت لو نهضت من على ذلك الكرسى المتحرك لتحطم جمجمته الهشة.. أو حتى يقترب منها قليلاً، وقتها أقسمت لنفسها أنها لن تترك رقبته من بين أسنانها إلا وقد أزهقت روحه..وليكن ما يكون حتى وإن ظلت طوال

حياتها على ذلك الكرسى ..دارت فعلاً الفكرة فى رأسها فابتسمت ابتسامة صفراء وهى تقاطعه دون أن تهتم أو تلتفت إلى ما كان يقوله:

- لم لا تقترب منى قليلاً أيها العجوز اللعين ..؟ أريد أن أهمس لك بسر فى أذنك.

قهقه الرجل فى جذل وكأنها ألقت عليه نكتة وقال:

- إن أسنانك يا صغيرتى لن تستطيع إلتهامى بهذه السهولة.

لم تندهش شفاء بل على العكس هدأت قليلاً وتراجعت بظهرها إلى الخلف قائلة:

- لن أندهش أنك تقرأ أفكارى، فربما تعلم عنى ما لست أعلمه أنا.

- هذه حقيقة.. لقد أخبرونى بمكانك ..وعلمت أنك.....

صرخت شفاء غاضبة:

- من أخبرك..؟، أهلى ..؟!!، إن أهلى قاطعونى للأبد بسببك أنت وذلك الشيطان الذى يُسيرك..

- عندما أتى إلىّ ذلك الرجل الذى أرسلتيه.

قاطعته مندهشة..:

- أى رجل...؟!!!

- أدهم قريبك الذى جاء معك إلىّ وقت توقيع العقد..

فتحت شفاء عيناها على اتساعهما قائلة فى دهشة:

- أدهم..!! ، هل توصل إليك..؟ ،وأين ذهب..؟ ،ولما لم يخبرنى أنه جاء إليك..؟ ومنذ متى كان ذلك..؟

- منذ عدةأسابيع.. ولا أعلم بالطبع لما لم يحضر إليكِ، لقد سألنى كثيراً عما حدث ، لكنى أخبرته أننى لن أقص عليه أى شئ وسوف أحضر لمقابلتك عندما آخذ الإذن .

تأففت شفاء وهى تنظر بعيدًا عنه :

- لعنة الله عليك أنت وصاحب الإذن.. هو من أخبرك بوجودى هنا...؟

- نعم ..ليس هو تحديدًا، ولكن الخُدام من.....

قاطعته بغضب وحاولت أن تقترب منه لتمسكه من جلبابه، إلا أنه رجع فجأة إلى الوراء فأردفت:

- هل أنت سعيد الآن بعد أن كدت أن أنتحر مرتين.. هل أنت سعيد الآن بعد أن تركنى أهلى لمواجهة مصيرى المجهول وحدى ، بعد أن رفض الجميع حتى سماعى..هل أنت سعيد الآن بعد أن قطعت إصبع أختى وسممت أمى وحرقت أخى وأصبح مشوهًا لما تبقى له من العمر بسببى ..

قاطعها غفران مهدئًا:

- اهدئى ياابنتى.

صرخت شفاء أكثر واستمرت:

- لا تحدثنى عن الهدوء أيها الملعون .. لقد أصبحت معزولة عن العالم بسببك.. أصبحت مثلك ملعونة بشيطان أبدى لا فكاك منه..، هل أنت راضى عن نفسك وأنت فى أرزل العمر على ما فعلته بى ..؟ هل أنت راضٍ على ذلك الجنين الموجود ببطنى الآن..؟ ، هل توقعت كيف سأواجه المجتمع بطفل الحرام هذا.

أطرق العجوز بوجهه إلى الأرض وبدأ فى الحديث وهو ممسك بعصاه :

- لن أطيل الحديث عليكِ، سأخبرك بقصتى كما أخبرت قريبك ولكِ أن تحكمى ففى بداية عمرى كنت مما يعملون بالسحر الأسود وذاع صيتى وأصبحت مشهورًا فى قريتى والقرى المجاورة، ولكن بعدما حققت أموال طائلة كنت أعلم أن الله سيفتح لى بابًا سأصرف فيه كل المال الحرام الذى قمت بجمعه وقد كان.. كان

لدىّ إبنة، كانت هى كل حياتى، فقد توفى لى قبل أن تولد ولد قبل أن يبلغ عامه الأول.. لذا كنت أضعها بداخل عينى خوفًا من المستقبل .. ولكن بعد فترة حملت زوجتى رغم صعوبة ذلك لكبر سنها، وأخيراً ولد.. نعم هو الولد الذى كنت أنتظره منذ سنوات وسنوات.. وكما أعطانى الله ما أتمنى كان ذلك هو الباب الذى صرفت فيه كل ما أملك.. فقد كان مصابًا بمرض فى مخه يلزمه علاج قوى كل فترة، ومن عمليةإلى أخرى .. تركت السحر ودخلنا فى متاهة الأطباء والعلاج والسفر من طبيب إلى آخر ، حتى وصل إلى سن خمسة سنوات.. خمس سنوات من العذاب.. وقتها علمت أن ذلك ربما كان من غضب ربى على ما أقوم بفعله..

قاطعته شفاء فى ضجر:

- ليس لى دخل بكل تلك المأساة التى تخبرنى بها، أنا أريد أن أعرف لما أصابتنى لعنتك تلك.

استمر العجوز فى الحديث دون أن يلتفت إلى شفاء ، وهو مطرق إلى الأرض يدق عليها بعصاته :

- مات ابنى بعد سبع سنوات من العلاج والدعاء والرجاء والأمل.. وقتها عُدت إلى السحر بأسوأ مما كنت فى البدايات.. إحتضنت إبنتى وعزلتها عن الدنيا.. سنوات وسنوات وهى تكبر أمامى حتى بعد وفاة والدتها، أصبحت هى كل حياتى.. أما فى عملى فقد دخلت إلى عالم آخر.. كنت أريد أن أعوض كل ما فقدته من مال.. إنه عالم الرصد و فك الرصد

قاطعته شفاء متسائلة، وقد بدأت تهتم بحديث الرجل:

- الرصد..؟!! ، وما هو ذلك الشئ...؟

- الرصد يا شفاء هو حارس أو أكثر من الجن يقوم على حراسة كنز لإنسان قام بدفنه أو إخفائه في مكانٍ معين ، فيأتى الرجل بماله فيدفنه ثم يأتي بطلاسم

وتعاويذ شركية يتوسل بها لملوك الشياطين والجن لحماية كنزه أو المقبرة المحتوية عليه ، وقد برع الفراعنة فى ذلك وأصبح من المستحيل فتح أى مقبرة فرعونيةإلا بالإستعانة بشيخ يقوم بفك ذلك الرصد ، وإلا فإن كل من اقترب من المقبرة سيري أفعى أو العديد منها ، والذين لن يتزحزحوا عن المكان إلا بإذن الرصدالمتشكل فى صورة الأفعى على عكس عادة الأفاعى، فهى تهرب من الإنسان إلا إن كان قريبًا منها جدًا وخافت منه.

- وبالطبع كنت أنت الشيخ الذى يستطيع فك ذلك الرصد.

- نعم ، وكان الحل لأستطيع ذلك هو الإستعانة بملك من الجن الكافر، له طقوس ملعونة، وللحصول على خدماته قدمت له قرابين كُثر لكى أنال من بركاته .. وقد كان..

تعاهدنا عن طريق خُدامه بالسمع والطاعة وإظهار الولاء له مقابل مطالبته بمعاشرة فتاة جنسيًا تكون عذراء بجوار الحفر والحصول على جسدها بشرط أن تكون فى العشرين لتكون جاريته..فى نهاية كل خمس وأربعون يومًا.

قاطعته شفاء فى اشمئزاز :

- معاشرتها جنسيًا ..إذن هذا ما حدث لى مقابل.....

- انتظرى وانصتى لحديثى حتى النهاية ..هذا ليس شرطًا ، فالكثير من الجن قد يطلب ذبح طيور أو مواشى، والعديد منهم يطلب ذبح أطفال لفك الرصد والسماح لأهل البيت المدفون فيه الكنز بالحصول عليه، بل والأكثر من ذلك أن منهم من يطلب معاشرة فتاة من أهل البيت وهذا ما كان .. وكان علىّ إنهاء الطقوس كلها فى فترة وجيزة حتى يحضر ويأخد المقابل فى نهاية الفترة، وبالطبع كان سيمدنى عن طريق خدامه بكل ما أحتاجه من سمع وبصر ورؤية ومعرفة أماكن الكنوز فى باطن الأرض.. والإذن بالحصول على كل ما تقع عليه عيناى ..

هل تتخيلين ما الذى سأصل إليه.. هل تتصورين كمية الجبروت الذى سأكون فيه لمجرد تنفيذ أوامره فيما بعد.. وفى أول العهد بيننا فى الأربعون يومًا الأولى ملكت فيهم كل شئ..وفى النهاية أعلم أنه سيأتى ليحظى بجسد فتاته..كشرط لإستمرار مساعدته لى .

- والقرد..؟

- قرد..أى قرد..؟

- النسناس يا عم غفران ، هل نسيت النسناس الملتصق بك دومًا... ؟

- اااااااااااااه هو ليس بقرد، أحيانًا يكون أحد خُدامه وأحيانا يأتى لى هو على هيئة نسناس وأنت تشاهدينه على هيئة نسناس، وعندما قابلتك أول مرة كان هو متشكل على تلك الهيئة وكان يقترب منكِ، وإن كنتِ محل إعجابه سيتلمسك ، وهذا ما حدث كدليل على موافقته أن تصبحى جاريته.

- إذن فقد كنت أنا الفتاة المنشودة..

- بالطبع لا ، هذا الحديث منذ ما يقرب من ستة وثلاثون عامًا.

- و ماذا حدث..؟

- حضر إلىّ أخيراً سيدى وسيدك عفار بعد الخمس وأربعون يومًا.

شعرت شفاء بقشعرية مفاجئة لمجرد ذكر إسمه، فعلمت أنه بداخلها ويستمع إلى العجوز هو الآخر.. وكانت على يقين أنه هو الآخر يعلم بوجوده وسطهم ، فكان يتكلم علي ذلك الملعون بإحترام شديد..فأكمل فى وجع..:

- أربع وأربعون يومًا كنت على قمة السحرة، لم يعد أحد ينافسنى..كان الناس يطلبونى بالإسم لإستخرج الآثار والكنوز المدفونة.. ملكت فى تلك الأيام ما قمت بإدخاره طوال سنوات عمرى، حتى أتى وقت القصاص، وعندما ظهر لى فى الليلة

الخامسة والأربعون طلب منى تسليمه الجارية.. وبالفعل كنت قد أحضرت عدة فتيات ليختار بينهم، وكانوا جميعًا فى عمر إبنتى التى بلغت وقتها العشرون عامًا..

- ولكنه لم يختار إحداهم.. بل إختار إبنتك..

إبتسم العجوز بخبث وهو ينظر إلى عيون شفاء مباشرة قائلاً:

- وقد إخترتها يا سيدى.. وعلى الرغم من إلحاحى عليك أن تأخذ أى جسد آخر إلا أنك رفضت وهددتنى بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا لم أسلمك الفتاة ..

- ثم أكملت تعاويذك الملعونة، وتصورت أنه من الممكن أن تنتصر عليه.

- بالفعل.. وأخذت إبنتى ورحلت .

- كنت تتصور أيضًا أنه لن يصل إليك.

- وقد وصلت يا سيدى ، ولم تفلح معك أى محاولة للهرب.. نعم لقد وصلت.. أقسمت عليك وقتها بكل تعاويذ الحماية السفلية، لكنك لم ترضخ وأصبت إبنتى.. كل ما لدىّ من الدنيا.. خيّرتك بكل بنات القرية وأقسمت لك أنى لدىّ الطرق التى ستناسبك للإختيار منهم ، لكنك رفضت.

- لما تحدثنى وكأننى هو..؟ ، فلتدعه وتكمل كما بدأت..

تراجع غفران إلى الوراء قليلاً بعد أن لمح عيون شفاء تعود إلى طبيعتها إيذانًا برحيله عنها واستمر فى الحديث :

- حسنًا.. حسنًا.. وتملك جسد إبنتى.. وبدأت روحها تذبل أمامى دون أن تفلح أى محاولات طبية أو سحرية أو حتى دينية لإنجادها.. بدأ هو تلك الطقوس الملعونة وبدأت شفاء فى الشلل..أصبحت جسدًا فقط أمامى ،أما روحها فقد أخذها إلى أحد مقابره الملعونة داخل كهوفه النارية.

- نعم.. نعم.. تذكرت.. إبنتك هى أول الضحايا الموجود إسمها فى تلك الورقه التى وجدتها فى منزل صاحب العمارة.

- أى ورقة..؟

- ليس ذلك مهمًا.. أكمل ..

- أصبحت إبنتى مشلولة تمامًا ..والأغرب أنه فى كثير من الأوقات لم يعد يراها أحدًا غيرى، فقد أخذها إلى مملكته تاركًا روحاً مشوهة على ذلك الكرسي المتحرك ، لا تتكلم أو تسمع، مجرد جسد ميت وقد تملك جسدها الأصلى.. وعندما يشبع منها فإن روحها ترتد إلى ذلك الكرسي لتحدثنى بالعذاب الذى تلاقيه فى كهفه.. تعذيب وسادية وإغتصاب كلما أراد سيدنا..

- وإستمر فى هذا الوضع كثيراً..

- نعم ، وكان كل ذلك بنفس المقابل الذى أخبرتك عنه، ولكن فى المقابل كنت أرى إبنتى وهى تموت كل يوم، فكان لابد من المقايضة.

- مقايضة...؟!!

- عندما اشتد المرض على ابنتى و تم حجزها فى المستشفى بعد إصابتها بإنهيار عصبى مما كانت تراه مع عدم قدرتها على الحركة نهائيًا أو الكلام أو السمع.. دخلت فى مرحلة متأخرة لدرجة أن الأطباء أخبرونى أنه ليس لديها إلا عدة أيام فقط ، قمت بعمل كل ما أملكه من تعاويذ حتى علمت أخيراً أين أجده..وجدته هناك بالقرب من المقابر الملعونة للمماليك فى إحدى المقابر المعينة .. هناك كهفه من ضمن أماكنه العديدة .. خطفت ابنتى من المستشفي بعدما رشوت أحد سائقى الإسعاف لنحملها سويًا إلى أحد المقابر التى عرفت عنوانها جيدًا وبالإتفاق مع حارس المقابر كان علينا المبيت يومها كطقوس لترضيته.. وليلتها أمضيت الليل كله وأنا أتذلل له وأقوم بعمل كل تعاويذ الجلب حتى يظهر لى لطلبى أنا ، فقبل ذلك كان هو من يأتى إليه وقتما يحلو له..لم يكن لدىّ أى خيار آخر ، فابنتى تحتضر أمامى .. وظهر فأقسمت عليه بعمل الترضية أو المقايضة.

نعم هى مقايضة ملعونة على الحصول على جسد يقارب جسد إبنتى وبنفس الشكل والهيئة، والأغرب أنه إشترط مع كل ذلك أن تحمل صاحبته نفس الإسم.

- شفاء...

- نعم...!!!

- وماذا فعلت..؟

- أتعلمين كم عامًا ظللت أبحث عن ذلك الإسم الغبى الذى أطلقته على إبنتى والذى كان السبب فى شقائها.

- مثل شقائى بإسمى...كم ظللت..؟

- عشر سنوات..

- يا إلهى... هل ظلت ابنتك قعيدة ذلك الكرسى المتحرك عشر سنوات كاملة...؟

ضحك غفران فى ألم قائلاً بحزن:

- لا..بل ثمانية عشر سنة وتحديدًا فى بداية عام سبعون حتى ثمانية وثمانين قضت زهره شبابها وهى قعيدة عن الحركة فى ذلك الكرسى الملعون.

صرخت شفاء واضعة يدها على فمها :

- يا إلهى..!!، هل سأظل أنا طوال هذه المدة قعيدة ذلك الكرسى المتحرك...؟

استمر العجوز فى الحديث دون أن يلقي بالاً لما يقوله وكأنه نجح أخيرًا فى فتح قلبه ليستمع إليه أحد :

- عندما أقسمت عليه ليحرر جسدها إشترط ذلك الشرط، فظللت أبحث فى البلاد عن الضحية الثانية.

- شفاء..؟!!

- تمامًا، علمت أنها فتاة فى العشرين من عمرها تسكن فى نفس العمارة

الملعونة التى سكنتى بها، وكانت إبنة صاحب العمارة..تصورى عشر سنوات يا شفاء حتى وجدت ضالتى المنشودة..أخذت كل ما أملك وإبنتى بعد ان ماتت زوجتى كمدا على ابنتها وذهبنا للإقامة فى أحد شقق العمارة وبدأت فى الطقوس الملعونة لتحويله إلى جسد شفاء الأخرى ليحرر جسد إبنتى..

- وقمتم بذلك..؟

- ورآها وأُعجب بجسدها وأطلقنا عليها تعاويذنا السفلية ليتحرر جسد إبنتى.. تحرر بعد عشرون عامًا تقريبًا من الأسر والعبودية.. فقد إستولى على جسد إبنتى وعمرها عشرون عامًا ليتركها وقد وصلت إلى الثامنة والثلاثين.. كانت مجرد روح، لا أحد يراها غيرى ..مثلما أصبحت شفاء الأخرى التى تحولت إلى روح أيضًا لم يراها غيرى أنا وأبوها ..

- كيف...؟

- جسدها الأصلى كان مسجون فى ذلك الكهف الموجود تحت الأرض بالقرب من عرش سيدنا عفار..

- ثم...؟

- هرّبت إبنتى إلى خارج البلاد حتى لا يعود إليها مرة أخرى ..,كنت مخطئًا لأنى ظننت أن الأمر قد إنتهى ، ولكن كان لابد أن أبقى بجوار الفتاة الأخرى بعدما أظهرت لوالدها أنى قادر على علاجها، حيث أنى بأوامر من عفار كنت الوحيد القادر على التواصل معها ، وكما حدث لإبنتى حدث لها ذلك..

- وإستمرت فى ذلك الوضع كثيراً..؟

- عشر سنوات يا إبنتى، ولكن تلك المسكينة لم تحتمل الألم وما يحدث لها ، لذا فقد حاولت الإنتحار عدة مرات، حتى نجحت أخيراً

- ماتت..؟

- نعم للأسف..

- حسبى الله ونعم الوكيل ..

أشار لها بيده مقاطعًا وأردف:

- يكفينى ما بداخلى من تأنيب الضمير.

- أى ضمير تتحدث عنه ، سترى عقابك يوم القيامة بإذن الله ..

- كنت خائف على إبنتى ، فقد هددنى إن لم أجد الفتاة الثالثة بنفس الإسم والمواصفات سيعود إلى جسد إبنتى مرة أخرى..فكان علىّ البحث بين الطالبات عن من تحمل هذا الإسم .. وكلت جميع خدامى حتى عثروا على فتاة من اسكندرية تقارب نفس المواصفات وتبحث عن مكان للسكن بالقاهرة..وصلت لها عن طريق خادم تصور فى هيئة فتاة وقدمت لها هاتفى.

- مثلما حدث معى تمامًا.

- بالفعل ، وأتت شفاء الى حانوتى وحازت على إعجاب النسناس الذى تشكل عفار فى صورته.

- نعم.. نعم.. كما أتيت أنا فى نفس المكان الملعون الموجود بداخل زقاقك النجس.

- نعم وبدأنا فى تجهيز المكان.

- وكيف أقنعت صاحب المنزل.

- لا.. لقد توفي صاحب المنزل بعد إنتحار إبنته وورث أخوه العمارة، وقد إتفقت معه على ألا يجعل أى شخص يسكن ذلك المكان فى الطابق السابع وأعطيت له إيجار سنة مقدم وإشترطت عليه ألا يسأل عن أى شئ وينكر معرفته بى تمامًا..

- ولذلك لم تأتى معى للدخول وأنا أوقع العقد.

- وحتى لا يكون هناك أى شاهد على تواجدى معك.. هل وجدتى أى شخص رآنى أنا وأنت معًا سواى.

- نعم..أدهم

- فلتدعى أدهم وشأنه.

- الحديث عن أدهم سيكون له وقت آخر.. لكن كيف توصل إليكِ..؟ ألم يخبرك..؟

- علم عنوانى من شفاء بالطبع فقد علمت من خدامى أنه فى طريقه إلىّ من بعد مقابلته لها فى اسكندرية.

- ولما لم يخبرنى ، ولم أجد له أى أثر حتى الآن ..؟

- لقد أخبرته بضرورة الإبتعاد عنكِ وإلا أصابه ما أصاب أهلك .. أخبرته صراحة أنه كلما وجد من يقترب منك أو يساعدك بدون إذن منه شخصيًا فنهايته مأساوية ، ولعل ما حدث لأشقائك ووالدتك يا ابنتى خير دليل على ذلك.

- إذن فهو قد إستمع الى نصائحك وهرب .. لا أظن.. أنا أعرفه جيدًا ، المهم أكمل يا شيطان الأرض ،ما حدث مع شفاء تلك..؟

- أخبرتك أننى كنت مضطرًا .. المهم أنه قد إستمرت معاناة المسكينة سبع سنوات كاملة عندما.....

قاطعته شفاء بغضب:

- عندما أخبرك سيدك أنه إكتفي من شفاء الثالثة ويريد الرابعة.

أجابها غفران فى تردد وهو ينظر إلى بطنها:

- نعم وخاصةأنها لم تحمل.

- ماذا..؟!!

- نعم فقد رغب فى الفترة الأخيرةأن يكون له ابن من إنسية يا شفاء يا ابنتى ، وها أنا أرى بطنك أيتها المسكينة، وعندما أخبرنى بعجز الفتاة الثالثة من الحمل ، طلب منى الفتاة الرابعة، وهذا ما حدث، وقد وصلتى إلىّ وعندما رآك إقترب منكِ وتشممك وهذه علامة على القبول، لذلك كان لابد من أن تسكنى هناك سريعًا حتى يترك جسد الأخرى ويسكن بداخلك.

- ولكن كيف أحمل من هذا الملعون ..كيف يكون لى ابن منه وهذا الموضوع يكاد يصيبنى بالجنون أكثر مما أنا فيه.. لم أسمع فى حياتى أنه يجوز الحمل ما بين الإنس والجن.

- يا ابنتى إن الأمر محتمل.

أجابته شفاء باندهاش:

- محتمل..؟!!

- نعم.. يعنى زواج الجني من الإنسية ممكن لكن اختلف الفقهاء في الإباحة والتحريم ، ولكن يا شفاء عدم الجواز شرعاً شيء ، ووقوع هذا التزاوج بالفعل شيء آخر ، لأنه قد يقع رغمًا عن أحد الطرفين كحالتك يا ابنتى، بحيث إذا لم يستجب عُذب أو قُتل، وغالبًا ما يكون التناكح بين الجن والإنس من هذا القبيل ، ويكون سببه شهوة الجن وعشقه إنسان أو إنسانة ، ويكون كل منهما مقهورًا للجن ، وقد يكون التزاوج بينهما بإتفاق ورضى، وذلك نادر جدًا، وهو محرم شرعًا أيضًا.

- وهل يحدث حمل..؟

- بالنسبة لحالات الحمل فقد إنقسم العلماء إلى قسمين ، فمنهم من قال بإمكانية الحدوث أو لا ،بعض العلماء قالوا إنه يحدث بطريقة مباشرة ، بمعنى أنه إذا عاشر جن أنسيه وكانت على علم وإحساس بكل شئ وتشعر بكل تفاصيل تلك العلاقة.

- تقصد الإغتصاب..؟

- وبقية الفقهاء تقول أن الجنى نفسه يتلبس الزوج أوالرجل الذى يحصل معه العلاقة ، ووقتها يكون جسد الزوج مجرد أداة في أيدى الجن يستخدمه فى العلاقة ، وهذا الصنف من الجن يُسمى بشياطين الجن.

- والجنين..؟، الجنين الذى فى بطنى أيها الملاعين ما طبيعته..؟

- المولود يكون إنسى كامل شكلاً ، لكنه غير إنسى من طباعه ،لأنه يحمل كل صفات الجن ، وهوما يسمى بشياطين الإنس.

- ياربى.. لما أكون أنا الوحيدة التى يحدث لها كل ذلك..؟

- لا يا شفاء ، حدث ذلك من قبل وسمعت عنه ، ففى حالات مثبتة فى المغرب حدثت حالة بنت اسمها صفا وكان عمرها عشرون سنة،لكن الشيخ أو الفقيه خلصها من الحمل بقراءة القرآن.

- إذن أريد التخلص من هذا الحمل.

ذعر غفران عندما قالت ذلك ، لكنه أردف وهو يرتجف:

- لا تقولى ذلك أبدًا مرة أخرى ، أخبرتك أنه فقط يريد طفل من إنسية، وهذا الطفل الآن موجود فى أحشائك ، كيف تطلبين منى أن أخلصك منه ، هذا بالفرض إن كنت أعلم كيف أخلصك منه.. إنه قادر على إيذائنا بصورة لم تتصوريها يا ابنتى.

- إذن فمن المفترض أنه لن يتركنى أبدًا بسبب ذلك الحمل ، وهل من المفترض أن أكون قعيدة ويصيبنى الشلل .. ألا يعلم برغبتى فى الإنتحار يوميًا...؟

- لن يسمح لك أصلاً بالإنتحار يا شفاء وأنتِ تحملين طفله الإنسى الذى لم يرزق به من قبل بعكس آلاف الجنيين الذين بجواره .. وستظلى هكذا إلى أن يقضى

الله أمرًا كان مفعولاً يا بنيتى .. لقد دعوت لكِ وقتها ، كان الله فى عونك عندما كنت تسيرين نحو مصيرك فى السكن .. ولكنكِ لم تدركى ذلك وقتها ، وأكررها لكِ كان الله فى عونك بعد هذا الحمل فلا أدرى كيف سيكون الخلاص هذه المرة لأنى لاأدرك فعلاً.

قاطعته شفاء وهى مذهولة من إعترفات العجوز :

- أى إدراك أيها الغبى وقد أحكمتم الدائرة حول عنقى وتريدان الآن الفكاك.

- أنا لا أريد الفكاك .. بل إن من ضمن شروطه ألا أترك الضحية أبدًا، وإلا عاد ليسكن فى جسد إبنتى.

- وأين إبنتك الآن ..؟

- هى فى الخارج مع زوجها وأولادها.

صمتت شفاء وأطرقت إلى الارض ، لكنها تذكرت شيئًا فسألته فى حنق وكأنها تريد تغيير الموضوع دون استطاعتها الخروج منه:

- بالمناسبة.. ما تلك الأغنية المفزعة التى أسمعها كلما إقترب منى..؟

- هى أغنية كانت تشدوها إبنتى دومًا.. وعند حضوره أول مرة ليراها كانت تغنيها أمام المرآة فلازمته، وكلما ظهرت الأغنية يظهر معها..لا تخافى يا إبنتى.

- وإذا رفضت أنا هذا العرض.

ضحك غفران بتهكم قائلاً:

- أى عرض يا بنيتى الذي نستطيع معه أن نقبله أو نرفضه ..إعلمى أن ما أنتِ فيه الآن ليس مخولاً لكِ فيه القبول أو الرفض.. عفار سيتركِ فيى حالة واحدة فقط، سيتركِ عندما ينتهى ما إشتهاه منكِ..ووقتها سنبحث عن الخامسة وهكذا.. لكن هذا قبل موضوع حملك ..

نظر غفران إلى السماء سارحًا ببصره ثم أردف بعد دقيقة:

- لا تقلقى سأبحث عن ترضية له ولكً بإذن الله.

- وإن أخذك الله فى القريب إن شاء الله...؟

- ستتولى إبنتى التصرف من بعدى، هذا عهد بينى وبينه.

- يا إلهى.. لما كُتب علىّ هذا المصير المؤلم..؟

- الأمر ليس بالسوء الذى ترينه، فوسط كل هذه المأساة سوف تفتح لكِ أبواباً كثيرة وأفق لن تتخيليها ..ليس هناك مجالاً الآن للحديث عنها، كل ما أريده منكِ هو الطاعة فقط وسترين.

- ليس أمامى شيئًا لأفعله، فأنتِ كمن يخيرنى ما بين الموت صعقًا بالكهرباء أو غرقًا فى اليم.

- سأتركك الآن، وسوف أعود إليكِ فى القريب لنسافر سويًا.

- إلى أين...؟

- إلى الشقة يا شفاء.. إلى المكان الذى تركتيه وسكنه من قبلك آخرون.

- وإن سأل أهلى علىّ .....

اقترب منها مربتًا على كتفها لأول مرة دون أن تصده وهو يحدثها مشفقًا عليها مما تسبب لها فيه :

- أهلك لن يسألوا عنكِ يا بنيتى، فهم يتمنون موتك الآن قبل الغد ،أنسيتى ما فعليته بهم..؟

- أنا لم أفعل شيئًا بل أنتم من فعلتم.

- رغمًا عنى أقسم بالله يا ابنتى ..هى لعنة تسببت لكم فيها ، وأنا من سأحاول إخراجك منها.

تركته شفاء وهى تضع يديها على عينيها لتجهش فى البكاء الحاد على ما آل إليه مصيرها..

بينما جلس غفران بجوارها وهو يبكى هو الآخر مُقبّلاً رأسها فى شفقة واضحة

***

فى الشهر التالى تحسنت شفاء بصورة لم تتخيلها ، فقد أصبحت على غير المتوقع تستطيع التحرك ببساطة ، وبدأت تستجيب للعلاج الطبيعى ليديها ، فأصبحت تحرك يدها اليمنى بكل أريحية، أما قدماها فأخبروها أنه يلزمها بعض الوقت ..لم يسأل أحد من أهلها عليها ، ولذلك كان طعم المرارة فى حلقها دومًا ..دعت الله كثيرًا أن يقوم ممدوح بفتح الكمبيوتر الخاص بها وقراءة تلك الرسالة التى تركتها على سطح الويندوز الخاص بحاسبها والتى عنونتها باسم (إلى شقيقي ممدوح).

كل ما كانت تريده فقط هو قبول أسفها لشئ لم تستطع أبدًا التحكم فيه ، أن يسمعوها فقط ..

كانت تود لو عاد الزمن سنة فقط إلى الوراء فربما تغير كل شئ..

أما أدهم فلم تستطع مطلقًا الوصول إليه ولا لوالديه مما أصابها بذعر قاتل وعزمت على معرفةأين هو فى أقرب فرصة، وإن حكم الأمر ستجعل غفران هو من يبحث عنه.

إندهشت من تصرفات القدر ، فمنذ شهرين فقط أوكلت لأدهم تلك المهمة ورجته للبحث عن غفران بأى شكل ، وعندما قابله إختفي إلى الأبد حتى قبل أن يخبرها بملخص المقابلة مع رحمة وشفاء إن كان ذهب لهما هو الآخر ، وهذا ما كان يرعبها أكثر وأكثر .

***

بعد ذلك بيومين كان العجوز فى إنتظارها فى الخارج للرحيل إلى القاهرة إلى الأبد ..ولا تدرى شفاء كيف سمحوا له فى المصحة بإستلامها، لكن من الواضح أنه كان من الأشخاص المفتوح أمامهم كل الطرق لفعل أى شئ.. كان شاقًا عليها ترك اسكندرية بذكرياتها وأصدقائها وكل ما فيها من ذكريات لأوقات حلوة ومرة لتخطو نحو المجهول نحو سنوات سوداء لا تعلم كيف ستنتهى أو كيف ستمر..؟

من فتاة فى مقتبل العمر منفتحة على الحياة والدراسة والحب إلى سيدة تحمل داخل أحشائها جنينًا من أسوأ شياطين الجن ، لتلد أحد شياطين الإنس وليس بيديها أى وسيلة للتخلص منه أو حتى التخلص من حياتها..

أفاقت من تأملاتها وهى تنظر إلى العجوز الذى ينتظرها فى الأسفل من نافذة غرفتها فى المصحة، وقد حضرت الممرضات لإلقاء التحية عليها وتوديعها فى مشهد مؤثر لم تتمالك نفسها فيه من البكاء على لحظات الوداع ..كانت تتمنى لو تستطيع أن تودع أهلها ، فهى لا تعلم متى ستراهم مرةأخرى ..

استقلت السيارة التى أتى بها العجوز وطلبت منه أن يخبر السائق أن يعرج قليلاً على منزلهم..وصلت إليه بعد نصف ساعة ووقفت أمامه على بعد ..حذرها غفران بعدم الصياح أو طلبها للنزول أو مقابلتهم خوفًا من استمرار ايذائهم ، لكن قلبها كاد أن يتوقف عندما رأت أمها فى شرفة المنزل وهى تضع ملابس أشقائها المغسولة على الحبال..

كم تمنت أن تهبط سريعًا من السيارة لترتمى فى أحضانها وتطلب غفرانها عن ذنب لم تقم بفعله..وعندما بدأت فى البكاء ربت على كتفها العجوز طالبًا منها بهدوء الرحيل..

نعم الرحيل إلى المجهول..

فحينما تفارق جزء من روحك وتضطر للتخلى عما يشق عليك التخلى عنه..

يكون أحيانًا كل ما تستطيعه أن تومئ برأسك وتمضي بخطوات متثاقلة في طريق لا تتبين ملامحه من عيون أغشتها دموع قد تجمدت في محاجرها.. فلم تعد ترى سوى ظلال لذكريات لا زالت تنبض بالحياة ..وقلبك مُنهك يعتصره الألم وكأنه هارب من عاصفة قد إقتطعت جزء منه وقد توقف نبضه ليهمس لك:

- الآن فقط يا صديقى .. لم يعد لدينا ما نخشى عليه.

وقتها شعرت حرفيًا أنها تترك ليس فقط جزء من روحها بل روحها بأكملها..

***

الفصل الحادى عشر

المجهول

***

بعضنا ضحايا جرم لم نرتكبه قط، كلنا نود النجاة بأنفسنا.. المهم أن نتحرر بعيدًا عن ذلك الكرسى الحديدى المشوه الذى يقيدنا إلى الأرض.. كلنا مقيدين إليها ولو إختلفت المسميات..كلنا ليس بأيدينا شئ سوى تمنى الخلاص مهما كانت التضحية أو مهما كان الشخص..

النفس أولاً..

***

حبيبى أدهم ...

كعادتى كل ليلة أكتب فى ذلك الكشكول الأزرق مذكراتى أو خطاباتى إليك التى أدعو الله أن تقرأها يومًا ما..عندما يجمعنا القدر ، وكلى على يقين أنى سأراك ثانية..سأكتفى حينها بالنظر فى عينيك وستعلم كم اشتقت إليك خلال السنوات الماضية ..قبل أن تنتهى تلك الأوراق أخبرك أنه لم يتبق فى رسالتى إلا القليل أو الثلث الأخير عن قصتى التى كتبتها لك لأقص عليك كل ما مر علىّ خلال تلك المدة لتقرأه ..

لكن هناك جزءًا سأحجبه لأسباب خاصة سأحتفظ بها ، فربما إن تقابلنا ذلك اليوم سأروى لك كل تفاصيل الليالى المرعبة التى قضيتها فى ذلك الكهف..عن عفار وأعوانه.. عن تلك الطقوس الملعونة التى حفظتها عن ظهر قلب .. عن طفلى الذى وضعته وكترضية لنا تركته لغفران للأبد ليقوم بتربيته عوضًا عنى ، فغير مسموح لى أن أراه أو حتى الحديث معه..

لكن لتعلم أنها رحمة من ربى، فلن أخبرك عن طباعه فى أول سنةأو إثنين أو حتى الآن فالعجوز وقد أنهكته سنوات العمر يخبرنى بكل شئ ، لن أخبرك عن أسرار تلك الأطفال الممسوخة المشوهة التى كنت أراها وأسرار كثيرة لن أذكرها فى مذكراتى تلك لعدم قابليتها للتصديق ..

سأذكر لك فقط واقعتين غيروا مجرى حياتى..

سأوردها لك تفصيلاً .....

أول ذكرى كانت يوم الجمعة الموافق 25 نوفمبر ، كنت فى قمة التوتر وأنا أجلس على ذلك الكرسى المتحرك فى الشقة القديمة ..نفس جلسة شفاء تمامًا عندما دخلت السكن ورأيتها أول مرة ..كان الجو ممطرًا فى الخارج، وأنا لا زلت أنظر عبر الزجاج المعتم إلى قبة جامعة القاهرة من بعيد، وأتحسر على الأيام التى مرت وأنا طالبة فى الجامعة.. أتعلم يا أدهم كنا فى أى عام....

2011

لقد مر على جلوسى على ذلك المقعد خمس سنوات كاملة.. أتعلم ما معنى خمس سنوات وأنت كسيح لا تتحرك إلا بصعوبة ، طالما أنت فى عالمك الأنسى، بينما فى العالم الآخر أتحرك بكل حرية..خمس سنوات لا أحد يشعر بى أو يرانى أو أخرج أو أتحرك إلا فى حدود سجنى بداخل شقتى ، ووقت العلاقة يأخذنى قهرًا إلى كهفه النارى فى مملكته ..

لن أطيل عليك فى تفاصيل قذرة، لعنة الله عليه أينما كان....

ففى تلك الأمسية سمعت أخيرًا ما ظللت أحلم طوال الليالى بحدوثه..صوت المفتاح فى القفل الخارجى للباب..خمس سنوات وأنا أنتظر تلك الفتاة التى تحمل اسمى والتى وافق عليها أخيرًا عفار بعد عدة محاولات للترضية كما أخبرنى غفران..

تذكرت الآن سر فرحة شفاء الأخرى عندما رأتنى أول مرة عندما خطت قدماى هذه الشقة ..وسر دقات قلبى المتسارعة والفتاة تدخل علىّ أول مرة..

أتعلم..؟ الآن فقط عذرت شفاء التى استقبلتنى ..تلمست لها العذر وأرجو أن تتلمس شفاء الأخرى عذرى ...

بعضنا ضحايا جرم لم نرتكبه قط ، كلنا نود النجاة بأنفسنا ، المهم أن نتحرر

بعيدًا عن ذلك الكرسى الحديدى المشوه الذى يقيدنا إلى الأرض.. كلنا مقيدين إليها ولو اختلفت المسميات، وكلنا ليس بأيدينا شئ سوى تمنى الخلاص مهما كانت التضحية أو مهما كان الشخص..النفس أولا..

ادع الله يا أدهم ألا تمر أنت فى تلك التجربة أبدًا ..تجربة التضحية لأنك وقتها تحاول قتل ضميرك لمجرد نجاتك ..

المهم...

حاولت يا أدهم تمالك نفسى من الإنفعال وأمسكت قلبى بيدى الإثنين حتى لا يقفز خارجه وأنا أستمع إلى صوت الفتاة الأنثوى الرقيق الذى أتى من خلفى مبتسمة.

- مساء الخير ..إسمي شفاء ، من الفيوم وسأكون زميلتك فى السكن هذه الأيام، أرجو أن تتحملينى.

إلتفت إليها وقد كدت أقف على قدمى من الفرحة رغم عدم مقدرتى وإبتسمت إبتسامة واسعة جدًا و....

- وأنا فاطمة.

هنا فقط تذكرت لماذا أجابتنى شفاء عندما سألتها عن إسمها فذكرت إسم رحمة والدتها.. فقد طفا على عقلى وقتها فجأة إسم والدتى..

فإستطردت وأنا أشير إلى قدمى المغطاة بشال من الصوف وكأنى أردد أسطوانة قديمة سمعتها من قبل:

- اعذرينى يا شفاء، فلدىّ إعاقة فى قدمى ولا أستطيع السير منذ عدة سنوات ولا حتى الوقوف فأعذرينى على شكل المكان ، فلم أتوقع وصول رفقاء فى السكن بعدما رحلت فتاة الأقصر.. أحاول فقط التنظيف بقدر ما أستطيع.

إندهشت الفتاة فعقبت:

- فتاة الأقصر.؟، أى فتاة ..؟،لم يبلغنى عم غفران بشئ.

ضحكت ولازالت إبتسامتى تتسع:

- عم غفران.. أخبرينى كيف حال العجوز..؟

- إنه بصحة جيدة ، يبدو أنه تخطى المائة ولكن صحته على ما يرام..

- هل ذهبتى إلى الزقاق...؟

- نعم بالفعل إنه زقاق مرعب ..أعتقد أنه لا يوجد بداخله سواه هو وحفيده صاروخ...ان اسمه فقط يضحكنى ، هل من قلة أسماء الذكور على الرغم من هيئة الطفل التى أرعبتنى.

دق قلبي بشدة يا أدهم ، ولكنى أردفت دون أن تلاحظ أنها تتحدث عن طفلى الذى اختار عفار اسمه تيمنًا باسم ابن إبليس الأكبر:

- اسمه ساروخ يا شفاء وغفران من اختار له هذا الأسم.

- لكن أخبرينى كيف تعلمين كل ذلك..؟

- إن العجوز يزورنى أسبوعيًا فنحن أقرباء بشكل ما..

أردفت شفاء وهى تضع حقيبتها على السرير المجاور لى ..سريرى القديم الذى طالما رأيت تلك الكوابيس الملعونة عليه:

- ولكن لقد استرعى انتباهى شيئًا ما غريبًا فى داخل الدكان ..

كانت ابتسامتى تتسع وتتسع و تتسع حتى ظننت أنى سأبتلع الفتاة فأخبرتها وقد بدت على وجهى ملامح شيطانية من الملعون عفار وأنا أمسك يدها قائلة:

- بالتأكيد تقصدين ذلك النسناس اللعين..

إتسعت عينى الفتاة فى دهشة وهى تردف مبتسمة:

- إذن العجوز يربي قردًا فى الدكان.. لقد كدت أصرخ فزعًا عندما وجدت القرد يتحسس ملابسى.

قهقهت بأعلى صوتى وأنا أشير لها على الكرسى قائلة:

- لا تقلقي فهناك الكثير من الأحاديث التى سنظل نحكيها سويًا ..هيا إجلسى، سأعد لنا كوبين من الشاى الدافىء ونتعرف على بعض أكثر..ووضعت يدى على الهاتف إلى جوارى وبدأت فى تشغيل الموسيقى وأردفت:

- هل تحبين ليلى مراد، أنا أعشقها وخصوصًا تلك الأغنية.

و فى الخلفية كان يأتى صوت الأغنيه المسجلة على هاتفى تصدح بينما كان صداها يتردد من خلف الجدران....

الدنيا ليل و النجوم طالعة تنورها.. نجوم تغير النجوم من حسن منظرها

***

نظرت شفاء إلى المذكرات التى تكتبها وهى تطويها ناظرةإلى آخر ورقتين فى الخلف

حبيبى أدهم...

هذه آخر ورقة وأرجو الله ألا أكون قد أطلت عليك وينقصنى فقط الموقف الأخير الذى سأذكره لك وهو فقط شيئًا ما هامًا أحببت أن أوضحه لك لسبب ما .

لعلك تتساءل أين أنا أو ماذا حدث..؟، فنحن الآن فى نهاية عام 2014 أى بعد ثلاث سنوات، من مقابلتى مع شفاء .

أنا فى مكان ما بالقرب من القاهرة، عمرى الآن ثمانى وعشرين عامًا ، وقد أكون أصغر من حمل لعنة عفار ، نعم أنا بصحة جيدة وأمارس عملاً ما يدر علىّ دخلاً محترمًا، ولم يزرنى الملعون منذ قمنا بعمل الطلاسم على جسد المسكينة شفاء الخامسة، لتستمر لعنة شفاء إلى الأبد.

غفران لا زال حيًا يرزق ولا يزال يعمل فى خدمة عفار ..ومعه طفلى الذى لن أراه أبدًا لينشئه على تعاليم عفار والده حسبما كانت الترضية ..أما الفتاة المسكينة فلا زالت كما هى ولم يشبع منها الملعون بل إنه يرفض أى قربان آخر، وغفران يزورها إسبوعيًا كما كان يزورنى، فى إنتظار الإذن بالتغيير..

أما أمى فقد عادت العلاقات معها بشكل ما بعد أن توسط لديها بعض الأقرباء وعلمت حالتى ، لكنها طلبت ألا أزورهم فى القريب.. حتى تمهد لى الطريق مرةأخرى ، ولا زلت أهاتفها من حين إلى آخر ..

أما شقيقاى فيبدو أننا سنأخذ أشواطًا كثيرة حتى يتم التصالح على خطأ لم يكن لى يد فيه..

هل نسيت شيئًا آخر لم أخبرك به..؟

لا يا حبيبى، لم أنس أى شئ ..حتى والديك اللذان قتلا أزورهم فى المدافن كل شهر مرة.. وأعلم أنك كنت مضطرًا لقتلهم..

أعلم أنه تلبسك وقتًا ما كما تلبسنى وكاد أن يقتل أمى وحرق أخى ، ربما أنا الوحيدة التى أصدقك رغمًا عن الجميع ، رغم أن جيرانك الذين ذهبت إليهم فى أول مشوار بعد استطاعتى السير للسؤال عنك قد أخبرونى أنك فى منتصف ليل منذ عدة سنوات وبعد زيارتك لغفران تحديدًا فى التاريخ الذى أحفظه عن ظهر قلب قد قرعت الباب على الشقة المجاورة لكم ثم غرزت سكين فى رقبة جارك دونما سبب ثم هرولت دون أن يستطيع أحدالإمساك بك وكأنك كنت خيال.

هذا ما أخبرنى به جارك بعد أن تم علاجه ، فقد كان الجرح سطحيًا وكأنك أردت فقط إعلامهم بأنك مرتكب جريمة قتل أبويك ، فعندما دخلت الشرطة الشقة للبحث عنك فى شقتك وجدا والديك و قد ذبحا وقطعت بجوارهم رؤوسهم وبقرت بطونهم فى صورة بشعة ..

أعلم أنه ليس أنت ..أعلم أنك ربما هربت خارج البلاد كما أشعر بعدأن تلبسك عفار..لكنى على يقين أننا سنتقابل وقتًا ما..

حبيبى أدهم تلك المذكرات لن يقرأها سوانا..سأظل أنتظرك حتى آخر العمر..

حبيبتك شفاء

القاهره 2014

****

أغلقت شفاء كشكول المذكرات الخاص بها وسالت دمعتين على وجنتيها وهى تنظر من أسفل العمارة الملعونةإلى تلك الفتاة التى تنظر من شباكها فى الطابق السابع إلى قبة جامعة القاهرة وهمست لها فى أسى:

- بالله عليكِ سامحينى ، سيأتى يومًا ما وتسامحينى وستفعلى ما قمت بفعله من قبل ، وقتها ستعلمى أننا كنا ضحايا لجرم لم نرتكبه قط..

مسحت دموعها وأدارت سيارتها متجهه إلى منزلها الذى لا يعلمه سواها

النهـــاية

خاتمة للمؤلف

عزيزى القارى .. إن كنت قد أتممت قراءة هذا العمل فتلك السطور القادمة ليست مهمة ،إنما هى فقط لوضع بعض النقاط البسيطة فوق الحروف..

وإن كنت قد مللت مما قرأته سابقا فلا داعى لإشغال نفسك مجددًا..

فى معرض 2016 كنت قد انتهيت من إصدار رواية (شامبالا) ، وأثناء حفل توقيعى فوجئت بفتاة تجلس على كرسي متحرك وتقوم بشراء أغلب الروايات الموجودة فى الدار ،واقتربت منى فى خجل لتحدثنى برأيها فيما سبق اصداره من لي روايات ..وطلبت منى بعد إنتهاء حفل التوقيع رغبتها فى الحديث معى ولو لعدة دقائق..

شكرتها على رأيها واستمر حفل التوقيع وقبل عودتى إلى المنزل تذكرت الفتاة المسكينة والتى أخبرتنى بانتظارها فى مقهى المعرض القديم.

بعد ساعتين كاملتين كانت لا تزال تنتظر ..اعتذرت لها وبدأت فى الحديث لقصة لم أصدقها فى حينها أبدًا ..و عندما أنتهت من قصتها..

- ولما أنا..؟!!

- لاأعلم ولكنى أشعر أنك الوحيد القادر على تصديقى.

- وحتى إن صدقتك ، ليس بيدى أى شئ أقدمه لك ..

- بل لديك النصيحة والفكرة والقلم..أريد أن يعلم قراءك ما حدث.

- لن يصدقونى ..وأنا لا أكتب أبدًا هذا النوع من الروايات..

- حسنًا .. أعتذر إن كنت قد أزعجتك..

وتركتنى وإنصرفت ..حاولت الوصول إليها مرة أخرى واعتذرت لها.. وقتها أرتنى شيئًا ما جعلنى أصدق نصف ما أتت به من حديث.. أعطيتها هاتفى وطلبت منها محادثتى فى القريب..

سافرت الفتاة إلى بلدها الأصلى..دارت بيننا عدة محادثات هاتفية علمت منها ما أستطيع كتابته فى وقت ما..لكننى أجلت الموضوع لظروف ارتباطاتى بأعمالى المقدمة.

ووقتها منعتنى الظروف والسفر والعمل من الاستمرار فى الاطمئنان عليها.. وبعد فترة اختفت الفتاة نهائيًا..كانت تخبرنى بأسرار شخصية خاصة بى جدًا ..حتى قططى لم يسلموا من الحديث عنهم بأسرار لا يعلمها إلا أنا وهم .

وأختفت للأبد أقسم بالله ..

أعلم أن الكثير لن يصدقنى كما صدقتها.. ولا أزعم أن تلك القصة التى بين يديكم حقيقية، لكن فى استطاعتى القول أن نصفها حقيقى وفى ضوء ما سمعته من حديثها بعد أن حجبت نصفها وأكثر عنى ..

أما أنا فقد قمت فقط بتغيير التواريخ والعناوين والكثير من الأحداث ..لكن تبقى الأبطال الرئيسية فى العمل كما هم نفس الأشخاص جميعًا..حتى فاتن الطفلة الصغيرة.

شيئًا ما أخير طلبته منى الفتاة....إن حدث يومًا وقمت بكتابة مذكراتها أو أحداث قصتها .. أخبرتنى أن لا أذكر أبدًا اسم جنها الحقيقى أو السمسار الحقيقى أو أى اسم يشير إلى عائلتها ..

والأهم من ذلك كله ألا أذكر اسمها الحقيقى (النادر جدًا) أبدًا ، ولذلك استعضت عنه بشفاء..

و كان السبب معلوم..

حتى تستمر التضحية..

فإن كنتِ من ذوات الأسماء الغريبة والنادرة وقادتك الظروف للسكن مع رفيقة ما..فحذارى، ربما كانت هى شفاء الأصلية التى تنتظر أن يأتى دورك لتخلصيها..

أما عن شفاء الحقيقية ..أتمنى من الله بالفعل أن أكون قد أوفيتك حقك ...

ولو أقل القليل من حقك ..

وسأظل دومًا فى انتظار هاتفك..

مع محبتى و تقديرى

عمرو مرزوق

شكر خاص

وكالعادة لا يسعنى إلا أن أهدى هذه القصة لأشخاص كان لهم أكبر الأثر فى تشجيعى ووقفوا بجانبى فى كل الأوقات فعذرًا لكم ولكنى أود أن أشاركهم لحظات النجاح

بردیس محمد.. مروى الصعيدى.. ميرفت صلاح

شكر خاص لاغلى الناس

رنا مكاوى..هبه عبد اللطيف..امانى صبحى.. رضوي موافي..

د/ غاده نجيب..د/سارة القزاز

أصدقائى الأدباء:

محمود الجعيدى..ساميه على .. عمرو سمير عاطف ..د / أحمد سعد الدين ..لمياء السعيد.. ايمن العايدي..ايه سعد الدين.... د/ حازم نجيب.. منار حجازى.. محمد مسعد ..نشوى مصطفي.. .مروة عبيد..اباء ميرا ..

أصدقائى الغاليين :

نسمه عبد العزيز..د/ هيثم الحاج على.. إيهاب حسن.. داليا غنيم.. امل بدوى..ندى الصاوى ..محمد نبيل راضي.. شفاء مدنى....منة عامر.. دينا احمد.. سهي سمير.. ايه عبد الله..شيماء على..ساندرا هناء..شعبان مطيره ..يسرا فلورا.. هناء العبسي.. يوسي يسرا.. ..شرين عامر.. باسم الشبراويشي..سو..رحمه انور..

بسنت مسعد..دليلة..ايناس السعدنى..نيرفانا..عصمت علوان..زياد شحاته..ايمان هشام..نهي احمد..سلوى القلتاوى.. زينه عمرو..محمد فايز.. دعاء صبحى.. ادهم شعير..طارق وافى..ريم الصياد..نهاد شيبه.. ايمان عبد المجيد....نهال حنفي.. جرجير..رؤى.. ننوسة..بندق ..

وكل قططى قط قط

وجميع من اكرمونى بقرائتهم لسطورى و شجعونى على المضي دوما

شكراً لأنكم فى حياتى

***

وأخيراً وليس آخرًا أستاذنا ومعلمنا ووالدنا الروحى حسام حسين صاحب الفضل الأكبر.

أهديكم جميعًا هذا العمل المتواضع..

عفـــــــــــــــــار

نبذة عن الكاتب

عمرو محمد مرزوق

كاتب وروائى مصرى من مواليد محافظة الغربية ومقيم بالقاهرة

ماجستير فى القانون الجنائى جامعة القاهرة ومُقَيَّد بالدكتوراة بجامعة عين شمس ومن اصداراته المطبوعه

- أناشيد الموت، إصدار دار اكتب 2014

ميدوم، إصدار دار نون 2015

- شامبالا،إصدار دار نون 2016

الكابوس،إصدار دار نون 2017

- نساء فى التاريخ اصدار دار زين 2018

سي أوزير اصدار دار نون 2018

- دقات العاشره اصدر دار ادباء 2000 مجموعه قصصيه

- السر المفقود اصدار دار نون 2019

ويبقي العشق اصدار دار السعيد 2018

- العهد نوفيلا من ا صدار سلسله الارشيف لدار نون 2019

- صباحكم بلا وجع اصدار دار السعيد 2020

- عفار اصدار دار نون 2020

للتواصل مع الكاتب الحساب الشخصى..

https://www.facebook.com/amr.m.marzouk

صفحة الكاتب على الجود ريدرز باسم : عمرو مرزوق

البيدج الأدبى للكاتب على الفيس باسم : عمرو م. مرزوق

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007